

70

أنيس فليس

ساعات بلا حجاب

<http://www.makbtna2211.com>

ساعات بلا حجاب

أنيس فليس

A h m e d M a d y



مكتبتنا



ساعات بلا عقارب

ماندة تدور حولك، أو تدور أنت حولها.. ففيها كل ما يشهى العقل والقلب والمعدة.. إنها أطعمة فاتحة للشهية.. لشهية العقل فيعرف، لشهية القلب فيحقق، لشهية المعدة فتعظم.. ولما سئل الفيلسوف الألماني (كانت) عن سر حرصه على أن يمشى كل صباح مسافات طويلة أجاب: بأنه لا يمشى.. وإنما هو يقرأ الأرض بقدميه والكون فوقه بعينيه.. فهو قارئ طوال الوقت يحاول أن يفهم طوال الوقت..

ولما سئل الشاعر الألماني جيته: ما هو أحب شيء إليك؟ أجاب: كتاب.. وسئل: وما أحب الكتب إليك؟ أجاب: كتاب يريحني.. وسئل: وما أحب كتاب إليك يريحك؟ أجاب: كتاب أراحني أنني فرغت من تأليفه.. فالمؤلف مسافر من كتاب إلى كتاب.. كتاب له أو كتاب لغيره أو كتاب يفكر فيه! ولما سئل الروائي الإيطالي (ألبرتو مورافيا)، وكان صديقاً لكاتبنا الكبير: ما أجمل ساعات العمر؟ فأجاب: ساعات لا أشعر فيها بالزمن!

الناشر

الخميس

16

رمضان

26

أغسطس

2010

الرياض



أشعة الصبح
للطباعة والنشر والتوزيع



4 221133 302555

أنليس فنانو

ساعات بلا عقارب





مقدمة

رحلة في بحر المعرفة

- الله يفتح عليك يا ابني !

كنت أسمعها من أبي في كل مرة يراني أمسك كتاباً . وكان يعجبني منه هذا الدعاء ، فكنت أبالغ في قراءة الكتب . . أو في أن أبدو أمام والدي وأنا أقرأ الكتب ، وكانت هذه الكتب - دائماً - كتب والدي . فلم تكن لي كتب خاصة وأنا دون العاشرة من عمري . .

وكنت أسمع والدي وهو يروي لأصدقائه وضيوفنا أنني ولدت والكتاب في يدي . ولم يكن يقصد بذلك أنني ولدت قادراً على القراءة . وإنما حيث أكون ، يكون هناك كتاب في يدي . . أقلب فيه . . من اليمين إلى الشمال . . أو مقلوباً في يدي . . ولم أكن أفرق بين كتب بالعربية أو بغيرها من اللغات . .

ولا أعرف لماذا كنت أنظر إلى أي كتاب على أنه مصحف . على أنه كتاب مقدس . ولذلك كان يجب أن أمسكه بعناية . وأنا أقلب في صفحاته وأنا جالس . وقد لاحظت أن أبي لا يقرأ الكتاب إلا جالساً . ولم أعرف في ذلك الوقت ، وإلى وقت قريب ، أن في الإمكان قراءة الكتب والإنسان نائم في فراشه . ولا أذكر حتى الآن ، أنني قرأت كتاباً واحداً وأنا نائم . ولأنني أحترم الكتاب ، ولأنني حريص على أن تظل أوراقه سليمة ، وغلافه سليماً ، وعلى أن أقرأه بعناية واهتمام ، فلا بد أن أكون جالساً .

ولذلك فكل الكتب التي أقرأها تحتفظ بوقارها واحترامها تحت عيني وبين يدي . وأحب أن أرى الكتب هكذا محترمة التناول . . ومن هنا كان حرصي على أن أشتري كتباً ، وحرصي على ألا أعطي كتبى لأحد من الناس . . وحرصي أيضاً على ألا أستعير كتب أحد . فأكثر الناس لا يحتفظون بالكتب نظيفة محترمة .

وأكثر الكتب التى وجدتتها فى بيتنا وأنا صغير كانت دينية أو أدبية . وكان أبى رجلاً متديناً . وكان ذواقة للشعر والتاريخ والنوادر . وكان رجلاً محترماً . وقد لاحظت أنه حريص على أن يكون محبوباً أكثر من أن يكون مهيباً مهاباً . فكان يحب أن يستمع إليه الناس . وكان يحب الناس . وكانت روحه المرحّة تذيب المسافات التى بينه وبين الناس . وكان يحفظ الكثير من الشعر . وكان ينظم الشعر . وكانت كل الكتب فى بيتنا من الشعر ومن نوادر الشعراء . فهى كتب تؤهل من يقرأها إلى أن يكون سميحاً جليلاً .

ولم أدرك كل ما فى هذه الكتب من معان يوم قلبت فى معظمها . . فقد تعثرت أصابعى فى صفحاتها . وتعثر لسانى فى نطقها . وأعتقد أننى قرأتها كلها . وأعتقد أننى لم أفهمها كلها . فقد كنت أدرب عينى على القراءة فقط . وكانت المسافة كبيرة جداً بين عينى وعقلى .

وأمام سخرية بعض الأقارب والأخوة بدأت أحس وأنا صغير أننى أفعل ما لا أفهم . وأننى أقرأ ما لا أدرى . ولكنى مصرّ على القراءة . فكنت أخفى الكتب تحت السرير . وأختفى معها . وكثيراً ما نمت تحت وطأة التعب . وكان التعب مصدره أن الضوء ضعيف تحت السرير . وأن جلستى لم تكن مريحة . فكنت أقع من التعب . وأنام على البلاط ، ومرضت . وعرفت العناد فى القراءة . والإصرار على القراءة . ورأى ذلك والدى . وكان يقول : الله يفتح عليك يا ابنى .

وتعلمت القراءة فى البيت . . بل فى أكثر من بيت . . ومن الصدف الغريبة أننى عندما كنت مدرساً للفلسفة فى الجامعة ، فوجئت بأن أحد تلامذتى ، كان من بين الذين علمونى القراءة وأنا طفل صغير !



وذهبت إلى كتاب القرية . .

وجلست أمام سيدنا أحفظ القرآن الكريم . أول كتاب وأعظم كتاب . وأول درس للنطق السليم للغة العربية . وجلست على الأرض . وجلس سيدنا على مقعد مرتفع . وكنا نرى سيدنا عالياً : لأنه سيدنا وأستاذنا ولأنه يحفظ القرآن الكريم . ويعلمنا القرآن الكريم . وقال . وقلنا وراءه . وكانت له طريقته الخاصة فى الأداء .

وكنّا نقلده . وحفظت الكثير . ولم أكن أدري من الذى حفظته شيئاً . ولكن كنت أسمع من أبى شرح الآيات والسور .

ولا أحتفظ لأيام الكتاب فى قرية «نوب طريف» بمركز السنبلابين سوى ذكريات مريّة . فقد كان سيدنا قاسياً . وكانت عصاه أطول منه . فقد كان قصيراً . وكان صوته صارخاً . وكان بيته متداعياً وكان يضع نوعاً من العطور مؤلماً . وكانت تنبعث من بيته ومن حول البيت روائح كريهة . وفى كل مرة أتذكر سيدنا تمتلئ أنفى برائحة كريهة . وقد ظللت سنوات طويلة لا أطيق رائحة نوع من الصابون ، لأنها تذكرنى بسيدنا وملابس سيدنا وعصا سيدنا . وأعتقد أن سيدنا ضربنى مرة ومرة . .

وكانت صدمة عنيفة . فقد سمعت فى مجالس أبى أن الذى يحفظ القرآن مفضل على كل الناس . وأنه سوف يدخل الجنة قبل الذين لم يحفظوه . وإن من حق كل من حفظ القرآن أن يعطى يده للناس فيقبلوها . ولكن الذى يفعله سيدنا بزملائى من الأطفال شىء آخر . فنحن نجلس على الأرض . وهو يجلس فوق . ونحن ممنوعون من الطعام . وهو وحده الذى يأتى بالفطير ساخناً والقشدة والبيض ويتناول ذلك أمامنا نحن الأطفال ولا يعطينا شيئاً . ولا يسمح لنا بأن نأكل وعندما يفرغ من إفطاره الذى يستغرق وقتاً طويلاً يطلب إلينا أن نساعد زوجته وأمه فى أعمال البيت . وكان من بين أعمال البيت : كنس البيت وإطعام الدجاج والماشية وتفريط كيزان الذرة . وكثيراً ما اشتكت زوجته أو أمه من واحد منا . . فينهال ضرباً علينا جميعاً !

إن سيدنا لا يعرف ما الذى يقوله الناس فى مجالس أبى عن الذين يحفظون القرآن . وربما كان عذراً سيدنا أننا لم نحفظ القرآن بعد . يضربنا لا باعتبارنا تلامذة . ولكن باعتبارنا عمالاً جهلة بشئون البيت !

وفى كُتّاب آخر فى قرية «كفر الباز» مركز فرسكور ترددت على كُتّاب . وكان صاحب الكُتّاب من أقاربى . ولم يكن عدد تلامذته كثيرين . كنا خمسة أو ستة . وكان سيناً هذا يعلمنا القرآن الكريم والخط . وكان هو يكتب بقلم أحمر . ونحن نكتب بالقلم الأسود . وكان قلمه الأحمر ميالاً إلى اللون البنفسجى . وعرفنا منه

فى ذلك الوقت أن هذا اللون اسمه : دم الغزال . . وهناك لون أحمر اسمه : لحم الهوام . وكان سيدنا يختار دم الغزال ويفضله على لحم الهوام . وكانت الأقلام فى ذلك الوقت رفيعة وطويلة جداً . وأحياناً يصل طوله إلى المتر ونصف المتر . وكانت على شكل عصا لها رأس ثعبان . .

ولم أتعلم كثيراً فى كتاب سيدنا هذا .

وذهبت إلى كتاب ثالث لأحفظ القرآن الكريم . وحفظت القرآن فى سنتين .

وتطلعت إلى الوعود الكثيرة التى سمعت عنها . فقد وعدنى والدى بأن يشتري لى ملابس جديدة . وشرح لى هذه الملابس بالتفصيل . وتناقشنا فى ألوانها . . وكان أبى أكثر حماساً من أمى . فقد كانت أمى ترى فى هذه الوعود إسرافاً : إسرافاً فى الكلام وإسرافاً فى الإنفاق .

ويوم حفظت القرآن جاء سيدنا معى إلى البيت . وهو فخور . ونحن فى الطريق إلى البيت كان يتعمد الوقوف عند بيوت الناس . أناس لا أعرفهم . ويقدمنى كأحسن «منتجات» الكتاب . وكأحسن تلامذته . وكانت تتردد على أذننى من أفواه لا أراها بوضوح عبارة : الله يفتح عليك يا ابنى . .

وكنيت لا أرى هذه الأفواه بوضوح . فلم يكن من عادتى أن أنظر إلى أحد فى وجهه . لا أعرف لماذا . فقد اعتدت أن أنظر بعيداً عن الناس . أتفادى النظر إليهم . وأتفادى نظراتهم . فأنا أتفاداهم كأنتى استدرجهم إلى أن يفعلوا مثلى . .

ولا أعرف ما الذى قاله الناس لسيدنا . .

وعندما ذهبنا إلى البيت . انطلقت أسبق سيدنا . واتجهت إلى أبى . لأقول له : إننى حفظت القرآن : وأن سيدنا فى الطريق . وأن وأن . . وأن من حقى أن أفوز بما وعدنى به .

وذهبت إلى البيت . ورأيت على وجه أبى ما اعتدت أن أراه كثيراً ولا أعرفه . رأيت وجهه حزينا . والمسبحة فى يده . وأعصابه حائرة وشفته حائرتان . ويده ترتفعان بين الحين والحين إلى السماء وهو يردد دعاء حفظته وأنا طفل لا أعرف معناه . فقد كان أبى يردده كثيراً . لأنه أحب هذا الدعاء . أو لأن هناك ظروفاً متعددة متكررة كانت تقتضيه . كان يقول : اللهم إلبك أشكو ضعف قوتى وقلة

حيلتى وهوانى على الناس .. وهوانى على الناس - ويكرر هذه العبارة الأخيرة وصوته مخنوق بالدموع !

لقد كان أبى إذن يشكو الناس إلى الله .. ويشكو إلى الله أن يخفف من هوانه على الناس . وفى هذه اللحظة الأليمة وفى قلب هذه الشكوى من الناس ، والشكوى إلى الله ، جاء سيدنا يزف إليه هذه البشرى : أن واحداً من أبنائه التسعة قد حفظ القرآن الكريم !

لقد ذهب كل شيء . اختفت فرحتى وضاعت أحلامى وآمالى من الخوف من الهوان على الناس ..

ولا أعرف ماذا قال أبى ولا ماذا قال سيدنا ..

وأدركت أن أبى الذى يحفظ القرآن ويحفظ مثات القصائد من الشعر ، ليس أحسن حالاً من غيره من الناس . بل هو أكثر الناس تعاسة وعذاباً .. وإلا فلماذا يشكو إلى الله . فلماذا يرفع يديه إلى السماء كثيراً . لماذا يبكى وهو يصلى ؟ ولماذا يبكى وهو يرتل القرآن ؟ ولماذا هو حزين ؟ ما الذى فعله أبى ؟ لا أعرف ..

وأصبح من الصعب أن أنظر إلى وجه أبى هو أيضاً .

ولم أعد أقرأ القرآن . ولا أعتقد أننى لمست القرآن بعد ذلك ..

ويوم حفظت القرآن عرفت أن هناك كتباً مختلفة ليس من الضرورى أن يحفظها الناس . وليس من الضرورى أن يحترموها ويقدموها .. إنها كتب فقط . وهذه الكتب تشبه أى شيء آخر . تشبه الأطباق والسكاكين ، وتشبه المقاعد . فى استطاعتك أن تلمسها وأن تتركها . وفى استطاعتك أن تقرأها وأن تتجاهلها . فليست كل الكتب مقدسة . ولا كل كتاب قرأنا وحتى عندما أمضيت سنوات عديدة أذهب إلى الكتاب وأجلس إلى سيدنا وأقرأ القرآن ، حتى «جودته» فما الذى حدث بعد ذلك .. ما الذى لقيت من أبى ومن غيره من الناس ؟ لا شيء . كأننى ما قرأت وكأننى ما حفظت . فعشرات من الناس فى القرية يحفظون القرآن . وهم جميعاً يقرءون فى المآثم . ويذهبون إلى المقابر . وأكثرهم أعمى وأقلهم بعين واحدة .. !

وهذه الكتب التى ليست قرأنا أعطتنى شيئاً من الحرية . فليس من الضرورى أن أحفظها كلها . وليس من الضرورى أن أقرأها كلها . وليس من الضرورى أن أعرف

أحد ذلك . فمضيت أقرأ . ولكن هذه الكتب كانت بعيدة عني . إنها تتحدث بلغة غريبة . ولا تربطني بها صلة . فليس فيها شيء يمكن أن أنقله لأحد . فأنا في الليل أقرأ «أدب الدنيا والدين» وفي الصباح ألعب في الحارة . . وفي الليل أحفظ «دلائل الخيرات» وأستحجم في التربة . ولا صلة بين الاثنين . . ولا صلة أيضاً بين أن تضربني أمي بشدة لأنني تشاجرت مع أحد الأطفال ولا بين أن أحفظ قصيدة «البردة» للبوصري . .

وقد عرفت من أمي بعد ذلك أنني لم أكن أنشاجر بالمعنى الحقيقي . فهي لا تذكر أنني ضربت طفلاً ولا اعتديت على أحد . ولكن أمي في ذلك الوقت كانت تعاني ألماً نفسية وجسمية ومادية عنيفة . وكانت قسوتها على ، نوعاً من قسوة الأيام عليها أيضاً . . وكانت معذورة . ولم أكن أعرف عذرها .

وقد أعطاني القرآن الكريم حقاً في أن أحضر جلسات الذكر . وأن أذهب إلى المسجد أحاول أن أفهم . ولم أكن أفهم الكثير . ولكن كان جواز سقري إلى عالم الفقهاء هو أنني أحفظ القرآن . وحفظ القرآن هو خطوة ولا شك نحو فهم القرآن وفهم أصول الدين . . فأنا بغير شك مفضل على كثير من المصلين . .

ولم أجد من يرشدني إلى فهم القرآن . . ولم أجد أحداً يأخذ بيدي إلى فهم كتب كثيرة . ووجدتني وحدي . . أقرأ ما أجده . . وأبحث عما أسمع عنه . ولم أكن أجد ما أريد . وإنما أجد ما يعجب غيري من الناس .

أذكر أنني قرأت إعلاناً في جريدة «الأهرام» عن إحدى دور النشر في القاهرة يطلب من القراء أن يبعثوا بعشرة قروش عن طريق البريد ، والدار تبعث لهم بنسخة من أهم الكتب التي صدرت هذا العام . وجمعت العشرة قروش وأرسلت خطاباً إلى دار النشر . وكنت في ذلك الوقت تلميذاً في الثانية الابتدائية . ولم يصلني رد . وسخر مني الناس . وأكدوا لي أن هذه الدار قد نصبت على . ولم أفهم في ذلك الوقت معنى ما حدث .

ولم أرسل خطاباً إلى أحد من الناس بعد ذلك . وكنت أحب أن أكتب الخطابات إلى أصدقائي . في أثناء الأجازة الدراسية . وكانت خطاباتي أقرب إلى المذكرات فكنت أحدث زملائي عن الكتب التي قرأتها وعن مجالس أبي وأصدقائه . ومن

الغريب أن زملائي كانوا يتلقون خطاباتي هذه بالاستخفاف ، وكانوا لا يردون عليها .
وحدث أن واحداً منهم كتب لى خطاباً يقول فيه إنه سيسافر إلى الإسكندرية
لسيتحم فى البحر . ولم أفهم هذا الخطاب . ولم أعرف لماذا يسافر الناس إلى
الإسكندرية ، ولماذا الإسكندرية . وما الذى يفعله الناس فى البحر ، وأى نوع من
البحار هو . وحاولت أن أعرف معنى هذا اللغز ولم يدلنى أحد . . ولم أعرف بحر
الإسكندرية إلا بعد أن تخرجت فى الجامعة فرأيت لأول مرة من الطائرة وأنا فى
طريقى إلى أوروبا !

ورأيت فى الريف ما رآه الكثيرون : الحياة ضيقة خافتة مخنوقة . النهار قصير
والليل طويل ، وكان نهارى أضيق من نهار الناس ، وليلى أطول من ليل الناس . فقد
عشنا غرباء فى بلاد كثيرة . كنا نجرى مع أبى من قرية إلى قرية . ومن مدينة إلى
مدينة . وكان انتقالنا يحدث فى الليل . . وكان الليل كريهاً وكان مخيفاً . وكنت
أرى فى الليل أشباحاً كثيرة . وكنت أنهض مفزوعاً لأجد كل من فى البيت نائماً .
وكنت أنهض من النوم لأجد سلالم نزلت من السماء . وأجد يداً طويلة تمتد
لأنقاذى . وفى إحدى المرات عندما تدلت هذه اليد من السماء تركتها لأجمع
كتبى وأجرى معها . وعندما نزلت من السرير وجمعت كتبى لم أجد السلم ولم
أجد اليد . وإنما وجدت أبى يصلى ويدعو الله قائلاً : وهوانى على الناس . . وهوانى
على الناس .

ولما رأتى أبى قد جمعت كتبى وكان هو قد فرغ من صلاته وضع رأسى على
ركبته ولمسنى بيده حتى أنام . ونمت . وفى الصباح وجدتنى على فراشى . ولم يشأ
أبى أن يأخذ منى الكتب . لقد وضعها إلى جوارى على الخدة .
ولم أعد أرى هذا السلم ، ولا هذه اليد الممدودة من السماء .

وكانت الكتب وحدها هى التى تقوم بدور السلالم . . وكان مؤلفو الكتب هم
الأيدي المتواضعة التى تأخذ بيدى فيختفى النهار فى الليل وتختفى مخاوف الليل
مع فجر النهار . وكنت أغلق بابى فى وجه الريح ووجه الذئب وأفتح أبواباً أخرى
فى هذه الكتب .

وفى تلك الأيام لم أكن أشعر بالأمان . فهذه الكتب لم تمنع أبى من أن يدور
ويدوخ . لماذا ؟ لا أعرف . لماذا نحن على سفر دائماً ؟ لا أعرف . لماذا تجمع ملابسنا

فى حقائب ونضعها فى سيارة واحدة وننتقل مع الليل من مدينة إلى مدينة
لماذا؟ لماذا نضع أى ساعة الحائط على ركبته وتضع أمى حقيبة الملابس على
ركبتها . وأضع أنا الكتب وبعض أدوات الطعام على ركبتي وأظل طول الليل أنظر
إلى حيوانات غريبة تتعلق بالسيارة . حيوانات مثل الدئب وأحياناً مثل الحصان
وكله تطرد اسيارة . ثم لا أنطق بكلمة . وإنما يسقذنى النوم من الفزع . ويمنعنى
الفرح من السؤال . وعندما تتكون مهردات السؤال على شفتي تمنعنى ابتهاالات أى
إلى الله أن أقطع عليه هذه المكلمة اللاسلكية مع السماء وأسكت . وكل يوم أرى
وأسكت . وأخاف وأسكت . وأفرع وأسكت . وأتوهم وأسكت . . وأمام لأرى ما
يخيفى وأسكت . وتجيء الكتب تنقذنى وتحطمى من مخاوفى من الطعام الذى
يوضع أماما فى طبق واحد ونفرغ منه فى دقائق فطعامنا فى ذلك الوقت كان
من الممكن أن يتناوله الإنسان بيد واحدة . . فما حاجة اليد الأخرى لمن يقطع لقمة
من رعيّف ثم يبلها فى طبق كانت يد فى الطبق ويد تمسك الكتب ثم اليدين
معاً تمسكان الكتاب . ا

وكان نى رميل فى مدرسة أبى حمص لابتدائية وكان قادراً على شراء
الكتب . وكان يشتري منها الكثير وكانت كل كتبه روايات بوليسية دنيا
أخرى . . أسماء أحسية . . أسماء الناس واششورع . . وهناك مطاردة مستمرة .
مطاردة فى داخل الرواية . ومطاردة مى لهذا الصديق . فأنا أذهب إليه وأحد كل ما
عنده من روايات . عشرين رواية وأحياناً ثلاثين . وأعيدّها إليه بعد أسبوع . . إنها
دنيا مثيرة عربية عجيبة . . دنيا أخرى غير هذا العالم البليد الخاق الذى يتدحرج
فيه !

ولكن لاحظت أننى كنت أقرأ ولا أفهم فأنا لا أستطيع أن أرى قصة واحدة
ولا حدث واحدة . وإنما كل ما يحدث هو أسى أقرأ وأسمنع فقط ويصعب الوقت .
فإذا جاء الليل كنت مهزود . وممت . ومع العجز أفنح عيني على هذه الروايات
المثيرة وربما كان سبب عدم حفظى لهذه الروايات أننى لا أجد من أحكى له .
لا أحد . فأنا وحدى أقرأ . وأنا وحدى ملهوف . وأنا وحدى متعزل عن العالم
لا أحد . كأننى أعيش فى فراغ .

وكانت متعتى مطلقة مؤكدة . ولكن متعتى لم تكن كالأعراض معدية . لم أكن قادراً على نقلها إلى أى أحد . فلم يكن هناك أحد .

ورعاً كانت العائدة السسسة المؤكدة لهذه الروايات أنها جعلتني أتحفف من اخوف والفرع فقد كانت هذه الروايات نوعاً من اللعب بالخوف . وفي نفس الوقت انتصاراً على الموت . فقد كنت أقرأ هذه الروايات وأنا مشدود مشدود حائف لكن هذا الخوف كان مجرد «إسماح» مني مع حوال الرواية . مجرد تأثر . ثم لا يلبث أن يتلاشى . فهو خوف مؤقت . خوف فني مدروس مركز وبكته خوف لديد . يعني أنه من الممكن أن يكون الخوف لديداً مسيئاً . وليس شيئاً ثقيلاً لبيداً . حجراً يسد الطريق أمام التفكير وأمام الحياة . ويسد قرص الشمس . . بل ويسد الطريق إلى رحمة الله . ولا يحدى معه هذا الدعاء الذي أقوم وأذم عليه . . أو أتساقط بس حروفه وكلماته : . . وهوانى على الناس !

وعشت سنوات طويلة في «رويات الخيب» التي تقدم ملخصاً للأدب العالمي والتي كان ينشرها عمر عبد العزيز أمين . .

وعندما انتقلت إلى المنصورة . انتقلت أيضاً إلى عالم حديد من الكتب فعالمى كله كتب وديبائى كتب . ووسيلى إلى أن أدوس الواقع ورتقى على سلالى سحرية إلى ما فوق الطسق الواحد . وإلى ما فوق السيارة المرتجفة في الليل : هي الكتب دائماً .

وفي المنصورة كانت هناك مكتبة عامة . .

فيها ألوف الكتب في لأدب والتاريخ و «الفلسفة» وقد سمعت عن هذه الكلمة لأخيرة لأول مرة في المنصورة . ولم أكن أعرف بالصضط معها . ولكن أغلب الطل أنها أفكار عريية . وعندما لاحظت أن الناس يطقونها باحتقار أدركت أنها نوع من الأفكار الكريهة . وعاشاً الأفكار التي تنامي مع الدين !

وقببت في الكتب التي قرأت عليها كلمة «فلسفة» وكانت أصابعي ترتحف كأنها تمشى على حقول لعام . وكانت عيائى أكثر خوفاً من أصابعي . والذي قرأته لم أفهم منه شيئاً .

وبدأت أقرأ فى التاريخ . . لم أحد متعة وصحة . ولا أذكر أحداً من المؤلفين .
ووجدت فى المكتبت كنباً صغيرة ثيقة عن السيرة الإسلامية . . وكانت هذه
الكتب ملفوفة فى ورق سوليمان واحترت منها واحداً من تأليف محمد صبيح . .
وكان عن (محمد) . . وأخذت كتاباً ثانياً وثالثاً . واشتريت كل المجموعة .
الكتب سهلة العبارة رحيصه الثمن . ويمكن أن يصعها الإنسان فى جيبه
ليفتحها فى أى مكان يجلس إليه . .

وأعظم حدث فى حياتى كقارىء عندما سمعت عن مجلتى «الثقافة»
و«الرسالة» . .

وعر طريق هاتين المجلتين عرفت دنيا الأدب والفكر فى مصر . وارتبطت نهائياً
بالثقافة المصرية والعربية . وناعت المؤلفين والفصايا . وأحسست لأول مره أسى فى
«الحو» المناسب . . وأن هذه هى درجة الحرارة التى أستطيع أن أعيش فيها . . وأنسى
رأيت نفسى . وعرفت قدراتى ورعساتى . . هنا . . ها . . ها - ومع هؤلاء وبين
هؤلاء . ولغة هؤلاء . . وضمن هؤلاء . .

وقرأت للعقاد . وهزنى لعقاد . . وبهرنى . . وتابعت معه كل
قصاياه . وأصحت من أكثر الناس تردداً على بدوته يوم الجمعة عندما دخلت
جامعة القاهرة . .

وقرأت لظه حسين . وقرأت لتوفيق الحكيم . . وقرأت لكل أعلام الفكر والأدب
والهن . . وأحببت المكتبات العامة . فيها كل ما أريد . وأكثر مما أريد ولكن
ليست فيها حريتى . فأنا لا أستطيع أن أنتقل بين رفوفها . . ولا أستطيع أن أتحرك
كثيراً . ولا أحد فيها المحلات الأدبية يوم صدورها . . واكتشفت «الكراهية» فى
وحوه رملائى من التلاميذ فقد كنت تميزاً متفوقاً . . وكرهت ملابسهم الجديدة
وأحذيتهم الجديدة . .

وكرهت المكتبات العامة لأنها تجعلنى أحس بأسى عاجز عن شراء ما أريد .
وعاجر عن قراءة مجلتى الثقافة والرسالة فى نفس اليوم . . وأنا لا أطيق صبراً على
الانتظار يوماً ويومين حتى تشتريها المكتبات العامة .

وكرهت الكتب . وكرهت الكتابة والقراءة . ففى كل يوم يتأكد لى أن أسى لم

يستند مما قرأ . وأن الذى قرأه - وهو كثير - لم يخفف عنه أهوال الحياة . ولم يصع
يديه إلى جواره . بل إنه ينام مرفوع الذراعين مكس الرأس مكسور النفس فما
الذى فعلته الكتب ؟ ما الذى فعلته القصائد ؟ ما الذى فعلته الوادر ؟ ما الذى يمكن
أن يفعله من يقرأ ومن يكتب ؟ ما الذى يمكن أن أصبح إليه أأ ، دون سائر أخوتى ،
إذا كنت سأهتم بالكتابة والكتب . وبالشعر والتاريخ ؟ ليس من الصعب على أسمى
أن ترى نفس النهاية . . نفس المصير . ورعاً كان مصيراً أسوأ من مصير أبى . . فقد
كنت أسبق إلى حفظ القرآن من أبى . هذا رأيه الذى يؤكد كل يوم وفى كل
مناسبة . ثم أسمى قرأت فى وقت قصير أضعاف ما قرأ هو . ثم أسمى تلميذ مجتهد
أكثر اجتهداً من أبى ومن كل إخوتى الذين يكبروسى والذين يصغرونسى .

وكرهت الكتب . كرهت حتى للكتب كرهت صغرى أمامها كرهت تعلقى
بها . . وازدادت كراهيتى يوم حملتها جميعاً لأبيعها بالأقة كرهت أن أحملها كرهت
أن أبيعها . كرهت أن يشتريها أحد كرهت كل الناس فى الشارع . فليس فى أيديهم
كتب ملعوفة موطاة حمراء نظيفة كرهت الحداد التى أتسأد عليها . التى أتحيط
فيها . كرهت البقال . كرهت رائحة الحبنة والصابون والخلوى ، كرهت الميران الحاسى ،
كرهت الموزين كرهت الأفة والأوفية كرهت المروش . . كرهت الخمر الساحن الذى
اشتريته بعد ذلك . . كرهت الخمر الذى كان حمس أقات من الكتب . . بعته على أنها
ورق . . مجرد ورق . . هل العفاد ورق ؟ هل طه حسين ورق ؟ هل الشعر مجرد ورق ؟
هل (آدب الدنيا والدين) مجرد ورق ؟ هل السيرة السوية ورق فى ورق ؟
حتى كرهت كلمة : كرهت . .

كيف أنام ؟ كيف ينام البقال الذى اشترى كل ما عدى من كتب طبعاً سوف نام
هذا الجزار اهدا الذى رأى الكتب ملعوفة فى موطاة كأنها طص . لفيط . بل طفل
شرعى . . بل أن يبيع الكتب ليس إلا نوعاً من بيع الناس كرقيق . لا يوحد رقيق . فكل
الناس ككل الناس ولكن القادرين من الناس اشتروا الفقراء . جعلوهم سلعة جعلوهم
عبيداً = الفلوس هى التى جعلت بعض الناس سادة . . وجعلت أكثر الناس عبيداً =
الفلوس هى التى جعلت أناساً يملكون شراء الكتب ولا يبيعونها من أجل الرعيف . .
وجعلت بعض الناس يبيعونها حيه دامية ناصه من أجل رعيف .

إننى بعث كتسى . لهد بعث قطعه من نفسى وإن كانت كلمة «نفسى»
لم يكن بها معنى فى ذلك الوقت . فلم تكن لى نفس .. بل لم يكن (لى) أى
شئ - فحرف نيباء فى كلمة «نفسى» لا يعنى أى شئ .. ولا أظن أسى
استخدمت هذا الحرف إلا أخيراً جداً عندما أتحدث عن شئ يخصنى ، فلم يكن
يخصنى شئ طول عمرى - لأننى كنت واحداً ضمن كثيرين . وهؤلاء الكثيرون
لا شئ يخصهم . بل هم لا يخصصون أحداً من الناس !

ومن لآن عندما استخدم هذا الحرف فإسئ حسئسى استعترته . أننى
استأجرتة .. وأننى سوف أردّه إلى أصحابه . !!

وقررت بعد ذلك ألا أُمشى فى هذا الشارع من أوله لآخره . ولم أذهب إلى بقا
طول عمرى .. ولم أنظر إلى ميران . ولم أدق طعم الجسه والحلاوة عشرات السنين .
وفكرت فى الاشتجار وكانت هاه أول مرة . فقد فكرت بعد ذلك كثيراً وعلى
فترات متباعدة . ولأسباب مختلفة . وقررت من أول مره أن ألقى بنفسى فى
السل . ولم أسر أن أكتب حظاً لآسى أعتذر فيه . وعندما وقعت على كوبرى
المصورة تذكرت أن أمى مريضة وأنها تتقلب فى فراشها رافعة يديها إلى السماء ..
وأن أبى هو الآخر يرفع يديه إلى السماء ..

وعدلت عن الانتحار . ولا أعرف ما هى القوة الغريبة التى جعلتسى أنذكر هذا
كله .. وجعلتنى أعدل عن الموت ..

وأبعد أيام حياتى يوم جاء نرنيسى الأول فى التوجيهية .. وكان من نصيبى أن
أفوز بجائزة من الكتب وجائزة مالية . أكتب قدمها لى وزير المعارف بحيب
الهلالي باشا فى ذلك الوقت . والملح كان خمسة وعشرين حبيباً . وكان ملعاً
كبيراً فى سنة ١٩٤٣ . فقد ذهب مع أبى واشربيا دفر نووير . وأودعنا هذا المدع .
ودهب إلى مكتب البريد أسحب جزءاً . وسحبت خمسة حبيبات وشترت أول
كتاب قيم فى حياتى وكان فى «تاريخ الملففة اليونانية» للكاتب الألماني تسالر ..
أول كتاب . أول مرجع . أول نواة فى مكتبة أصبحت الآن تضم أكثر من خمسين
ألف كتاب بست لغات مختلفة .

وفى تلك الليلة - ليلة اشتريت هذا الكتاب - لم أعرف اليوم فكل شيء جديد . كل شيء غريب . ورق الكتاب ، علاقه السميكة ، رائحة الورق ، رائحه الخبز ، طعم الورق ، ضخامة الكتاب . اللغات المكتوبة فى الهوامش . الألمانية واليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية . وكنت فى ذلك أعرف القليل من الألمانية والفرنسية والإيطالية ..

لم أتم تلك الليلة . ولم يسقط الكتاب من يدى إلا على دقات غريبة على السلم الخشبى وكانت غرفتى تقع إلى جوار قصر من قصور الرمالك . فصاحبة القصر سيدة من عائلة يكن . وكان أبى يعمل مهندساً على أراضيها الواسعة . وصحوت من استغرقتى فى القراءة . وافترت الأقدام . ونهالت الدقات على الباب بعف . ولم أجد عسى أن أتقدم من الباب . وصحائى . وذهب يفتح الباب ومن مجموعة الصرحات العبيمة والكلمات الملتوية لم أتبين إلا كلمة : حاضر . حاضر .

وكان أبى هو الذى يقولها ..

وأقبل الباب . وطلب منى أن أدم . وأطفا هو لمصباح وغلبنى النوم . وعت . وسألته فى الصباح . فقال : إنها رأت نور الغرفة .

ولم أفهم . وعاد أسى يقول : إنها بخية . ولابد أنك كلفتها ما قيمته عشرين مليماً من الإضاءة !

وكانت تلك أول ليلة أقرأ فيها كتاباً قيماً ومن فوسى ..

واعتدت أن أقرأ بالنهار . ولم أقرأ على ضوء المصباح فى هذه العرفة ليلة واحدة . واعتدت أن أدم فى ساعة مبكرة مع العصافير والدراجين . وأصحو مع صباح الديك .. وعلى ضوء النهار أقرأ ..

وعلى ضوء مصابيح شارع الأمير حسين فى الرمالك - وهو نفس لشارع الذى أسكن فيه البيت رقم ٣٨ كنت أقرأ وأقرأ ..

وقد لاحظت هذه السيدة - عمت هانم يكر - ننى لم أعد أستخدم المصابيح .. وأن بعض نوابى القصر لاحظوا أيضاً أننى أحلس تحت مصابيح الشوارع وأقرأ . فاستدعتنى السيدة وطلبت منى أقرأ لها بعض الكتب وطلبت من أحد الخدم أن يصحبنى إلى مكتبتها .. وذهبت لأرى مكتبة رائعة . وكانت الكتب كلها بالفرنسية وفى العانوى ولتاريخ العثمانى والثورة الفرنسية . وهناك كتب لعدد كبير من أدباء فرنسا

وأحسست بالضيق ، فلا أعتقد أن لعتى الفرنسية فى ذلك الوقت تمكنى من القراءة ، ولا أعتقد أننى قادر على قراءة أو حمل شيء من هذه الكتب إلى غرفتى . . ولا قادر على قراءتها فى بيت هذه السيدة .

وأخشى إن أنا رفعت لها طلباً أن يؤدى ذلك إلى حراج أسمى . فقررت بينى وبين نفسى أن أعد لها أية رعة ، حتى لو طلعت مى أن أرتب هذه الكتب وأنظمها كل يوم . . فقد كنت أفعل أسوأ من ذلك فى كتابتى الهوى

وطلبت مى هذه المسند أن أقرأ لها بعض هذه الكتب فى الليل . يعنى ذهب إليها فى القصر وأقرأ لها بصوت مرتفع بعض هذه الكتب . واعتدلت بأن لغتى الفرنسية لا تسعفى وأيقظنى من هذه السيدة أسمى مرضت ، وكان ركاماً حاداً واحتملت الركاب ، ولكن أيقظنى بهائياً منها ، إن أصابى مرض حلقى . وعرفت فيما بعد أن هذا المرض كان قد أصابها هى أيضاً قبل ذلك . إذن فأثاث القصر قديم وليس بعيداً أن تكون عدى حساسية للتراب المتناثر من الصوف أو القטיפه فالحمد لله الذى أيقظنى من أن أقرأ لسيدة حرمتنى أعظم متعة فى حياتى . جعلتنى أطفئ النار فى ليلة عرسى أول ليلة أقصبتها مع كتاب عظيم اشتريته بمالى !

ولكنى عرفت بها بعد ذلك عدم أهلى كتاباً فى عيد ميلادها . وكان هذا الكتاب هو « لأفكار » للمفكر الفرنسى ناسكال . . وقد هزنى هذا الكتاب . هزنى من أعماقى وهزنى فى سن مبكرة .

وأحسست أن هذه السيدة الحامدة لليلة قد أسدت لى معروفاً لى أساء . فهذا الكتاب بما فيه من أفكار عريضة وحريئة وحديده قد فتح لى آفاقاً عريضة . . فهو ليس كالكتب . . والمؤلف ليس كأي أحد من الناس قرأت له أو قرأت عنه .

وعندما دخلت الجامعة . دخلت العالم الواسع العميق . . وأصبح كل شيء قريباً عند أطراف أصابعى . . كل المفكرين والأدباء والعلماء . . والعظماء والعاقرة . . السموات والأرض . . الخيال والوهم . . إننى أتردد على مكتبة الجامعة . إسمى أعيش . وستدرك ما فات . . وما فات كثير

حداً . . . ولم أعد أشعر بأى نقص ولا أى عجز أمام مئات الألوف من الكتب فى هذه المكتبة . . . فأمامها يفقد الإنسان أى أمل فى أن تكون له مكتبة . بل إن فقدان الأمل شىء طبيعى فلا أمل . ولا يأس أيضاً . بل لا تفكير فى أمل أو يأس . . . فهذه المكتبة عند رموش عيني . . كل شىء . . كل فكر . . هذه هى الحياة . . هى الدنيا . لو كان الإنسان يستطيع أن يقرأ طول عمره ! لو كان العمر يتسع لكل هذه الكتب ؟

إن الفتحة التى أنظر منها إلى العالم الخارجى - خارجى أما - قد اتسعت . . . كاتب فى أول الأمر فى اتساع ثقب المفتاح . . ثم أصبحت فى اتساع البافدة . ثم أصبحت فى اتساع الأفق نفسه . .

وامتلأت ديباى بالأسماء : أسماء لمفكرين وأسماء الكتب . . وأسماء النظريات والكلمات العديدة ، وأصبح كل شىء لامعاً باهراً . حديداً . . حياً . . معشاً . .

كأننى سمكة انتقلت من نهر إلى بحر . ومن بحر إلى محيط

ونعيت كثيراً أن أترجم الكتب التى أعجبتنى وحاولت أن أترجم وترجمت ومرفت ما ترجمته ترجمت كتاباً فى «علم الجمال» وكنت أقرؤه مع المرحوم الدكتور منصور فهمى دشا . فقد كان يدرس لى وحدى فقد كنت طالب لفلسفة الوحيد فى قسم الامير . وكنت قد ترجمت هذا الكتاب ليكون نصاً أدبياً . وترجمت كتاباً عن الفيلسوف «كنت» وترجمت كتاباً عن الفلسفة الماركسية . وظلت هذه الكتب عدى وما تزال ولا أظن أنى سأنشرها فهى محاولات فى تفهم ولذلك فهى أيضاً محاولات فى الترجمة أى نقل فهمى إلى الآخرين . .

وحاولت الكتابة . .

وكتبت عدداً من المقالات وطبعت عدداً من القصائد . وكتبت عدداً من القصص . وبعض المسرحيات من فصل واحد .

وكنت محاولات حاءت فى فترات الاستراحة من المراءى والدراسة . . وأرى أيضاً أنها لا تستحق النشر . ولكنها فقط تدلنى على ما الذى كان يدور فى نفسى فى ذلك الوقت وقد لاحظت أنها تكشف خوفاً شديداً وقلقاً هائلاً وأنسى فى

هذه المحاولات أشبه واحداً يمشى على صفيح ساخن فوق نر جهنم . وربما كان الشيء الوحيد الغريب هو أننى كنت أتحدث عن الأمل - عن الأمل فى النجاة من الموت ومن جهنم !

والنجاة لا تزال ممكنة عن طريق الكتاب . . الذى أقرؤه والذى أكتبه . وما أكثر ما يمكن أن أقرأه . فأنا أقرأ فى معظم مجالات المعرفة الإنسانية . وأحد الراحة فى أن أتقل بين الأدب والعلم والرحلات والجغرافيا والتاريخ والمقد والفلك . إنها رياضة نفسية وعقلية . . وهى راحة ولا شئ . فإذا تعبت من الأدب استرحت فى الفلك . وإذا مللت الفلك انطلقت مع الحشرات . .

وأحياناً أقرأ فى أول الليل . . وأحياناً أقرأ عند منتصف الليل . . وأحياناً أقرأ قبل أن أكتب . . حتى أكتب . . أو حتى لا أكتب . . وهى كثير من الأيام أقرأ حتى أجد رعة فى الكتبه . وأحياناً أكتب وأكتب حتى يخيل إلى أنى لن أقرأ بعد ذلك . ولكن بعد ذلك أقرأ وأقرأ .

ولا أقرأ إلا حالساً . . وإلا على مكتبى . . ولا أقرأ نائماً أو مسترخياً . ولا أعرف - ولم أعرف - كيف يمكن أن أسترحى وفى نفس الوقت أفهم ما أقرأ . لا أعرف . ولا أدري كيف أعرف أن أيام وأعود وأمسك كتاباً . حاولت فلم أفجح . ويظهر أنى أقرأ الكتاب وكأننى أكتبه . تماماً كما تترك سيارتك لواحد يقودها بدلاً منك . . فأنت لا تستطيع أن تتجاهل حركات يديه ورجليه . . ولا إشارات امرور . . فلا أنت تفقد السيارة ولا أنت تجلس إلى حوار قائدها . وإنما أنت الإثنان معا . وكذلك عندما أقرأ كتاباً فأنا أحلس إلى حور سائق الكتاب . . لا أستطيع أن أسى أسى سائق مثله . ولا أستطيع أن تتجاهل حركة يديه وساقيه . بل حركات عينية وأذنيه . ولا أسى أن أضع يدي على قلبه . ولا أن أضع يدي على قلبى . لا أستطيع إلا أن أكون كاساً وأنا أقرأ لغيرى من الكتاب !

ولى أصدقاء كثيرون بين المؤلفين . أعرفهم وأعرف متى أقرأ لهم وما الذى أتوقعه عندما أقرأ . وما الذى فى استطاعتهم أن يقدموه لى . فهناك الكاتب الذى أحس أنه مثل السك . أستطيع أن أجد عنده كل أنواع العملات وأن أعير عنه ما معى من أموال . وأن أحول الأوراق المالية الكبيرة إلى فكة . وهناك الكاتب الظريف المسلى . . وهناك الكاتب الذى يعطى لأمل فى الحياة . وهذا الأمل لا

يحيىء إلا عن طريق الفن . . وهناك الكاتب الذى يستطيع أن يعلو فوق الدنيا ويراها من أعلى . . ويحملنى معه . لأرى ما لا عىى رأيت وأعود إلى الأرض أكثر بأسا من الإنسان . . ومن الحياة . .

وأصبح من السهل أن أعرف ما الذى أجده وما لدى أتوقعه . وأحيانا أستريح إلى هذا الذى أتوقعه . لأننى أريده . أريد أن أسمع ما اعتدت أن أسمع وأن أفكر فيما اعتدت أفكر . .

وعندما أريد أن أوقف خيالى . وأنه حواسى . وأضع قدمى إلى حوارى ، أقلب فى كتب الشباب أجد فى أوروبا وأمريكا . رى معهم الدنيا ، وقد تغيرت معالمها وتبدلت ملامحها . وأصبح للحياة طعم اليأس . وأصبح لليأس طعم البارود . . ولكن ليس فى الدنيا أمتع من كتاب . .

إن ساعات كثرة بقصبيها الإنسان فى القراءة لهى ساعات من السعادة . حتى لو كان الكتاب يتحدث عن السعاسة الإنسانية : فإن مشهدة عملية اخلق وعملية الإبداع لفكرى عند مؤلف الكتاب يجعلنى أنسى السعاسة وأشعل طول الوقت بلمس بضات المؤلف . فليست سطور الكتاب إلا عروقا من الدم إن ساعات القراءة لا أول لها ولا آخر . إنها ساعات لا علاقة لها بالرمز . . إنها خارج الرمز . .

نحن نقرأ ونقرأ وسطر إلى ساعات فلا يحدها رقاما . . ولا نسمع إلا دقائق . . فلا رمز . فلا ساعة تحركت لا قدمت ولا أحررت . إنها تدق . إنها تنص . . إنها تخفق . . إنها لحظات لا تحبسها العقارب . . لقد تحدثت نفسى أكثر من مرة لقد حاولت أن أصعب الساعة أمامى وأسجل الرمز على ورقة . .

ثم أشرع فى فراءه أى كتاب . . وبعد وقت قصير أو طويل . . أرفع عيسى عن الكتاب . ثم أخمن الزمن ، وفى جميع المرات لا أعرف .

لأن الكتاب يستغرقنى تماما . . يجعلنى لا أشعر بالرمز . . ويجعلنى أنسى متى بدأت . وأنسى متى توقفت عن لقراءة . . ولا كم من الرمز ربح مى . أو صاع مى . . وأصعبته فى القراءة أو على الأصح كسسته من القراءة وفى القراءة

- وفي جميع ارات لا أعرف ولم أستطع أن أعرف - فساعات القراءة .. هي ساعات نسيان الساعة .. ولحظات نسيان الرمز وساعات تدق وتدق فقط فعقدربها أغرقها استعراقنا في الكتاب الذي نقرؤه .. وكل كتب هو سفينة مشحونة بالبصائع في محيط الفكر . أو كل كتاب هو بوصلة ترشدنا في غياهب العقل الإنساني ..

وفي هذا الكتاب أعرض نوعاً من هذه البوصلات .. إن كل ساعة لا أقرأ فيها . هي ساعة كلها عقارب تسع .. وأن ساعة قُرا فيها لهي ساعة بلا عقارب .. هي ساعة بلا زمن .!

واسقلت من القراءة إلى الكتابة .. إلى القراءة وأصبح أعيش ما أقرأ . وأعيش ما أكتب . وفي مهبط عواصف الزمن أعمت لنفسى كوخاً من الورق المطبوع !

أنليس فنصور



هذه الواو التي بيني وبينك

- أنت فين يا أخى ؟

- الدنيا مشاغل .

- طيب يا أخى اعط واسأل . . . إنت كسلان تمد إيدك وتحرك فرص التليمون

- ضرورى إن شاء الله أمر عليك . . . ضرورى . . .

- . . . الخ .

كلام

يدور بين الناس فى كل وقت بل إن الشكوى من عدم الاتصال هى افتتاحية الحدث بين الناس - فكل واحد يشكو من أن واحداً آخر لا يصل به ولا يسأل عنه . ولا يكلف خاطره أن يطلبه فى التليفون ، مع أن هذا الذى يشكو فى استطاعته أن يتصل بك وأن يشط فيمد يده من حيبه إلى فرص التليفون وتنتهى مررات الشكوى ، ولكن الشكوى عنصر ضرورى فى الكلام بين الناس . واعتاد الناس الشكوى ولذلك فهم حريصون على أن تظل أسباب الشكوى قائمة . وهى : أنت فين يا أخى ؟

هل المسافة بين الناس بعضهم وبعض اتسعت فجأة ؟ أم أن المسافة بين عقول الناس تباعدت فجأة ؟ أم أن المسافة بين عقول الناس تباعدت فجأة هل انتقلت قلوب الناس إلى جانب آخر من الجسم ؟ هل انحمت عواطف الناس إلى أشياء أخرى بعد أن حربت التعلق بالناس ففشلت ؟

هناك عشرات الأسباب ولكن النتيجة أن المسافة بين الناس قد تباعدت وهى استطاعتك أن تنسأل . من الذى أعرفه من سكان الدور الذى أنا فيه ؟ من الذى أعرفه من سكان العمارة . . الشارع . . . المدينة ؟ من الذى أعرفه من الرملاء فى

العمل ؟ من الذى تربطى بهم صلة ؟ وما معنى هذه الصلة ؟ هل هى مجرد
رمالة ؟ هل هى صداقة ؟ هل هو الشوق والحسب دا عاب واحد ما عن الآخر ؟
وأكثر من هذا . . ما الذى يربطك بالذين يعيشون معك فى نفس الشقة .
أمك ؟ زوجتك ؟ أولادك ؟ هناك صلات ولكن ما شكلها ؟ هل عندك وقت لأن
تجلس وتأخذ وتعطى . وتصلح ما اكسر من العلاقات الرجاجية الشفافة . .
وكيف تصلح هذه العلاقات ؟ بالجلوس أمام التليفزيون ؟ إن الخنوس أمام التليفزيون
بحول المتفرحين إلى أناس صامتين لا يتكلمون فكأنهم فى سدين محتفين
يفرحون على شيء واحد ؟ هل نذهب إلى السيما ؟ إن السيما هى تليفزيون
كبير يجلس أمامه السس بالمئات ولا تربطهم أية صلة بعضهم ببعض والذهاب
إلى مباريات كرة القدم ؟ بهم يجلسون بعشرات الألوف ولكن لا صلة بينهم
إنهم متحاورون فى المكان إن الصلة بينهم صلة جغرافية تماماً كما يتقارب نهر
وجبل . وجبل وصحراء .

إن الحصاره هى مواصلات . . فالحصارات كلها نشأت فى ودين الأنهار . لأن
الأنهار وسيلة مواصلات تربط بين الناس وتطورت السمس إلى بو حر وتطور
الحمام الراحل إلى طائرات وتطور الزعيق والماداه إلى تليفون وميكرفون . وتقارب
الناس . فهل استطاع التليفون أن يقرب بين الناس ؟ لقد أصبح التليفون إمكانية
معطلة به على استعداد دائم لأن يوصل ما تريد إلى مرديه من الناس . ولكن
التليفون على الرف لا لأنه عاجز عن القيام بشيء . ولكن لأن صلته بالناس
هى التى على الرف .

هل استطاع التلغراف أن يحل مشكل الوقت بين السس ؟ فبدلاً من أن تبعث
إلى أى إنسان عرير فى مناسبة عريرة بحطاب طويل فى استطاعتك أن تختصر
وقتك وأن تفسد نفسك من الكذب العاطفى فتبعث سرفية . فهل تفعل ذلك ؟
طبعاً لا . لماذا ؟ لأن المسافة سنك وبين معرفتك ورملائك وأصدقائك وأقاربك
أبعد من أن يصل إليها تلغراف . إنها مسافة بعيدة عن العين وعن القلب . فما
الذى يشعلك ؟ إنه كثير جداً . وهو نفس الشيء الذى يشعل غيرك . .

حتى السلام باليد

لقد ابتدع الإنسان من ألوف السنين عادة السلام باليد . وكان غرضه أن يعرف إن كان عدواً يحمل سلاحاً . ولذلك كان لابد أن يحرص على أن يمد يده التي أخفاها عدوه وراء ظهره . فإذا امتدت اليد حاء ذلك دليلاً على أنه لا سلاح وراء ظهره - طبعاً هذه أيام كان الإنسان لا يستطيع أن يحفى القوس والسهم والرمح والسكين في جيبه . كان ذلك قبل عصر المسدسات وأجهزة التسجيل التي تأخذ شكل رراير لجاكتيه ودبوس الكرافته . ولكن في عصر هذه الأجهزة الصغيرة الدقيقة عدل الإنسان عن عادة السلام . إنه يكتفى بأن يهز رأسه أو عينيه . إنهم في الهند يرفعون اليدين مضمومتين للسلام على الشخص الواحد وعلى ملايين الأشخاص أيضاً .

وأنا أعتقد أن الإنسان بالعدول عن السلام باليد أصبح أكثر صراحة لأنه بالفعل يخفى شيئاً لا وراء ظهره ولكن تحت جلده . أما هذا الشيء فهو : أنه لا مبرر للسلام . فالمسافة أبعد من أن تقطعها يدي إلى يدك .

ولو استمعت إلى الرسائل التي يبعث بها الطلبة إلى أولياء أمورهم أو العرباء إلى أفرهم ها أو في الخارج ، لرأيت شيئاً عجيباً . فهي برامج : (أبناؤنا في الخارج) في البرنامج العام و (ألف سلام) في صوت العرب (وأهريج ومكتيب) في إذاعه فلسطين تجدد عنصراً واحداً مشتركاً . أن الجميع يشكون من قلة الرسائل . الأس لا يبعث لوالديه مد شهرين . . . والابن لا يبعث لوالديه مد سنوات . . وأحياناً من عشر سنين . .

حتى برامج (ما يطلبه المستمعون) هي كل الإذاعات ليس إلا نوعاً من الرسائل غير الشخصية والتي ليس لها أي معنى أو دلالة خاصة . فما معنى أن نبعث : سوزى وتوتو وفيصى وبوسه ونوال إلى حالتهم خيرية وعلية بأعنية يا عوارل فلفلوا لفريد الأطرش بمناسبة النجاح في الإعدادية ؟؟

ما الذي نقوله هذه الأعنية بالسسة لواحدة بحث في الإعدادية ؟ ما علاقة كلام الأعنية بالتهئية ؟ ما العلاقة بين كلمات الأعنية وبين الدن أهوها للطالبة

التي نبحث؟ لا علاقة لا معنى... لا يوجد أى شيء يعنى دلالة شخصية. لا يوجد أى شيء يدل على أن هناك صلة ذات معنى وإنما (الإهداء) فقط. وهذا الإهداء معناه أن تطلب بعض المستمعات إلى فريد الأطرش عن طريق مقدمة البرنامج سامية صادق أن يد يد مهناً صالبة الإعدادية بالنجاح فيقدم لها أغنية عمره ثلاثون سنة؟ . .

ومن العريب إننا قد لاحظنا هذه المسافات التي بيننا وبحاول بشيء من الححل أو التورط أن نصيقتها فسدوع إلى الربرات بعصية. فلان يرى من الضروري والواحب والأصول أن سرور فلاناً وهذا لعلان يرى من الضروري والأصول أن يرد البرره. ولكن ما لذى يحدث في هذه الربرارة؟ لا شيء ما الذى يقوله الناس؟ لا شيء.. يحلسون وكأهم واقفون. ويقمرون وكأهم ينتهزون فرصة لهره؟ ولكن من أى شيء يهربون؟ يهربون من إحساسهم بأنهم... (مثلون) بعصهم على بعض. يمثلون الشوق والحين والصدقة والمحبة والوحشة...

وهو تمثيل يقوم به مثلون أمام مثلين هواة أيضاً. ولكن هذه هي السميلية الوحيدة الكادبة والتي أكسها التكرار اليومي حق الحياة بين أناس عواطفهم غائبة

سمعت أحياناً عن شلة من الأصدقاء قرروا أن يتزاوروا. كل يوم أحد في بيت وقرروا في نفس الوقت أن يلقي واحد من الحاضرين بحثاً في موضوع يختاره وأثناء الكلام يقدمون الشاي وهو أسلوب مهذب لحصيف حدة الكلام. أو طريقة لكي يصحح للألفاظ طعم الحانوه وحاجة الإنسان إلى أن يعبر ريقه معناها أن فيه رائحة غير مستحبة. ومن المؤكد أنها رائحة الكلام الذي يخرج من فم السيد المتحدث. فما معنى هد؟ معناه أن الناس عندما يقررون أن يلتقوا مجرد التفاء يجدون أنفسهم في حاجة إلى مرور. في حاجة إلى سبب وحيه فاللقاء نفسه ليس غاية وإنما هو وسيلة إلى شيء ومعنى ذلك أنه إذا فكر إنسان في أن يرو حاره فيجب ألا يدهش إذا سأله الحار. خير إن شاء الله؟

وسيدهش الجار طبعاً إذا علم أنها مجرد زيارة فقط . لمجرد الزيارة يعنى لوجه الله . . . زيارة بلا عرض . زيارة غاية فى داتها وليست وسيلة لأى شىء آخر .



وفى هذه اللحظة : ما الذى يربطى بك ؟ اللعبة . . . هى التى تربطنى بك . . . هذه الكلمات التى نعرفها نحن الاثني . هذه المعانى التى أحاول أن أنقلها إليك على أكتاف هذه العبارات . . . فالعبارات مثل عربات القطار . . . مثل الترام . . . مثل الطائرات . . . كلها وسائل للنقل بينى وبينك . . . وبين كل الذين حولك . . . فهل أنا مفهوم عندك ؟ يحوز ! هل أنا محبوب منك ؟ يجوز ! هل أنت مفهوم من الذين حولك ؟ هل تستطيع أن تنقل بسهولة كل ما فى رأسك إلى رءوس الآخرين ؟ ألا تشكو من أنك تؤدد فى مالطة ؟ أى فى مكان بعيد فلا يسمعك أحد

إذن لماذا تتكلم فلا يفهمك أحد ؟ لماذا تطهر فلا يراك أحد ؟ لماذا تقترب فلا يحس بك أحد ؟

هل الناس ينظرون ولا يرون - أى يفتحون عيونهم دون أن يعرفوا بوضوح ما يرون ؟ هل الناس يسمعون ولا يصغون - أى هل يفتحون آذانهم ولا يدركون ماذا تقول ؟

المشكلة هى : أن اللغة مشكلة . . .

والإنسان يحاول من عشرات الألوف من السنين أن يعبر . . . أى يحاول أن يكتشف وسيلة أوضح وأسرع للعبور والتعبير . . . أى لسنن بين الناس بعضهم وبعض . وليس الدين والفلسفة والأدب والفن والعلوم إلا محاولة إنسان أن يقرب المسافة بين الناس بعضهم وبعض .

ليست إلا محاولة (للحوار) بين الناس والحوار معناه : أن أراك وأن أتحدث إليك أنت . . . وأن تسمع ما أقول وأن ترد على ما تسمع . . . وأن نتبادل عملات ثابتة القيمة . فتصيق المسافات بيننا فلا يصح فى حاجة إلى جسور لغوية . . . أو كبارى . . . أو أسلاك علمية .

وإذا كانت المواصلات عندما هى . السيارات والقطارات والطائرات والتلغرافات والتليمونات فهناك مواصلات أخرى بين الناس وهى مواصلات الكلمات فى

الأدب والخطوط فى الفن . وهذه لمواصلات لها أسماء أيضاً هى : الواقعية وفوق الواقعية والتكعيبية والتعيرية والمستقبلية والتأثيرية والوجودية واللا معقولية وكل هذه المذاهب ليست إلا مركبات لمواصلات جديدة بين الناس . . . ومذهب اللا معقول أو العبث معناه أنه لا صلة بين الناس . . . وأنا لا حوار . لا لغة لا تفاهم بين الناس . . . وأن كل إنسان يتحدث إلى نفسه مجنون دون أن يدري .
. أو ماركات لمواصلات تحول أن تقصر هذه المسافة التى بينى وبينك .

وما أبعد المسافة التى « بينى وبينك » . .

أن هاتين الكميتين متجاورتين . . لا يفصلهما سوى مليمترا
ولكن هذه المسافة فى الحقيقة هائلة عرساً وطولاً وعمقاً وعقداً وتاريخاً ؟
فهل هناك أسط من أن تقول لأرض « و » الشمس . ؟
ولكن هذه « النوا » التى بين الأرض والشمس طولها ٩٣ مليون ميل .

وكم وصل سوف يصل الإنسان إلى القمر وإلى المريخ وإلى الزهراء ولكن على هذه الكواكب سوف تتحدد نفس المشككة ، وهى أن المسافات بين الناس أبعد من المريخ وسيبقى عاجزاً عن تضيقها عاجزاً عن قطعها . وما دام الإنسان عاجزاً عن أن يكون مفهوماً سيكون عاجزاً أن يكون محبوباً من الزهراء . . . لأن الإنسان ما يزال . فالمسافة التى بينه وبين الناس لا يمكن أن يقطعها الضوء نفسه وهو أسرع وسيلة للمواصلات بين أطراف الكون كنه
بينى « و » بيك .

هذه المسافة هائلة مخيفة ومحاولة الإنسان معرفتها وإلقاء الضوء عليها حديثة جداً . فعلم النفس - مثلاً - هو أحدث العلوم التى اهتدى إليها الإنسان فما الذى اهتدى إليه علم النفس ؟ اهتدى إلى أن الإنسان حيوان والحيوان ليس اجتماعياً بطبعه . وإنما هو وحش بطبعه . . . وعقل الإنسان هو الذى يجعله يهدب أضفاره ومخالبه ويبدو متحضراً ولكن يظل وحشاً قد تحضر . ويكفى أن تشير إنساناً وأن

تهدده في حياته لترى أنك ست أمام وحش . وبما أنت أمام الإنسان الأول بل
أمام حيوانات العابة قبل أن يظهر الإنسان . وربما كانت هذه هي الحالة الوحيدة
التي يصدق فيها الإنسان : أن يغضب وأن يثور .

هنا فقط تحس إيث أمام عدو حقيقى . أمام كراهية مؤكدة . أمام تاريخ الإنسانية
كلها ذلك التاريخ الذى لم تحفظ به أوراق البردى والصحور .

فهل من المعقول أن تتلاشى المسافة التى بين الإنسان والإنسان ؟ نعم فى لحظة
العصب فقط . فى لحظة القتل . فى لحظة الدماء واخروب ! فقط يصح
لإنسان طبعاً وصادقاً عندما يكون مدمراً ؟ إذن ما معنى الصداقة والحب
والتصحية ؟

أن لها جميعاً معنى باقية . ولكن هذه المعانى البسيطة هي عبارة عن حبات لؤلؤ
فى الوحل . . . هي مصاييح صعبة شاردة فى مهبط العواصف . . . أن الكثير مما
يشغل الإنسان فى حياته وفى عمله ليس إنسانياً . ولكن يعود الإنسان إلى
إنسانيته محملاً إلى أن يتوقف بعض الوقت ويواجه الناس . ويتساءل : لقد نسيت
يدى . . . ونسيت أن لأحربين يدين أيضاً فإدرا لم أمد يدي فلى يمد أحد يده . . . ولن
ينشلى من عرلتى أحد . ولن يفدى من أن أكون مثل روبسون كرور أحد . .
إذن يجب أن أعمل مثل نوح عليه السلام . سوف أنسى سميتى على الأرض .

وليضحت الناس . ولكن سوف أضح فى شراع السفينة حتى سر إلى البحر
وأقطع هذه المسافة التى بينى وبين الناس لأن أحداً لا يريد أن يقطع هذه
المسافة . كل يقطع عن الناس أن يقطع نفسه من الناس . . . وأن يقطع
الإنسانيه من نفسه أيضاً . ثم يشكو فى نفس الوقت من أنه محاط بحرية لا
إنسانية .

ولكن نوح لم يصنع السفينة وحده . لقد استترك معه أساؤه وروحته وروحات
أنثائه .

ولأبناء وأنسابهم ومكرورهم نوح وأولاده . ومهمتهم جميعاً أن سهوا
الناس إلى طوفان اللامبالاة إلى طوفان الرماله بلا حب ؟ بين الناس فى
البيت والعمل .

قد تصور بعض أصحاب دور السينما في أمريكا أن تحويل دور السينما إلى قاعة صغيرة سوف تؤدي إلى تعميق الصداقة بين الناس وهي بالفعل عمقت المسافة بين الناس جعلت بينهم حندقاً عميقاً . . .

هل هناك أصغر من البيت حيث يسكنه أربعة أو خمسة أفراد ؟ فما الذي فعله هذا العدد الصغير وهذه المساحة الصغيرة ؟ .. لا شيء !

فما هو الحل إذن ؟

الحل هو أن يتربع لإنسان نفسه من كل انشغال يستغرقه حتى يغرقه . . ومن كل تسلية تستوى عيه . . وتسليه الحوار . . وتسليه وسائل المواصلات . . تسليه اللغة مع الآخرين . . تسليه صفة جوهرية . هي إنه اجتماعي بطبعه . . .

إنها مسافة هائلة تلك التي بيني وبينك . . هذه (الواو) . . . ما أطولها وما أعرضها وما أعقد ما . . لا أعرف لماذا كن الفراغنة يطلقون على الوجود في الرأس كعبة (واوا) إنهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية طبعاً . إذن لقد تنأ الفراغنة بأحد معاني حرف (الواو) .



صرخات ينقصها الأدب

فى

كل مرة أقرأ لأديبات سوريا ولسان أحسن أن المرأة لم تصدق أنها أصبحت حرة . . . وأن الرجل حطم لها القفص وقال لها : طبرى .

وطارت المرأة ثم عادت تحط على القفص تدفع بانه أمامها وتسئل وراءه وتستدريح الرجل حتى ينف على باب القفص . وحينئذ تلعب القفص وصانع القفص والواقف أمامه . . ثم تلعب صغفها وحنينها إلى القفص وإلى رجل يحرسها . .

فهى كالذى برل من الطائرة ولكن ما يرال أربها فى أدسه . . كالذى برل من الباحرة ولكن ما يرال يمشى مهترأ كأنه فوق الموج كالذى حرج من السحر وما يرال بتلعت حواليه . . ويمشى وبراءه ورء ظهره كأى السلاسل ملفوفة حول يديه .

مع أنهم برلوا . . مع أنهم حرحوا . مع أن باب السحر قد انفتح . باب القفص انكسر .

والمرأة لا تصدق أنها أصبحت حرة . . فإذا صارت حرة بادرت وأعطت حريتها إلى رجل نزلت عن حريتها بكامل حريتها إلى رجل تحتاره وتبكي وتلعن الرجل الذى أعطاها باليمين وأخذ منها بالشمال . . . وسسى أنها هى التى أعطت وأن سعادتها فى أن تعطى كل شىء للرجل مهما كان هذ الشىء عاليا .

لقد قرأت كل ما كسنته الصديقات سمرة عزام . . وليلى بعلكى . وعادة السمان . . وكوليت سهيل . .

ورما كانت سميرة عزم أكثرهن عقلا . وأقربهن إلى الواقعية وإن كانت فى مجموعتها (وقصص أخرى) لا نتحد أسلوباً واحداً . . وهى كل قصة بها لون

ولها شكل . . . فهي أيضاً تصرح . . . وبصرب الخواطر الوهمية التي تصنعها المرأه لتندب حظها . . . وتلعن عجزها وهوانها على نفسها وعلى الرجل . . .

وليلي بعليكي تصرح وتحريش وتلعن ونبصق على الناس كل الناس وخصوصاً أعر الناس عليها . . . على والديها وعلى إخوانها وعلى المجتمع الذي أورثها الشعر الأسود والقوام النحيل وحرمتها من عصلات الرجل وصوته العديط وشعره الكثيف وحرته المطلقة في أن يحظى فلا يحاسنه أحد . وفي أن يقف على محطة الترام في أية ساعة من ساعات الليل فلا يعاكسه أحد

إن الصفحات الأولى من قصتها لطوبه (أنا أحي) تجعلك تشعر كم هي طويلة هذه القصة كم هي طويلة أظافر ليلي بعليكي . . . وكم هي حرة لو أردت ولكنها تمشي ودرعاها وراءها إنها القيود الموروثة إنها الأثوة إنها مخاوفها من الحرية . . .

وما كنته عادة السمان في مجموعتها (عيناك قدرى) تجعلك تحس أن الأديبة مصابه بحالة من الرعب . من اخوف الشديد . فاللس ذهب . . . والحووم مشاعل من بارلى تبت أن تقص على الناس فتقدم المشايق والصلبان على أعمدة النور . . . ولكن عادة السمان حارة ملهبة الأنوار والصور محبوبة الحركة مدوية انصرح . . . إن كل خطوة تؤكد لث أنها عظم قفصاً واسعاً من حديد . قفصاً من وهم من حرافة ولكنها صادقة في مخاوفها . صادقة في إصرارها على أن تحطم هذا القفص الذي لا يمارقها هذا القفص هو ضوعها . هو أثوتها . . . ولكنها تحاول المستحيل . إنها تريد أن تحطم نفسها بنفسها لتبقى قوية في مواجهة الرجل . . .

وفرأت كل ما كنته كوليت سهيل . . . لمد كانت قصتها لأولى (أمام معه) صاحبة . . . بها لأصوات صرخات ووراء هذه المطاهرة العطفية الملتهبة تحتف معالم القصة التي كتب يريد أن يرويها له . . . وقصتها الثانية (ليلة واحدة) هي ستشاف لقصتها الأولى . . . ومشكلة هؤلاء الأديبات واحدة . . .

إنهن يصرحن ولكن هذه الصرخات يجب أن يكون لها إطار أدبي فهو لاء الأدبيات : إما واحدة لديها الجرأة على الكتانة ... وبها ميل إلى النشر ... وأما واحدة لديها الميل إلى الكتانة وعندها الجرأة على النشر ...

ولكن مفهوم القصة القصيرة ليس واضحاً إلا عند سميرة عزام ...

أما ليلي بعلبكي فهي لا تعرف الشكل الأدبي لقصة الطويلة ... فقصتها الطويلة تحتاج إلى اختصار وإلى تركيز وإلى وضع نهاية لها . فهي قد بدأت على شكل قصة ونتهت على هيئة مقال أو بحث طويل .

أما كوليت سهيل فهي تحتاج إلى نظرة خاصة ..

فقد كان الاهتمام بما تكتبه كوليت سهيل مسئولاً عن قصص كثيرة ظهرت في كل العالم العربي لها . فهذا الشكل الأدبي لا توجد به حدوده ... ولا حادثة ولا شخص ... ولا تعرف الكاتبة نفسه ما الذي تريد أن تقوله ... ولا كيف تقوله ... ولكنها تضع عبارات واندهاشات ... وتعابير ليس لها معنى واضح . . . وليس لها معنى على الإطلاق وتنتهي عادة بابتسامة منها أو فقهة عالية من أحد أشخاصها مستكراً كل واحد يحاول أن يفهم أو تسول له نفسه أن يدهش لهذا الكلام الذي لا معنى له

وكوليت سهيل كاتبة نموذجية

فهي مودح للفتاة العربية المتحررة المثقفة ... التي تئن وتصرخ ... من أي شيء؟ هذه هي مشكلة . . . إنها تصرخ وتئن لا تعرف لماذا تصرخ . . . فهي تقفل على نفسها الباب وتلعن النوافذ ... تقص على نفسها كل شيء وتلعن الشوارع وتتمنى لو أصيب الرجال كلهم بالعمى حتى لا يروا وأن يصاب ضميرها بالخرس حتى لا ينطق ... ولكن لماذا؟ والجواب لأنها ليست حرة ... لأنها لا تستطيع أن تمارس حريتها على حريتها ... ولكن من الذي وقف صد حريتك؟ والجواب : لا أحد ...

لقد قرأت آخر مجموعة قصصية لكوليت سهيل أسمها (أنا والمدى) والكاتبة تسميها (قصصاً) وأنا لا أعرف إصرارها على هذه التسمية ...

وقد استهلت هذه المجموعة بهداء غريب . . . عليك وحدك أن تفهم وإذا فهمته فأنت قادر على أن تستوعب الكتاب كله ... أما إذا لم تفهم فذلك على جيبك

ولا عذر لك فليس من الضروري أن تفهم ... أنها تكتب ما تشعر به وما يعجبها وأنت بالصدفة أحد قرائها . أو لن تكون بعد ذلك من قرئها
أما لإهداء فهو . إليه . إلى الذى عانق المدى ... ثم ألقاه عند حدود سنى الصغير ... ليجد فى عينى .. إليه أهلى هذا الأنا ... ومداه ...

وهذه المجموعة تتألف من سبع قصص بعضها على شكل مقالات . أو تأملات فى المرأة .. فى السحاب .. فى السماء أو لیس من الضروري أن تكون هاك سماء وكل ما فى القصص أو هذه المشروعات القصصية غامض - مبهم - ضباب - ألغاز - أسرار .

وتطر تنقل أنت من موضوع إلى موضوع إلى أن تفاحاً موضوع أو بقصة - كما تسميها كوليت وتجد حواراً بين المؤلفة وأحد الصحفيين أو أحد النقاد ينتهى الحوار بأن هذا الصحفي أبله وسخيف .. أبله لأنه لا يفهم ما تقوله هى .. ولأنه لا يجد تسمية لهذا الذى تقوله .. وسخيف لأنه عنيد ...

تصوروا أنه يريد أن يفهم ؟! . أما الذى يريد أن يفهمه هذا الصحفي فهو مشكلة بسيطة جداً أنها تقول : لقد عشت وحدى ورعم نسي كنت وحدى فقد عشت مع الذى أحببته وعشفته ...

وهو يحاول أن يفهم

كيف كانت وحدها ثم عاشت مع شخص تحبه وتعشقه ؟

ما حل هذه الصعوبة فهو أن الشخص الذى أحبه وعشقه هو قلمها أو فيها أو هو حبها لعزلتها ...

وتندهش منه جداً كيف أنه لا يفهم أى كلام تقوله !

ويتعجب هو كيف أنها لا تقول كلاماً يفهمه الناس .

وتسأله : يعنى إيه الناس ؟

وجوابه لا بد أن يكون . الناس الذين أصدرت لهم هذا الكتاب . الناس الذين يجب أن تستمدى مادة كلامك منهم . تكتسب منهم وتكتسب لهم وتكرين بهم

وتعيشن عليهم .. الناس . افتحى الشباك .. الذئب صنعوا الورق والخمر وطبعوا
الورق وحملوه وباعوه .. وانتظروا وانتظرت أنت من ورائهم ..

وربما كانت القصة الوحيدة التى لها معنى القصة فى هذه المجموعة هى القصة
التاسعة . . . فهى فى هذه القصة تحاول أن تكتب قصة . . . بأن تعلن عن صيغها بالاشهر
الذى يرغمها على كتابة قصة . . . وليست فى رأسها فكرة . . . وهى فكرة أن يدفعها أحد إلى
الكتابة وتقول أنها برلت إلى الشارع لتشتري الصحف لعلها تجد فكرة أو معنى - وأنا لا
أصدقها - تجعله محوراً للقصة من قصصها مع قصصها لا توجد بها حادثة . . . ولا شيء
ولا صوت . . . وإما صلام فى صباب فى سحاب فى دموع . . . وأحيراً يقع عباها على رقم . . .
وتشاء الصدفة أن يكون هو رقم ورقة التنصيب التى اشترتها . . . نفس الرقم إذن لقد ربحت
السريع ستسافر إلى حبسها . . . ستبى بيتاً أيقا . . . وتعود إلى البيت لتكتشف أن حداثها
العجور قد كنست هذه الورقة القديمة . . . وألفت الكاسية فى صندوق الرمال . . . وجاء الكاس
وحمل الرمال إلى أطراف المدينة . . . كارثة صاغت أمالها فى الرمال . . . وتركب السيارة
وتصل إلى أطراف المدينة وتجد كل قدارة الناس هناك . . . كل أحلامها وأماليها الوردية ملقاة
هناك تحت هذا الحس القدر . . . ويحظر لها أن تستأجر رحلاً يفتش عن هذه الورقة ولكن
استبحار رجل شيء فطيع . . . فكرة حقيرة . . . أن هذه الفكرة جعلت أعماقها تتسع . . .
ولا يمكن أن ترتكب هذا العمل الوحشي . . . وعادت إلى السيارة ليسألها السائق إن كانت
قد فقدت شيئاً فتقول له بل وجدت شيئاً . . . وجدت إنسانيتي

وجدت القصة التاسعة فى هذه المجموعة . . .

وعيب هذه القصة التى بها حدوده وبها حادثة . . . أنها بدأت كمقال وانتهت
كمقال أيضاً وأن المؤلفه مخنقر هذا الشكل من الكدبة . . . إنها لا تريد أن تكون
قصة . . . فجاءت قصة رغم أنفها . . .

وأن أقترح على كوليت سهيل أن تعاد نفسها فتنشر القصص التى
لاتعجبها . . . وأن تنعث بها إلى الباشر كما فعلت فى هذه القصة التاسعة

أما إذا كانت قصصها ابنها لات وصلوات فى محراب غريب . . . محراب لا ينتسب
إلى أى دين محراب يقف فيه المؤمن - أو القرىء - دون أن يعرف إلى من يتكلم ومع
من يتكلم ولا من الذى يسمعه ولا ما الذى تقوله فاقترح أن تسميها (تأملات صوفية) .

ولكن أثر كوليت سهيل على الأدبيات الناشئات يرجع إلى أنها أشارت إلى حقائق كان من الصعب على الفتاة أن تحوّر فيها وهي اعترفت بأنها أحببت وتعد الذي تحبه وجاء النقاد وأشاروا وأكدوا أن الأدبية السورية نعى ما نقول وهي لا تخاف من الواقع الذي تخفيه قصتها الأولى وهي تعترف بذلك وانتشر أدب الاعترافات بين الأدبيات الناشئات

ويسدو أن الأدبية السورية كوليت سهيل عندما لاحظت أن أدبيات كثيرات بدأت يعترفن وأن اعترافاتهن ينقصها الحياء والحياة عادت إلى تعليل اعترافاتهن إلى تعليل الحياة في الحياء وإلى وضعها في مناديل من سحب موشاه بلون الشفق ولذلك فقصتها الأولى أوضح من قصتها الثانية ومن كل القصص القصيرة التي جاءت بعد ذلك وأنت عندما تقرأ لكوليت شعرها وشعرها تحتار في معرفة أيهما الشعر ؟

ومند سوات طهر ديون شعر بالفرنسية طبع في باريس بعنوان (صرحات) مكانه مصرية اسمها (جويس منصور) وجويس فتاة جميلة رقيقة حادة عيفة وصرحاتها الفنية لها دوى تحسبه فوراً من أوب قصيدة وجويس لا تعرف الدموع ولكنها تعرف العرق ولا تعرف الكاء ولا تعرف الألم

وأحسن نقد طهر لهذا الديوان ما قالته الأدبية الفرنسية فيلمور : الشدة حلوة حويس منصور أدركت أنها حرة منذ زمن طويل وأن الرجل أحياناً يشكو القيود ، القيود التي لا تشكو هي منها فهي تقول ما تريد وعلى النحو الذي تريد وبمنفس الدرحة من الصراح والحرارة ولا تعرف بالضبط أين حدود الرحن وأين حدود المرأة فالفر لا يعرف هذه الحدود

وأحسن ما قالته الشاعرة حويس منصور في هذا الديوان : إني لم أنشر كل ما كتبت فقد كتبت قبل هذا الديوان مئات القصائد ولكن عيها في طرى أنى ألحن فيها أناساً أرباء وأني أعلن أنهم يصمون في طريقي ولكنني اكتشمت أن أحداً لا يعطل غوي وأن أحداً لا يعترض مواهبي فلماذا لا أمشي كالناس بدلاً من أن أقفز كالأرنب وأرحف كالثعبان يجب أن أجد حريتي يجب ألا أطلبها من أحد

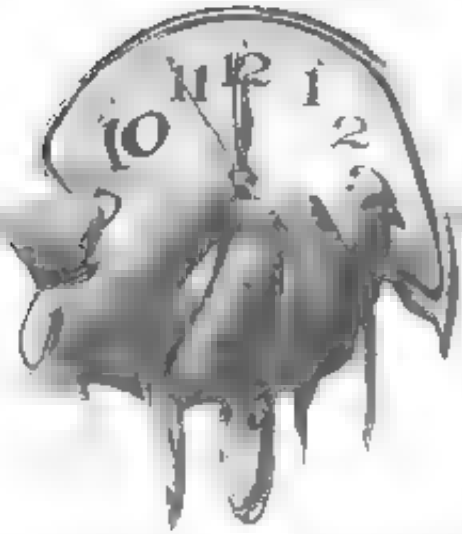
ويحب ألا أتوهم أن اللصوص لا نهاية لعددهم .. وأنهم جميعاً من الرجال وأنهم انصرفوا
عن كل شيء ، وراحوا ينصون المصائد لشيء واحد هو : حريتي إلا ما . أنفهمسى ؟

إنه نفس المشكل ... وهى أن المرأة لا تصدق أبها حرة ... وأن من حقها أن
تكتب وأن تقول ... بالشكل الذى يعجبها .. أما الكاء والحدب والخوف من
القيود فإن هذا يعطل نموها ... ويوقف تطورها ... يحب أن تتحقف من مخاوفها
التاريخية وأن تلحق بالرجل فهذا من حقها .

إلا إذا كانت المرأة تريد أن تكتب ولكنها لا تستطيع فإذا استطاعت فلا بد أن
تكون هنا قيود مية .. فلا فن يعبر قيود . أما إذا كانت هذه القيود تضايق
المرأة فلا أعرف ما الذى يريحها .

وإذا كانت القصة يحب أن يكون لها إطار .. وأن يكون لها معنى وأن هذه
الأصول العادية حداً سكى المرأة فتستقم معها ومن الرجل بدعن القصة وبعد ذلك
نسميها قصصاً . فلا أعرف ما الذى يضطر المرأة إلى الكتابة وإلى نشر الذى
تكتبه وإلى انتظار رأى الناس ...

وإذا كان الفن - عند الأديبات الناشئات - هو التحرر من قيود الفن فما أتفه ما
تكتبه وما تنشره المرأة ..



قصة ٩٠ - قيقة

شكوى من طه حسين : أن الناس يلقون بالماء عند ناصية الشارع الذي يسكن فيه وهذا يجعل له رائحة كريهة ويصاعف عدد البعوض في هذه المنطقة . إنها ليست شكوى ولكنها شكوى من الشكوى التي قدمها للمحاسبة فلم تفعل شيئاً ؟

وهو شارع ضيق جداً . كأن شارع الهرم وهو مطلق في اتجاه الإسكندرية قد استدرك قبيل تغيير اتجاهه . . . محاولاً أن يقدر طه حسين الذي كانت حياته وفلسفته استدراكاً لسير الأدب والفن والفلسفة في العالم العربي .

وفي نهاية الشارع الضيق يوحد بيت طه حسين . .
وقد دخلت هذا البيت مرات عديدة .

ولكن في هذه المرة الأخيرة كنت شديد القلق . فقد وافق طه حسين على أن يكون صيف بردمع التليفزيون «بحمك المفضل» الذي أتولى إعداده . . . وحشيت أن يؤدي البرنامج إلى إرهاقه . وحافت السيدة حرمه من المصاييح الضحمة أن ترفع درجة حرارة المكان . تحشى على طه حسين - وبحر أيضاً - من أصواته بالبرد .

ووعدت أنا بأن براعى كل شيء . صحته ونظام البيت ، وألا يرهقه بالأسئلة ، وأن يكون تسجيل البرنامج في الوقت والمكان ومع الأداء الذين يريدونهم .

وفي التليفون قلت للمرحوم حسن حلمي مدير التليفزيون طه حسين صيف الحلقة القادمة !

وكنت قد سألت طه حسين فقال بالفرنسية : موافق .

ضيف الحلقة القادمة . . موافق ؟

ولم أحد لكلمة «موافق» هذه إلا بعض المعاي السهلة : وهى أننى سوف أذهب لمقابلته مره أو مرتين . . واتفق معه على الموضوعات التى سنناقشها فى البرنامج وأعددت الموضوعات بالفعل واتفقت مع عدد من الأدباء يمثلون أهم ملامح الأدب والفكر ، وحملت معى الأسئلة وقرأتها على طه حسين . واستراح لكثير منها .

وذهبت مرة أخرى إلى طه حسين . . والتقت ليلى رستم مقدمة البرنامج بطه حسين . وتحدثت إليه بالعربية والفرنسية . . وحاءت حرم الدكتور طه حسين . . ودارت المناقشات بسرعة عن الجو . وكان الجو بارداً فى تلك الليلة . وتمنينا جميعاً أن يكون أجو أحسن فى يوم التسجيل وتميت أن يكون بارداً نوعاً ما حتى إذا جاءت مصباح التليفيون وأضافت إليه بعض الحرارة كان الجو محتملاً . . فلا يضيق به طه حسين أو السيدة زوجته .

وروت زوجه طه حسين كيف أن درجة الحرارة فى باريس سنة ١٩١٧ يوم زواجها كانت ١٨ تحت الصفر . وكيف أن باريس أثناء الحرب العالمية الأولى لم يكن بها فحم ولا تدفئة . وكيف أن البرودة جعلت وجهها زرق . وكيف أنها كانت تجد صعوبة فى الذهاب إلى الجامعة وإلى المكتبة مع طه حسين .

وروى طه حسين كيف أن لطفى السيد كان يداعب السيدة حرمة عندما يطلب إليها أن تترجم بعض الكلمات الفرنسية إلى العربية . فقد طلب منها ترجمة الكلمة «أن» معناها . حمار . فطقت كلمة حمار هكذا . أומר . . وطلب إليها مرة أن تترجم الكلمة الفرنسية «روح» ومعناها . أحمر فمالت . أומר

وكان لطفى السيد يضحك ويقول : يعنى ألا تجد بين الحمار والأحمر !

وعسيت أن يرى جمهور التليفزيون هذه الروح الحلوة لصه حسين ، وأن يروا هذه المناقشة الحية الدافئة بين طه حسين الأب والزوج والأستاذ لروحته السيدة سوزان .

وفى اليوم الثانى عدت إلى طه حسين أيضاً أصمئن على صحته . . واطمئن على ما يصعله مهندسو التليفزيون فى بيت صه حسين . واتجهت إلى الحديقة فوجدت الكاميرات ، والأسلاك ، كلها فى حالة استعداد ولم يكده صه حسين يعلم أننى موحود فى الحديقة حتى أرسل لى سكرتيره فريد شحاته وصعدت إلى الدور

الثانى . فوجدت طه حسين جالساً على مقعد إلى حوار سريريه . وكان بملاسه الكاملة . . وسألنى :

ما هذه الضوضاء ؟

قلت : إنهم مهندسو وعمال التليفزيون .

سألنى : وماذا يفعلون ؟

قلت يمدون الأسلاك . . أنهم سيصرون القبلا من الخارج .

فقال : لا تصوير . . فى داخل البيت . .

فقلت . وهو كذلك لا تصوير فى داخل البيت . . ولكن ربما احتاجوا إلى تصوير الشارع والحديقة . وهو ضرورى كمقدمة لبرنامج أول للحديث معك . .

قال حسن حلمى حاء وصورنى وكذلك البيت من الداخل ومن الخارج .

قلت حسن حلمى صورتك فعلاً لأنه يقوم بعمل فيلم عن حسانك . . وهذه الصور التى التقطها لا يمكن الاستعانة بها .

ولم أعرف كيف أشرح لظه حسين أن هناك نوعين من التصوير : التصوير بالأفلام والتصوير بالفيديو . وأنها لا يمكن تركيبهما معاً خارج الاستديوهات . وأما لا أدعى أسى أعرف هذه الحقيقة من وقت طويل . فقد عرفت أنها أحيراً جداً !

ولكنى أكدت لظه حسين أن كل شىء سوف يتم تصويره وتسجيله غاماً كما يريد . .

وحاءت السيدة حرمه وأشارت إلى النافذة فرأت عدداً كبيراً من المهندسين والعمال وكلهم يقفون فى الحديقة . والحديقة مملئة إلى حد ما . وأكدت لها أن البيت سيحتفظ بكل ما فيه من نظام وجمال . .

وقبل موعد التسجيل ساعة ذهبت إلى بيت طه حسين . وعندما تحممتا من شارع الهرم إلى الشارع لصق ، وصعدت سدى على وحدى . . لقد أدركت الترجمة الحرفية لكلمة «موافق» التى قالها طه حسين . . فقد ترجمها المهندسون إلى معان أخرى لم تحظر لى على بال . لقد رأيت سيارات كبيرة وكثيرة ملأت الشارع كله والسيارات لها أربير وطير وهدير . وأبورها مفتوحة وبها عدسات تشرق

وتلمع وميكروفونات . وهناك سيارة تولد التيار الكهربى . . والباس وقفوا فى
ابلكونات والنوافذ المجاورة . .

واتجهت إلى الخديقة . فوجدت معالى هندسية لكلمة «موافق» يا خير أسود .
لقد افتتح الصالون . كل أبواب الصالون . . ولقد تعد تحورت وانحشرت والسيار
نزل على المداخل بفصل بين البت وبين الصالون . وعدد الموحودين عشرون
أو مائة . . أو مليون . لقد تصارب الصور فى رأسى . وارتفعت دقات قلبى . .
يا خير أسود . والكاميرات دخلت الصالون . والميكروفونات تناثرت على
المناسيد . . وكل هؤلاء لمهندسين والعمال قد وقفوا بأحديتهم على السجاجيد .
ولا أعرف إن كان صحيحاً ما رأيته عينى من أن واحداً من الواقفين قد وضع رجله
على مقعد . . أو أن هذا وهم . .

ولما قترت منهم أكثر قالوا : المدام فى ثورة ونسأل عنك . لقد أمرتنا أن نخرج
فوراً وأن نحمل المصباح إلى الخديقة . لا تسحيل اليوم .

يا خير - لا أعرف لولم لخير فقد اخلطت الألوان أمام عيسى .

وجاءت مدام طه حسين وقالت لى فى ثورة : شاييف . الذى حدث . .
شاييف . دكتور طه يريد أن يتحدث إليك فوراً

واتجهت إلى السلم . وكنت خطوتى ثقيلة . . وأصاءت لى مدام طه حسين
الطريق . . ودخلت ووجدت طه حسين على نفس مقعده إلى جوار السرير وبدرنى
بقوله : هل يرضيك هذا ؟

وقلت له : إن هذا العدد الهائل من الدس ليسوا أدباء . وليسوا حمهوراً فى
البرنامج وإنما هم مهندسون وعمال مصطون أجهزة التلفزيون فقط . وفى استطاعتى
أن أخرجهم جميعاً . وفوراً . .

ونزلت وطلبت إليهم أن يرحلوا جميعاً . وطلبت إليهم أن يحرصوا على
المقاعد والسجاجيد وعلى الأية السادره الموحوده فى لصالون . . وطلبت إليهم إطفاء
الأضواء .

ونظرت إلى الساعة وقلت . لم يبق إلا خمس دقائق ! يارب اجعل هذه الدقائق
تمر فى سلام !

أما الدقائق الخمس هذه فهي التي بقيت على مارحة السيده حرم طه حسين للبيت . فهي مدعوة على حفلة بالسفيرة الفرنسية . خمس دقائق . . أربع دقائق . .

ونزل طه حسين من غرفته وقد عاوته السيدة حرمه وسكرتيره فريد شحاته . وتصدر الصالون . وكانت الإصاءة خافتة . ولم يكن يحلس حواره إلا ثلاثة أو أربعة من الأدباء . أما رجال التليفزيون فقد وقفوا في الحديقة وجاءت السيدة حرم طه حسين تهمس في أذني محدرة مندرة : إياك أن ترهقه . . بعد المصباح . احترس من الهواء . .

حاضر . . حاضر . .

وبقت دقيقة واحدة . ونحن واقفون في صمت وحاءت مدم سوزان وتأكدت من أن البصانية تعطى ساقى طه حسين . وألقت نظرة أخرى على المصاييح وعلى الواقفين في احديقه . وخرجت من الصالون ومن الباب اأخارجى إلى الشارع . وإلى شارع الهرم . .

وصرحت في المخرج سعيد عياده ' المصاييح كلها تصاء . اجلسوا جميعاً . . التسجيل يبدأ بعد عشر ثوان . .

واشتعل الصالون بالضوء وبالحرارة .

وانتهربا الفرصة واحمرت عيون الكاميرا انتجهة إلى ليلى رستم - ثم إلى طه حسن . . ثم إلى الأدباء الموجودين . . وارتفع صوت طه حسن قللاً قليلاً . . وصحك وصحك وحمدا الله على روحه الحلوة وعلى معوياته العالية . . وكانت ضحكته تصريحاً لنا جميعاً بأن نضحك .

ومضت نصف ساعة والتفت ورائى فوحدت مهندسى التليفزيون بهرون رعوسهم بما معناه : كويس . .

ومضت نصف ساعة أخرى . .

وأكمل البرنامج ساعة ونصف الساعة . . وانطفأ الأنوار وانخفضت درجة الحرارة فجأة . وانجهت إلى طه حسين ومددت يدي أشكره فقال لى : لم تنقد شيئاً عما وعدتني به .

وأنا أحتكم إلى القراء هل يرصيكم أن يتحدث طه حسين نصف ساعة وأن يجيب على خمسة أسئلة ؟

إن طه حسين لم تخيه الذاكرة وسلحة سحره لم تصد . وقد أشاعت فيه المناقشة حرارة الشباب والجدل . نإنا بعد نهضة التسجيل جلسنا نسأف المناقشة أكثر من نصف ساعة !

إن طه حسين أكثر حيوية ومرحاً مما يتصور وبما يتصور السيدة حرمه .
ولولا أن أشرطة التسجيل قد انتهت لاستمعت إليه ساعة أخرى .
وفي الظلام وقبل أن تحيء مدام طه حسين من حفلة السفارة ، تسلمت عائداً هرباً وشاكراً ! ..

ومن ورائي هؤلاء الأدماء شركائي في الـرمج د عبد الرحمن بدوي ،
وعبد الرحمن صدقي ، ويوسف الساعى ، وثروت أنظة ، وأمين يوسف عراب ،
وعبد الرحمن الشرفاوى ، ومحيب محموط ، ومحمود العالم ، وكامل رهبرى
وعدت وفي نفسى أن أناقش طه حسين فى رأى له عن العقاد لم يعجبني .
ولا الملايين أيضاً !



مكافأة لمن يفهم

من

المؤكد الآن أن طه حسين كان يعنى ما يقول فى اتليفريون من أنه لم يفهم «عقريات العقاد» وعندما سألنى . هل تفهم عبقرية عمر وقلت نعم إننى أفهمها هى وغيرها من العقريات لم يسترح إلى هذا الرأى . وقد تصابق الناس من رأى طه حسين هنا لأسباب مختلفة . فبعضهم رأى أنه ليس من اللائق أن «بحر» طه حسين كاتب كبيراً كالعقاد بعد وفاته . وبعضهم قال أن طه حسين لم يكن يستطيع أن يقول ذلك والعقاد حى . . وبعضهم لم يصدق إن طه حسين لم يفهم هذه العبقريات .

وقد نشر عامر العقاد اس أحدى الأسناد العقاد خطابات تؤكد إعجاب طه حسين بعقريات العقاد . .

وفال لى صلاح طاهر إنه سمع طه حسين يبدى إعجابه بعبقرية عمر بالذات فى بيت العقاد بمصر الحديده . . وسمعه يقول . إننى عندما قرأت عبقرية عمر ، أحسست إننى أقرأ عبقرية العقاد . .

ولكن طه حسين أصر فى جلساته الخاصة على أن يؤكد أنه لم يفهم عبقرية عمر وأنها غامضة شديدة العموض .

ولقد جاء حفيد طه حسين الطالب بكلية البصر بالمعادي يسأله إذا كنت أنت لم تفهم عبقرية عمر المقررة علينا هذا العام ، فكيف نفهمها نحن ؟ وكان هذا صدى رأى طه حسين عند معظم الطلبة . .

ولكن طه حسين مصر على موقفه .

وجلست إلى طه حسين ساعتين وهو يؤكد لى أنه لم يفهم (عبقريّة عمر)
ولا عبقرية محمد ولا أية عبقرية أخرى ..

ولما سألت طه حسين : إذن أنت ترى أن العقاد لم يحسن كتابة هذه
العبقریات .. ولا تعجبك واحدة منها .. فهل هذا رأيك في بقية كتب العقاد ..
هل في استطاعتك أن تحترار لى أحسن كتب العقاد ؟

وكان رد طه حسين : بإحلاص لا أعرف . فقد قرأتها منذ وقت طويل ..

وعاد يسألنى مرة ثالثة : هل فهمت عبقرية عمر ؟

فأجبت : نعم فهمتها .

وضحك طه حسين ..

ويوم احتفاله بتسلمه الدكتوراه الصحريّة السابعة فى بيته عاد طه حسين يروى للأستاذ
سيد يوسف وزير التربية والتعليم وللدكتور سليمان حزين وزير الثقافة كيف أن حفيده
جاء بسأله كيف يفهم «عبقرية عمر» . وصحك طه حسين وصحك الوزيران .

ثم اتجه طه حسين يتحدانى فائلاً ، وكان قد حصر الدكتور عبد القادر حاتم أنا أراهمك
نما تشاء إذا استطعت أن تلخص لى عبقرية عمر أو تقول لى ما الذى يقصده العقاد ؟

فقال الأستاذ سيد يوسف : إنه يستطيع ..

وقال الدكتور حزين : وإذا لم يستطع فإنه سوف يقدم لك صورة أخرى لعبقرية عمر .

وسأله الدكتور حاتم إن كنت أنا أرهفته كثيراً فقال طه حسين : إنه لا يرهقنى .

بالعكس إننى سعيد به ..

ولم أصدق أن طه حسين جاد فيما يقول ..

وذهبت أبحث عن التقرير الذى كتبه طه حسين لترشيح العقاد إلى جائزة
الدولة التقديرية .

فوجدت أن طه حسين كتب بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٩٦٠ عن العقاد

«إن لديه القدرة العالية على فهم النصوص وتعمقها والاطلاع الواسع العنى» .

وقال أيضاً . وكانت للعقاد فى التراجم طريقة انفراد بها وأجاد فيها وهى أنه

يتناول العظيم من جانبه الذى كونه له عبقرية . وبهذه التراجم استطاع أن يعرض
على أنباء هذا الجيل صفحات مشرفة من أمجاد الخالدة . «

وقال أيضاً : لقد استطاع أن يلقي على أولئك الأعظم صيأ ساطعاً بحيث يشعر هذا العصر بقوة عنقريتهم وسلطان أحلافهم ، وبحيث يدرك عظمة الإسلام ورحاله أتم إدراك ، فيجد أساء هذا العصر في مطالعة كتب الأستاذ العقاد قدوة لهم يقتدون بها فيردادون صلاته في إيمانهم وشدة في قوميتهم » .

وقال طه حسين في هذا التقرير :

إبه ولا شك من رسل الحرية في عصرنا وهو الذي نادى بالحرية السياسية والحرية الفنية وحرية المكربة ، قل أن يحمله بين المعاصرين من يساويه »

انتهى كلام طه حسين عن العقاد الذي قدم صفحات مشرقة من أمجاد العرب في سلسلة عنقرياته . وانتهى كلام طه حسين أيضاً عن العقاد رسول الحرية الذي لا يساويه أحداً

وليس عدى ما قوله تعبيراً على كلام طه حسين ، لأنني قبلت التحدي وقبلت الرهان وقبلت أن أكون طرفاً في هذه المكنة التاريخية

وعندما سألت محيب محفوظ عن رأيه في عنقرية عمر أو عنقريات العقاد كلها ، لم أكن متهما لنفسي ، وإنما لحأت إلى واحد من 'كثير أدبائنا إصفاً وذكاءً وإطلاعاً' وقال لي محيب محفوظ أن عنقرية عمر بالذات من أروع ما كتبه العقاد . إني أنظر إلى كل عنقرياته فتعجني من الباحية الفنية . وفي عنقريات العقاد لا نجد السرد التاريخي . . فالحقائق التاريخية معروفة عند كل الناس . ولكن العقاد يقدم لك عملاً فنياً ، يقدم لك شخصية غير موحودة بهذه الصورة في التاريخ . ولذلك فالعنقريات أعمال خلابة فهو يبلورها بصورة لا يحاها في أي مصدر تاريخي . والفيلسوف رسلو عني حق عندما قل إن 'الناس أصدق من التاريخ' .

وقال محيب محفوظ أيضاً معلقاً على كتاب «أبي نواس» للعقاد ، وهو في رأي طه حسين من أسوأ ما كتبه العقاد إن المصنع النفسي الذي يعتمد عليه العقاد قد بلغ أوجه في دراسة أبي نواس .

ويقول أيضاً : إن العقاد عندما تحدث عن عنقرية محمد ، فإنه أعطانا عنقرية محمد وقصة محمد أيضاً . إنه يعطيك شيئاً أكثر من التاريخ وأروع من التاريخ .

وسألت الثالث الكبير توفيق الحكيم وأنت ما رأيك في عبقریات العقاد ؟
وأجاب توفيق الحكيم :

إنها سلسلة متمعة . وقد اعتمد العقاد على اسهح النفسى وهو ولا شك
يختلف فى تحيله للعبقریات عن كل السير التاريخية . ولعقاد يفترض فى قدرئ
العبقریات أن لديه إماماً سيرة هؤلاء العلماء وبذلك فهو يضمن فى رسم شخصياته
العظيمة براعة وعمق . .

ثم سألى توفيق الحكيم إن كان طه حسين لا يزال يؤكد أنه لم يفهم العبقریات وكان
ردى : إنه لا يزال يؤكد بحماس يدهشك حماس كان مكتوماً ثم تدفق فجأة .
وحاول طه حسين أن يعير من الكلام عن عبقریات العقاد فسألتنى : وهل
يعجبك شعر العقاد ؟

فقلت : هل أنهم من هذا السؤال أنك تريد أن تقول مرة أخرى إنك لم تفهم
شعر العقاد . .

فأجاب طه حسين : ديوان العقاد «وحى الأربعين» هو أحسن دواوينه
وعند أسأل طه حسين مستوضحاً هذا الديوان هو أحسنها أو إنه ديوانه الوحيد ؟
وسألتنى طه حسين : وهل يعجبك شعر العقاد ؟

فقلت نعم يعجبنى . ولا خلاف على شاعرية العقاد . . وعلى شعره العلىسى
والعاطفى إلا إذا كان من رأيك أنه بعد «وحى الأربعين» لم يقل شعر .

وقال طه حسين : أظن أن مطربة لا أعرف اسمها قد عنت له قصيدة
ونادى طه حسين سكرتيره فريد شحاته يسأله عن اسم هذه المطربة . وظن أن
فريد شحاته قال أن اسمها نادرة .

وصحك طه حسين ليقول : أظن العقاد كانت قصيدته تقول قصص
ضياءك يا قمر .

وصحك صه حسين مرة أخرى ليقول . بصور العقاد يقول قصص صيدك
يا قمر . . أى جمال فى هذا المعنى . صوء القمر الفضى . ومحرى النهر
الفضى . . هل يعجبك هذا المعنى !

وأحسست إننى مرة أخرى سأكرر الإجاعة والمناقشة والدهشة والحيرة أمام موضوع آخر يشبه موضوع عبقریات العقاد ..

وتذكرت أن طه حسين عندما أصدر قصته «دعاء الكروان» جعل إهداءها للعقاد هكذا :

إلى صديقى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .. سيدى الأستاذ أنت أقمت للكروان ديواناً فحماً فى الشعر العربى الحديث . هل نأذن فى أن أتحدث له عشياً متواصلاً فى النثر الحديث وأن أهدي إليك هذه القصة تحية خالصة من صديق منخلص وتذكرت أن طه حسين هو الذى بايع العقاد أميراً لشعراء وكان ذلك منذ ستين عاماً !

ذن لا بد أن يكون رأى طه حسين فى الشاعر العقاد مثل رأيه فى المؤرخ والناقد والمفكر العقاد !

وانتقل طه حسين يتحدث عن أنه حصل على الدكتوراة الفخرية سبع مرات . من بالرمو ومن روم ومن موسلييه ومن لوب ومن مدريد ومن أثينا ومن اكسفورد وروى كيف أن التقاليد فى جامعة اكسفورد كانت تحتم عليه أن يرتدى الروب والبرنيطة أثناء لحفلة فقط . وبعد ذلك جمع الروب والبرنيطة وكيف أن فريد شحاته الغلب - هذا تعبير طه حسين - قد اشترى به روباً بثلاثين جنيهًا وأهداه لطله حسين

وكيف أنه استقل من كلية الآداب عندما رأت وراة إسماعيل صدقى أن تمنح كلية الآداب الدكتوراة الفخرية لبعض رجال السياسة . واعترض طه حسين لأن عميد كلية الآداب ليس عمدة يعطى هذه الشهادة لمن يشاء رئيس الوزراء .

وانتظرت أستمع للعرض من هذه المقدمة فقال طه حسين وأنا قد سمعت العقاد يقول لأحد الوزراء فى مجلس النواب بالحرف الواحد يعنى أن أصدرت أكثر من سبعين كتاباً ومع ذلك فالجامعة لم تلتفت إلى ..

ويفسر طه حسين كلام العقاد هذا بقوله : لقد طيب العقاد من الورير أن تعطيه الدولة الدكتوراه الفخرية التى أعطتها من قبل لأحمد أمين وهذا ضد التقاليد الجامعية لأن الدكتوراة الفخرية تعطى للأحباب فقط وأنا شخص عندما ذهت إلى السوربون وأنا وزير للمعارف أقاموا لى حفلة واعتذروا من عدم إعطائى الدكتوراة الفخرية لأننى سبق أن حصلت على الدكتوراة من السوربون ..

ولم يكن طه حسين في حاجة لأن يوضح لى أكثر عندما قال . ولم يكن من
الممكن أن يحصل العقد على الدكتوراه من كلية الآداب . . لأنه لم يحصل على
الماجستير والليسانس والتوجيهية !

وعلى سبيل التغيير والترويح عن النفس سأنته إن كان له رأى فى توفيق الحكيم
فقال طه حسين : أن الذى قدمت توفيق الحكيم . فقد جاءنى الدكتور كامل حسين
ولأستاذ حس محمود وقدما لى كتاب توفيق لحكم «أهل لكهف» وكتبت عنه
وأصبح معروفاً .

ولاحظ طه حسين أن توفيق الحكيم فى السنوات الأخيرة يقول كلاماً غير
مفهوم . .

ولما سألتى عن الذى يصعله توفيق الحكيم قلب له . لا أعرف ما الذى يفعله إنه
يجلس فى مكتب . . ويتردد عليه الأدباء والفقاد ولامدة الجامعة وأخر رحلة قام
بها الحكيم كانت إلى الأقصر . .

وهز طه حسين رأسه .

ومضيت أقول له : وكانت الرحلة على حساب حريدة الأهرام
واعتمد طه حسين قليلاً ليقول لقد اشتعلت فى الحمهورية وفى أحبار اليوم
كل هذه السوت الطويلة ولم يحدث أن دفعوا أحر رحلتى . فما توفيق . . .
وصحك طه حسين ليقول : فهو شطر فى هذه المسائل المالية . وهل كتب شيئاً
بعد عودته ؟

قلت أنا أيضاً ضاحكاً . لم يكتب إلا مقالا وعندما سئل لماذا لم يكتب قال
ضاحكاً : لقد سافرت فى سفينة سلية وكانت المطرنة شادية فى العرفه المجاورة .
وصحك طه حسين وازداد وجهه إحمراراً وافتحت شهيته للكلام عن توفيق
الحكيم . .

وفد رويت لتوفيق الحكيم ما قاله طه حسين فقال الحكيم وهو مختنح الصوت :
إننى لم أكن أفتن النساء أئداً . ولكن طه حسين كان طول عمره يفتن النساء
بطريقته فى الكلام وبشخصيته . وعندما كنت فى حبوب فرنسا من ثلاثين سنة

كانت هناك سيدة أمريكية تطارده .. كانت تحبه .. وكان هو يتسلل من ورائه ويهرب ليحلس إليها على أحد المقاهي .. فهو الذي نفتى النساء ويطارده النساء .
أما أب فلم يحدث قط وهذا ساء أحراريات . أعتقد أنهم ثلاث أو أربع كن يطاردن طه حسين ..

وحاولت أب أنه توفيق الحكيم إلى أنني أنا الذي قلت إن شادية كانت في نفس لسفينة ، وليس طه حسين هو الذي قال ، وكثر توفيق الحكيم كان قد روى لى هذه المغامرة .

ولما طلست سجيناً آخر من القهوة يتجهب إلى طه حسين أقول له هل من الممكن أن أشرب فجأةً آخر ..

فأجاب طه حسين : لسنا بخلاء يا سيدي ..

فقلت : تقصد أن توفيق الحكيم هو وحده الحيل .

ودافع طه حسين عن كرم توفيق الحكيم قائلاً : عندما قدمت توفيق الحكيم لعصوية انجمع اللعوى قلت إنه ليس بخيلاً ولكنه يحب أن يشتهر بالحيل . وإذا توفيق الحكيم يتصايق ويقول إن هذا الرأي سيجعل الناس يطاردونه ويحاولون أن يعرفوا بالتحريية إن كل بخيلاً أو كريماً .

وقال طه حسين : ليس بخيلاً توفيق الحكيم فقد كان يدعوني إلى العداء أو إلى العشاء كلما عدت من أوروبا .

قلت : مرة كل سنة ؟

قال : هذه مرة تكفى . ثم إنه أهدي أمينة مجموعة من الأسطوانات وقد حدث عندما هاجمت إحدى مسرحيات الحكيم وقلت إنه في حاجة إلى أن يقرأ المزيد من الفلسفة أرسل لى خطاً يشتمنى فيه ويقول به يعرف الفلسفة أكثر منى وأحسن منى . فأعدت إليه الأسطوانات وعصب الحكيم وحاء وصالحنى ومعه الأسطوانات .

واشتعلت السحارة فى فم طه حسين ثم قال . وأرسلت لى السيدة والدة توفيق الحكيم خطاً حاداً أقول فيه إنه ليس مهماً أن أكتب عن توفيق الحكيم فهو بحمد الله رجل عسى وأنه يملك مائة أو مائتين من الأقدية !

ودق حرس التليفون وكان المتحدث محمد حسين هيكل ودعاه طه حسين إلى حضور الحملة التي سيقمها بمناسبة الدكتوراه الفخرية .

وبعد أن انتهت المكالمة قال صه حسين إنه يريد أن يشتر الجزء الثالث من الأيام في جريدة «الأهرام» .

وصححت طه حسين باقتضاب . إن حسين هيكل يريد أن يشترها في «الأهرام» وبعد ذلك تشترها «دار المعارف» مجاً ١٩

وسألت طه حسين وهل أنت فرغت من الجزء الثالث من الأيام ؟
فأجاب : أبداً !

وأخيراً اتجهت إلى توفيق الحكيم في التليفون أسأله قل لى تريد أن تساعدنى على الفهم . لماذا يصر طه حسين على إهانة العقاد وتحريجه بهذه المناسبة . تصور أن تلامذة المدارس عندما ذهبوا إليه يسألونه عن العقريات أكد لهم أنها أقل بكثير مما كتبه هو عن السيرة وعن العنة الكبرى . وأنه لو لا أن هناك سوء تفاهم بينه وبين أحد المسئولين في وزارة التربية والتعليم ما قررت كتب للعقاد . ما رأيك أنت ؟

وكت حيرة توفيق الحكيم واضحة جداً . وحيرة كثيرين جداً من الأدباء والمتفكرين وحاء رأى توفيق الحكيم مرة أخرى على شكل رد أو على شكر بصيغة أولفت بظر قال توفيق الحكيم ممياً ومعقياً على هذا «المطب» الأدبى ومهياً هذ المقال بنخيت شديد :

«أحبوا العرير طه حسين من لمستحسن مراعاة راحته والحرص على صحته وعدم محاسنه على كلامه فهو لا يمكن أن يكون قصده الإساءة إلى ذكرى العقاد وهو راقد فى قبره فهو ولا شك يعرف قدر العقاد ومكانته الشامخة وأن أى رأى حاص له الآن فى كتاب من كتب العقاد لا يعنى أى انتقاص من قيمة العقاد ومؤلفاته فالباس بالألوف بقرءون وسيظلون بقرءون عقريات العقاد وبمهمونها . وسيعنون بها ويستمتعون . والعقاد لم يقصد بها أن تكون سيرة من السيرة أو منهجاً من مناهج الدرس والبحث ولكنها أعمال أدبية يكشف فيها العقاد عنصاح فكره النفاذ عن عناصر العظمة الإنسانية فيمن تناولهم» .

انتهى كلام توفيق الحكيم . .

وعنى طه حسين يؤكد أنه لم يفهم العقاد لا اليوم ولا أمس !^{١٩}



وأخيراً قابله

الفتاة

الرقبة التي تقوم بالأعمال القصصية في سفارة سويسرا بالقاهرة مدت يدها تأخذ مني حواز السهر فشعرت بالامتنان لهذه الرقة ولسرعة الإجراءات في إعطائي الفيرة فقلت لها . أما ترحمت ثلاث مسرحيات لفوندرش ديرنات الكاتب السويسرى العظيم .

وهزت رأسها نفس الرقة . وكأني تعرف هذه الحقيبة عن ديرنات وليس عني أنا . ولم تعجسي فيها هذه الرقة الرسمية الرقة «العمة» . وكبت أصور أنسى أستحق نوعاً خاصاً من الرقة لأنسى ساهمت في نقل الفكر السويسرى المعاصر إلى لغتنا العربية . ولا شك .سى أردت أن أقول لها إذا أنت أعطيتى تأشيرة الدخول إلى سويسرا بسرعة ، فأنى 'ستحق هذه التأشيرات بصفة خاصة

ثم استنصحت إن كاتب تعرف حقيقة المسرحيات التى ترحمت إلى اللغة العربية ، فقالت إنها تعرف ذلك .

ولم تشأ أن تقول لى شيئاً آخر وهو أن أحد الناشرين مسرحيات ديرنات قد أرسل خطاباً إلى المسرح العالمى عندى بطلب حق الأداء الفنى لمسرحيات ديرنات التى ظهرت فى القاهرة مسرحية : علماء لطبيعة التى ترحمها د عبد الرحمن بدوى ومسرحية : رومولوس العظيم التى ترجمتها أنا .

ولم تلقى المسرح العالمى هذا الخطاب صحك اعرج حمدي غيث لأننا لم نوقع الاتفاقية الدولية الخاصة بحق الأداء العنى ولا حمدي غيث أحاب بكلمة ولا المسرح ولا وزارة الثقافة ..

واعتبرت هذه الانتسامة الرسمية إيداً بالدحول إلى سويسرا رغم كل هذا . وإنسى إذا كنت قد سرقت شيئاً ، فهي سرقة أدبية وليست سرقة على الإطلاق ما دما لم توقع هذه الاتفاقية .

وفررت أن أحعل هذه بداية الحديث مع فريديش ديرنات فهو كاتب مسرحى عظيم ومن أشد الأدباء سحرية . ولا بد أن تكون هذه نكتة أو لابد أن أحعلها نكتة . وسوف أقول له أيضاً أن الأديب الإيطالى الرتو مورافيا عندما زار القاهرة لأول مرة قبلته وقت مرحباً به . به من انصدف لغريبة أن تصدر اليوم ترجمة لإحدى رواياتك . .

وسرعه رجل البوليس الذى صبط لصاً متلصساً اعتدل وأرل ساقاً من فوق ساق وسألنى عن اسم المرحم والناشر . وقت له : لم توقع الاتفاقية إياها ؟

وبما طلست ديرنات فى التليفون كانت هذه المعاشى فى دهى لكن جاء صوته هادئاً منخفضاً مرحباً . ولا حطت أن صوته هامس وأن به حشونة الديدس يدحون كثيراً . وإن هذه الحشونة لا تحجب صوته . كما لا يحجب انصباب الذى يعطى زجاج النافذة العالم الذى أمامه . . وقال : يوم الجمعة !

وكانت المسافة طويلة جداً بين الأربعاء والجمعة . لكى أمصتها فى البحث عن درسات وكتب عن ديرنات . وكانت متعة أن أبحث عن ديرنات فى بلاده وفى مكتبات برن وحييف وبيوشاتل . وأن أسمع رضى الناس فيه . أنه ككل سى فى وطنه غريب . بهم لا يقرءون كثيراً ما يكتبه ديرنات . ولكنهم يفصلون عليه كاتباً سويسرياً آخر أقل شهرة هو . ماكس فريش . ويرون أن ماكس فريش أكثر عمقاً

ولكن الذى يقولونه عن ديرنات . إنه رجل سحر ؟ كانه ليس من المفروض أن يسحر الإنسان أو كأن من المفروض أن المؤلف يحب أن يكون سويسرياً جاداً لأن السويسريين حادون صامدون كاحمال ، وفى عاية اندقه مثل ساعدهم . وديرنات يسخر من الجبال وسكان الجبال ودقة الشعب السويسرى .

وبل لغائى ديرنات بشرت له صحيفه «حاريت دى لوران» مقالاً هاحم فيه محمود والحمول فى الشعب السويسرى . وأنهم مشغورون بأشياء كثيرة ليست من

بينها الفهم الإنسانية .. وأبهم لا يشاركون في قصايا الإنسانية . وأنهم يؤمنون أن
الفلوس هي كل شيء . وأبهم احتاروا هذا الحباد اللائساي وبذلك صمتموا
المستقبل . فهم شعب لا يخاف من الحرب . شعب لا يعرف معنى الموت .. بينما
العالم كله يعانى من القلق والخوف من انتظار الموت بن زعيم وآخر
وكان الطريق إلى بيت ديرمات غريباً مشيراً ..

فانطلق حلى وعلى حنسه أشجر العانات الكثيرة الخصر المائلة إلى الرقة
وأرض الطريق سوداء . والحر بارد . ولأمطر مظمة ثقيلة . وليست في الطريق أية
معالم تدل على أن أحداً يسكن هذه المنطقة . وارتفع الطريق والسيارة تلهت وحس
تنطلق إلى حصى الطريق . لا أحد . لا بيوت . لا علامات . لا شخص واحد
يقول . ها يسكن ديرمات .. لا أرقام . ولكن السائق ينطلق بالسيارة وثقاً من أن
السيارة ستعرف الطريق والبيت . وفي نهاية الطريق وحداً أول بيت ووحداً أمامه
بضع سيارات . ولكن النيب كان على سطح الحمل .. فالباب والسور أعلى من
سطح البيت . ووقفت فوجدت شاماً صغيراً . وقيل أن أسأله قال : هذا البيت
لديرمات .. ولكنه من الناحية الأخرى ..

وديرمات يملك بيتين متجاورين ..

أحدهما يسكن فيه مع زوجته الممثلة السابقة وأولاده الثلاثة . والثاني بيت
يعمل فيه . والبيت الذى يعمل فيه نه حדרن عالية كأنها لوح ورق أبيض تجمد
وهي انتظر صاحبه العظيم أن يكتب عليه ما يريد . وبرت السلم . وفتح الباب .
ووجدت ممراً معطى بالسجاد . ووجدت سلماً أحمر يربل إلى تحت . واصطدمت
بدي وأنا أتسأله على الحائط عرف من الكتب . ولم ألاحظ أن الكتب عليها
ترب . ونزلت . ووجدت نفسى أمام حائط عريض طويل من لوح رخامى واحد
يطل على الحبل . وبه وبين الحبل شرفة واسعة . ورأيت حوص سباحة يصل
بين البيت الذى ينام فيه وبين البيت الذى يكتب فيه . وبيت لكناية عمرة عن
دورين اثنين وكل دور عبارة عن عرفة وحدة وسعة . العرفة التى أقف فيها الآن
واسعة وبها أربع ماضد كبيرة . وبها مقاعد وثيرة ومريحة .

ووجأة وحدت نفسى وحها لوجه أمام سيدة رشيقة متوسطة القامة إنها زوجة
فريد ريش ديرنغات . . وهى تقول : أهلاً وسهلاً هر منصور .

وورائى وجدت فريدريش ديرنغات نفسه . .

لا يختلف كثيراً عن الصور التى أعرفها . . إلا أنه أقصر قليلاً وإلى أن كرشه أكبر
قليلاً . وكان يرتدى القمص والسطلون وفى فمه سيشارلو وهو وسط بين
السيحار والسيجارة - وهذه «السيحارو» لا تفارق فمه إطلاقاً حتى عندما يتكلم
ولذلك يخرج الكلام من فمه هامساً ومنخفضاً وعبر واضح أحياناً

وانتسامة ديرنغات تظهر فى عييه ومن تحت المظار الغليظ . وعندما يتسم
حداً ، وهو قلما يصحك فإذا صحك نحول وجهه إلى طفل . .

ورأسه كبير والشعر الأبيض قد ملأ رأسه . وأشار إلى أن أحسن وجلس إلى
جوارى . وتراجع فى مقعده ولف ذراعيه حول رأسه . واستطر أن أبدأ الكلام
وقلب . إسى سعيد حداً لثافتك شخصياً ففد لفتيتك كثير فى مسرحياتك وبقى
أن ألتاك شخصياً وأنا أعرف الأستاذ صانع هذه الروائع الأدبية .

وبأدب الكاتب الكبير وفى رقة اللى أستمع إلى هذ الكلام كثيراً ، ويريد أن
يسمع شيئاً جديداً ، شكرى واقترب أكثر وبدأ اللمعان فى عييه يؤكد رعيته فى
سماع شىء مختلف .

وقال لى : أهلاً بمرجمى العزيز ؟

واسترحنت لهذا الاقتراب مى ومن هذه السحبة . وصايقنى كلمة «مترجمى»
هذه وقلت . وكتبت عليك دراساأ أدبية ومقاربات بينك وبين لأدء الجدد فى
ألمانيا وسويسرا وأوروبا . .

وسألتنى : هل وجدت صعوبة فى ترجمة مسرحياتى .

قلت لم أجد صعوبة ولكن وجدت صعوبة فى فهم بعض شخصياتك
وكان هذا بالصبط ما أراد أن يعرف فرق وجهه ليقول مثل من ؟ قلب
شخصية رومولوس العظيم . .

وهنا ضحك ديرمات وكذلك روجته . . وعبدل وملاً بحث السبحارلُو في فمه
وقال . مسكين رومولوس هذا لقد تحيرت الفقاد في تفسيره . حتى أن الذين
ترحموا المسرحية إلى الفرنسيه ظنوا أنني أقصد به ديجول مع أن هذا لم يحظر على
بالي . . وطن الروس أسي أتحدث عن ستالين . . في حين أن رومولوس هذا كم
نعرف هو إمبراطور وصعته الظروف في مكان فريد من التاريخ الروماني .
قلت : وهو أن يصفى الإمبراطورية الرومانية .

قال ليس هذا فقط . وإنما وصعته مكان الطبيب الذي يعرف كل شيء
ويعرف أنه لا أمل وأنه من الخماقة أن يكون لديه أمل في إيقاد الإمبراطورية
القديمة المحلة وأنه يريد في النهاية أن يصور بلقب الإمبراطور الذي قصي على
الإمبراطور وعلى الإمبراطورية . وكأنه يعرف هذه الحقيقة . أو هذه المكة وأنه
هو شخصاً نكة ولكن نكة لا يستطيع أن يصحح لها ، وإنما يصحح عليها
ولكن لأن هذه المكته حيوية ومرحه . . فهي شيء محرج !
وقلت : وشديدة المرة .

وضحك ديرمات ليقول : تقصد القهوة التي شربها . أنها على الطريقة
العربية . . هكذا تقول : ألف ليلة وليلة !

ولم أكن قد لاحظت هذا العدد الكبير من الصاجين التي وضعت أمامي وهي
فعلاً من صاجين عربية والكميات التي توضع فيها قليلة جداً . . ولاحظت أسي كلما
فرغت من صجانتي الصغير نهضت السيدة حرمه ، ودون أن أدري فملأت الصجان مرة
أخرى . تماماً كما يقال عن العرب في الكتب أو في الأفلام القديمة . وعرفت أن هذه
صوره قديمة لحياة العرب ، ومعنى هذا أنني لا بد أن أقول له ما هو المفهوم لأن من كلمة
عربي وعرب وعروية . . ومعنى هذا أيضاً أن ديرمات لا يعرف الكثير عن العالم
لعربي وإنما فرصة عظيمة لكي أدله على العالم العربي وأدعوه لزيارته

ووجهت إليه الدعوة باسم «أخسار اليوم» أن يزور مصر فوافق وأن يبقى
فيها أسبوعاً . فوافق . . وطلب إلى أن أبعث إليه ببعض الكتب أو الدراسات عن
مصر . ووعدت .

وسألته : ما الذى تقرأ أو قرأت عن لأدب العربى ؟ فقال . قرأت ألف ليلة وليلة . . بل قرأتها كثيراً جداً . . وأعجنتى . وأقرأ الآن كتاباً عن الأمير أرسلان .

ثم بهص واحتفى وعاد ومعه كتاب عن مذكرات الأمير أرسلان وهذا الكتاب مترجم إلى الألمانية عن الفارسية عن العربية !

واقترب ديرعات ليفوم هو بسرعة بدور لى يريد أن يعرف عن لعالم العربى فقال لى المسارح لأن موحودة فى القاهرة أو فى الإسكندرية ؟

قلت : أكثرها فى القاهرة .

قال . أى أنواع المسارح عندكم ؟

قلت كل أنواع المسرحيات . نحن نعرض لمسرح الخديث فى مصر وفى العالم . عرصا مسرحياتك مثلاً . ومسرحيات سارتر وأبوى وميدلر وتسى وليامز وبرشت . والمسرح الكلاسيكى عند شكسبير وموليير والمسرح الطليعى عند بكيت ويونسكو . . والمسرح الإغريقى .

وسألتنى : وما الذى يقدمه المؤلفون المصريون ؟

قلت : مسرحيات باللغة العربية . . وباللغة العامية . .

قال : والمسافة بين اللغتين كبيرة

قلت . ليست كبيرة ولكنها تتقارب . .

قال هذا طبعى . . مع التقارب بين الناس والطبقات والثقافات . لكن

هل هى مشكلة ؟

قلت ليست مشكلة بل إن كاتباً كبيراً عندنا هو توفيق الحكيم قد حاول أن يكتب مسرحية بلغة وسط بين العامية والفصحى والعراقى بين الأداء لفصحى والأداء العامى هو فى النطق . وهذه حالة خاصة باللغة العربية نفسها .

وعاد سأل : وهل اللغة لعربية هى اللغة المفهومة فى العالم العربى كله ؟

قلت اللغة العربية فعلاً مفهومة فى البلاد العربية ولكن العامية محتلمة من سد إلى بلد . . واللغة العامية لمصرية مفهومة فى كل البلاد لعربية بسبب الإذاعات المصرية والأفلام المصرية . .

قال . والمسرحيات الكوميديّة تظهر عندكم بأية لغة ..
قلت : بالعامية غالباً .

قال : وجمهور الكوميديا أكثر طبعاً ..

وصحكت . أنا صحكت لأن السيدة حرمة قد ملأت لى الفحاح الساع
وشرته دون أن تنته إلى العدد . وقد أحسست عذمت لى قطعة من
السكوت . فقد أصبح ريقى مرأ حداً . وكأنا هذه المראה فى فمى دكرتنى عمرة
الكتة التى عاشها «رومولوس» فى مسرحيته «رومولوس العظيم» فعدت أقول له .
لكن شخصية رومولوس هذه ..

فقال : أعرف .. شخصية انهزامية .. شخصية سلبية ..

قلت : هذا ما أردت أن أقول ..

وتدخلت السيدة حرمة لتقول : ويمكن أن تقول إنها متشائمة . وأن روحى هو
الأخر متشائم .. كل هذا يمكن أن يقال ..

قلت : هذا هو الشعور العام الذى لا يفارقنى وأنا أقرأ هذه المسرحية . وبعد أن
ترجمتها .. وبعد أن كتبت دراسة عنها ..

وسكت دبرمات ليتفرح على روحته وكأنها تلميذة محتدة فى مدرسته .
أو كأنها تقول نفس الكلام الذى قاله روحها ثم رهو مه . أو كأنها تمشة على
مسرح ولبست فى حاجة إلى «ملق» . قالت : ولكن روحى شاهد على عصره .

وهنا ندخل دبرمات هل من رأيك أنه لا يوجد إنسان سلبى فى هذا العصر ..
هل من رأيك أنه لا يوجد ملوك أو حكام سلبيون . هل ترى أنه لا يوجد من
الحكام من لديه استعداد لأن يحرق أمته من أجل مجد زائف . بل بيرون لم
يدخل التاريخ لأنه أحرق روما . بل لأنه أحرقها وراح يعنى .. فهو دخل التاريخ لا
كرجل أهلك روما وإنما أهلكها وغنى .

قلت : ولكن شخصية رومولوس بهذا المعنى وفى هذا الإطار من صنعك أنت ..
فأنت الذى أحريت على لسانه الكلام . وأنت الذى جعلته أضحوكة ..

قال : جعلته أضحوكة . ولكنى عاقبته على هذا الهرل . . ولكن ليس من الضروري أن يكون العقاب مميتا . فهو ميت بالفعل . . بل إنه هو الذى دفن نفسه من البداية . . فكان موته أقوى من حياة الآخرين . . وموت بعض الناس أقوى وأعمق من حياة ملايين المستمعين .

قلت : لكن التشاؤم واضح مع ذلك فى هذه المسرحية . . وفى مسرحية (علماء الطبيعة) . . فأنت فى هذه المسرحية ماذا قدمت لنا . . أنت وصغت العالم أمام مقصلة . فالعلماء أما أن يدحوا مستشفى المجانين وفى ذلك إنقاذ للعالم أو يتحروا . فأنت رأيت أنه من العقل أن يكون العالم الذى محبوا . . لأن الجنون يجعله يقوم بتدمير العالم كله . وإذا بقى أى عالم درى عاقلا ، فمعنى ذلك أنه يعطى سر هلاك العالم لدولة من الدول . . وعندئذ تصبح هذه الدولة هى وحدها القادرة على التحكم فى الشرية وإفائها . فكأنه إذا احتفظ بعقله ، أدى ذلك إلى أكر عمل محبوس فلا حل لهلاك العالم !

وظهرت تكشيرة على وجه ديرنوب تعادل التكشيرة التى عى وحبى فقد رهقت من صاحين القهوة وقال : ولكن هناك أشياء كثيرة يمكن عملها . . هناك أمور كثيرة يمكن القيام بها . . إنها ليست مشكلة . وإنما هى معصلة حقيقية . . هذا الساق فى التسليح النووى جعل الدول الكسرى على نفس المستوى من الخطورة . . فحسب فى خطر حقيقى . بين اليمين واليسار . وهناك فى اليمين محبين وفى اليسار أيضاً . ولا يزال بعض الأفراد قادرين على إهلاك لملايين . . ومع ذلك فأنا لم أفقد الأمل . . فهناك أشياء كثيرة يمكن عملها . .

ثم عاد يقول لى : لو أن طبيباً ذهب إلى قائل البدئين وكتب بحثاً ، سوف يقولون عنه أنه رجل إنسان . ولو أن فناناً ذهب إلى هذه القائل وصور حياتها عما فيها من صعوبات وآلام فسوف يقولون عنه أنه متشائم . . وأنا شخصياً لست متفائلاً ولا متشائماً . إنما واقعى فقط والواقعية هى الشرف الذى يدعيه كل الأدباء والفنانين . . حتى الرومانسيون يقولون لك : إنهم يكتبون من «واقع» الحياة العاطفية والذين يكتبون عن مستقبل البشرية يقولون لك أنهم يكتبون عن «واقع» الحياة فى المريح . . وأنا فعلاً أرى نفسى شاهداً على عصرى . وأكتب ما أشاهده بالفعل !

ثم عاد يقول بنفس النكشيرة : كثيراً ما يقع المؤنف في عرام إحدى شخصياته . . أو على الأصح نتسبط عليه إحدى شخصياته فيتعزل فيها . أو يتركها بفعل ما يعجبها . . وهذا عيب في القاص . لأن الفنان يجب أن يستسلم وهو يعلم أنه عاشق في الطريق الذي يريد . كما . نستسلم لموج البحر ونحزن نتحه إلى الشاطئ . . وثنا لم أقع في غرام أبطالى . ولم أحعلهم يهربون منى . . قلت : واضح جداً أنه لا يوجد هذا الغرام ولا هذا الحب . . لا حب في مسرحياتك !

فصحك ديرنمات . إن أسهل شيء في الدنيا هو الحب . . والحب الرومانسى بصفة خاصة . . ولكن الحب الواقعى صعب جداً . فمثلاً في مسرحية «هبط الملاك في نابل» نجد الفتاة الملائكية تحب إنساناً لا وجود له والحب الرومانسى هو نوع من الحب لإنسان لا وجود له إنسان بلا إنسانية إنسان بلا عيوب إنسان دائم . . إنسان أبدي . . إنسان قادر على كل شيء . . حتى في عزه . . ولكن هذه صفت لا وجود لها . ولكن ليس أسهل من تخيلها . .

واقرب منى وهو يشير إلى أن ألتقط قطعة من السكوت لعله أراد منى أن أكون أكثر واقعية ثم قال : إن الشاعر دانتى نفسه كان عاجزاً عن الحب . عاجزاً بالمعنى الجسمى للكلمة . فهو لم ير محبته بياتريتشة إلا وقتاً قصيراً . . ولكنه بعد ذلك قدم لنا هذا الحب الميتافيزيقى فى جمال وفى سهولة . ولكن دانتى لم يكتب لنا قصة حب واقعية . . لأنها أصعب من هذا الحب الرومانسى بل أن الروثى الأسبائى سرفاس قدم لنا شخصية دون كىخوته . وهذه الشخصية عاجزة عن الحب الواقعى . . ولكن ليست عاجزة عن الحب الخيالى المثالى لأن هذا الحب أسهل . . والأعاسى التى سمعها ليلاً ونهاراً تناول موضوعاً واحداً هو الشعور بالغربة بين الحبيب والمحوب . . وكلها تتبع من هذا المعنى . . ولذلك فهى أغان غير حقيقية . . غير واقعية . . فهى تقوم على الوهم وتشجع الاستعراق فى الأوهام

ثم يضحك كالأطفال تظهر إحدى أسنانه الذهبية اللامعة فى الجباب الأيسر من فمه .

وسألت ديرغات : أنت الآن مشغول بماذا ؟

فقال بسرعة : أن مشغول الآن بكتابة مسرحية عن الشيوعية .

قلت : دراسة عن الشيوعية .

قال لا مسرحية عن أول مرة طبقت فيها الشيوعية . . كان ذلك في سنة ١١٣٣ في مدينة منيستر بألمانيا . . وأنا أعتقد أن المسيحي الأول هو الشيوعي الأول . وأعتقد أيضاً أن الشيوعية خرجت من المسيحية . . ومن الكاثوليكية بالذات .

ثم هدأ قليلاً كأي قاص عادل يريد أن يصدر حكماً طال انتظاره في قضية صعبة جداً : لعلك تلاحظ أن البلاد البروتستانتية لم تنتشر فيها الشيوعية مثل ألمانيا وسويسرا وأمريكا والسبب هو أن البروتستانتية تعتمد على الحرية الفردية . ولذلك فالولاء للدولة أو للحرب أو للمنظمة لا يتفق مع البروتستانتية . في حين أنه من السهل جداً على أي كاثوليكي أو حتى أرثوذكسي أن يكون شيعياً لأن الكاثوليكية تطلب من المؤمن به الولاء ، ليس للكنيسة ولشخص البابا . . أو لحسم الكنيسة . .

وقال إن كارل ماركس نفسه من أتباع يهوديين ولكنهما تحولوا إلى المسيحية . فاختار الكاثوليكية . ثم كارل ماركس هو المؤسس الحقيقي للشيوعية والرعيم الإيطالي تولى تتي كان معقولاً جداً عندما أعلن أنه من الممكن الجمع بين أن يكون الإنسان شيعياً وكاثوليكياً في نفس الوقت . فهو لم يجرع وصعاً أو لم يعقد زواجا بين مذهبين عريين ، وإنما هو راجع بين اثنين من الأقارب !

وقبل أن تكمل كلامه عاد فسألني : وأنتم في مصر ما هو موقفكم من اليهود ؟

قلت من اليهود ؟ نحن لا نعادى اليهود . ففي مصر يهود وحاحام اليهود عربى من أصل عيسى . وإنما نحن أعداء الصهيونية . أعداء لكل من يؤيد دولة إسرائيل وسياسة إسرائيل التوسعية العدوانية على بلادنا . ونحن لا نعادى اليهود وكثير من المؤلفين والعلماء اليهود يلقون ما يستحقونه من حفاوة واحترام . نحن نعرض مسرحيات آرثر ميللر وكافكا وهرفل ورفح والاس والأديب الإيطالي البرتو مور فيا قد ترجمت كل أعماله . . وأنا شخصياً ترجمت له أكثر من أربعين

قصة قصيرة .. وجاء كثيراً إلى مصر وزار إسرائيل . ونحن لا نعاديه ما دام لم يتخذ موقفاً سياسياً معادياً لنا . وكل مؤلفات برحسون وبروست وموروا وديها مل وفرويد وكارل ماركس مترجمة إلى اللغة العربية ..

واندهش جداً ديرنجات وقال : لم أكن أعرف ذلك ..

ثم سألتى وكأنه ينقل المناقشة إلى موضوع قريب من الكلام عن إسرائيل واليهود : والسد العالي ما الذى سوف يفعله لمصر ؟

قلت : إنه أعظم مشروعات الثروة المصرية . وسوف يؤدى إلى كهربية الكثير من المصانع التى بقيمها . وسوف يؤدى إلى رى مصر رياً دائماً وإلى زيادة الأرض المروعة ..

وسألتى : هل تحاولون فى مصر تحويل المياه المالحة إلى مياه عذبة .

قلت فلسفاً فى حاجة إلى ذلك .. فلدينا الكثير جداً من الماء .. ولكن إسرائيل تحاول فليديها القليل من الماء .. ونحن فى حرب بشأن تحويلها مياه نهر الأردن . والكويت يقتصها الماء ولذلك تقوم بعملية تقطير لمياه الخليج وخطتها بالمياه العذبة التى تجيء إليها من العراق ..

وبدا الاهتمام واضحاً جداً على روعة ديرنجات وسألتنى . إذن أنتم لستم أعداء لليهود .. إننى لم أسمع بهذا من قبل . وكل هذه الأعمال الأدبية لليهود مترجمة إلى اللغة العربة ؟ هذه الروح الإنسانية .. هذا شيء عظيم

وانته ديرنجات ليسألتى فى موضوع خاص . وواضح أنه حصوصى لأنه صديق المسافة بين حاجيه وقال لى ما هى المشاكل التى يعاينها الأدباء فى مصر هل هى نفس المشاكل التى يثيرها النقاد ؟

قلت : النقاد هم مشكلة الأدباء .

فصحك ليقول : فى كل عصر . ولكن الأدباء يعرضون المشاكل على النقاد ..

فإذا لم يكن هناك اندع فنى فما الذى يقوله النقاد ؟

وسأل هل هناك تعارض بين الحياة فى الريف والحياة فى المدينة ؟
قلت . لا يوجد تعارض وهناك اختلاف وهذا طبيعى . ولكن التقارب
بين اسريف والمدينة وليس أثناء الريف وأبناء المدن ، واضح جداً . وذلك عن طريق
العمل والتعليم . والفوارق بين الطبقات آخذة فى الدومان . . وهذا طسعى فحن
محتمع اشتراكى .

وسأله إن كان قد قرأ شيئاً عن الأدب العرسى أو المصرى الحديث قال : أريد
أن أقرأ . . ولكن لا أجد شيئاً فى متناولى . .

قلت كثير من أدبائنا المعاصرين قد ترجمت أعمالهم إلى اللغات الأوربية
وأرجو أن أتمكن من أن أبعث لك ببعضها . .
قل . فعلا أريد ذلك وقل أن أجيء إلى مصر . وأرجو أن تكون زيارتى
فى ديسمبر . .

قلت : يسعدنا جداً . . وأرجو أن يكون ذلك فى الوقت الذى يناسبك أيضاً .

قال : بالمناسبة . . هل رأيت فيلم الريارة ؟

قلت : رأيت وأعجبنى . . ولكن المسرحية أجمل . .

قال : أنا لم أره حتى الآن .

قلت : أليست لك أفلام أخرى ؟

قال عدى قصة يحرى بصويرها الآن . وهى قصة «يوساى يسروج يوباية»
وهى قصة رجل يوساى طيب يعلن عن رعبته فى الزواج من يوباية . وتجىء إليه
فئة حمية جداً وتتروجه ويكتشف أن عروسه هذه عشيفة لكل الدين يعملون
معه فى الشركة وهذا العشق هو الذى أدى إلى ترقيته

قلت : فى مسرحية الريارة كانت لطفلة سيدة ملبونيرة شترت المدينة والباس

واشترت القانون . . من هذه السيدة ؟

وصححت ليقول : إنها العصر إنها الملبوس إنها الصعف الموحود عدى

لباس . بعض النقاد قالوا يسى أقصد أمريكا . وبعضهم قل إسى أقصد ألمانيا .

وبعضهم قال إني أقصد سيدة بالذات . . على كل حال لقد أراحني التقاد لقد تركوا لي عباوين أناس لم أكن أعرفهم ولا يهمني من الذي تتجه إليه هذه التهمة . وبما المهم أن هناك تهمة . وأن هذه التهمة معقولة ومقبولة في النهاية !

وسألت ديرنمات : إن كانت هناك تهمة موجهة إليه . .

قال : أقول لك شيئاً مريحاً . لا أحد برىء أو أحسن طريقة أسأل زوجتي ! وضحكت روحته وهي تقول كأنها تساومه على الحقيقة هو على كل حال إنسان مريح .

وبهز ديرنمات ليقول هد يكفى . . أسألك في موضوع آخر لأنها ستغير رأيها حالاً !

وعادت الروجة تقول : فعلا مريح . . ولكن . . وصرح ديرنمات : ألم أقل لك وأحدث الروجة طابع الجدل لتقول : هو مريح فعلا . به يحسن على مكتبه لا يتحرك بالساعات . . وطل يكتب بالساعات ويستهل من نراسره إلى ترابيزة . ثم أشارت إلى الترييرات الكثيرة . وقلت : هنا يرسم . لأنه رسام أيضاً وهما يقرأ . وهناك يكتب . . وهو يكتب بيده . وبعد ذلك يستأجر من يكتب له على الماكينة . . ولكن . .

وسكتت لتسحب من هذا المديح شيئاً آخر . ولكن عبه أن عندما يكون عارقاً في التفكير أو في العمل يتحول إلى إنسان آخر لا أعرفه ولا يمكن أن أعرفه . . وتحس أنه إنسان في حالة حزن شديد . . كأن مسرحية صاغت منه أو كأنه فقد النص الوحيد لإحدى مسرحياته . وقد حدث أن جاء بعض الصحفيين بريارته لأول مرة . وهو الذي حدد الموعد . ونزل للقاءهم وسلم عليهم . ثم تركهم واتجه إلى مكانه في الطابق العلوي وطل يكتب ساعة . وعحص الصدفة ذهبت لأسأله عن شيء . فوجدت الصبوف وحدهم . فأسرعت إليه أسبه إلى هذا الذي حدث . وبرر بسرعة وسلم عليهم من جديد معتذراً . وفجأة أصيب بحالة سرحان شديد جداً . . وأستأذن وصعد إلى فوق يسمر في الكتابة . . وعتدت أما للصيوف وباديت أولادي يجلسون معهم .

وسألت عن أولاده فقال : إليهم فى إنجلترا . . وقد شاهدوا مسرحيتى الأخيرة ،
التي افتتحت اليوم .

قلت : مسرحية «الشهاب» .

قال : نعم هى . .

قلت : هل أعجبتهم ؟

قال (صاحكاً) : إليهم معجبون بوالدهم . . تماماً كأهمهم . . وأنت سمعتها الآن
وهى تمتدحنى . .

قلت : ما هى فكرة «الشهاب» . . أب قرأتها وأريد أن أعرف منك . . وأريد أن
أستأذنك فى ترجمتها .

فهز رأسه قائلاً : لا مانع . . إنها مشككة البعث . . فى الكتاب المقدس نجد أن
المسيح قد أحيى لعازر . . كان لعازر ميتاً وأحياه المسيح . . ولكن بعد أن عاش لعازر لا
نعرف ما الذى حدث له . . وأن تناولت هذه الحادثة . . هذه المعجزة . . وأظهرت ما
الذى يمكن أن يحدث للإنسان لو أنه مات . . ثم فوحىء الناس بأنه لم يموت !

قلت : وهل مات فى النهاية ؟

قال : صاحكاً : إن الناس لم يعطوه فرصة لكى يموت . . لقد أنزلوه عليه ستار
الفصل الثانى والأخير .

قلت : وكيف قابلها النقاد فى إنجلترا ؟

قال : بعضهم بعث لى رأيه بعد أن قرأ النص . . وكذلك لخرج والممثلون .
ولكن لا أعرف رأى الجمهور بعد .

قلت : وهل يهتمك ؟

قال : يهمى . . ولكن لا أعلق أهمية كبيرة على ذلك . . والفنان يجب أن يقول
الحقيقة فقط . . وليست للفنان مهمة أكبر ولا أسط من أن يكون قاضياً عادلاً وأن
يكون أميناً . . وبذلك يكون مواطناً صالحاً ، ومواطناً عالمياً .

قلت : باعتبارك مواطناً سويسرياً . . إلى أى الأحزاب السياسية تنتمى ؟

وأجاب : ليس لى حزب سياسى .. بل الأحزاب السياسية ليست ضرورية
سويسرا .. فالحزب وسيلة من وسائل الاستقلال السياسى ، ونحن فى حالة
استقلال سياسى .. ولكن عيب سويسرا الآن أنها اكتفت بهذا القدر : أى بأن
تكون مستقلة سياسياً دون أن تمد يدها إلى الشعوب الأخرى ودون أن تشارك
فى قضايا الإنسانية .. وهذا هو الذى أصابها بالحمود والعزلة .. مع أن العزلة
شئ غير طبعى ..

قلت : وبالنسبة للفنان أيضا ؟

قال الفنان يعزل أثناء لابداع . حتى هذه العزلة ليست تامة وإنما هى
عزلة تقتضيها طبيعة الابداع . ولكنه نعرل لىكون أكثر اتصالاً ووعياً لمهمته
ولأهميته .. *

وتفعل لنا الحديث عن الأدب السويسرى المعاصر وعن الفلسفة لوجودية .
وعن الفلسفة عمرم فقال إن أحسن من كتب الفلسفة هو الفيلسوف الألمانى
« كانت » ، وأحسن ما كتبه « كانت » هو رأيه فى نظرية المعرفة .. أى معرفة الإنسان
للعالم ونفسه وهذه فى رأى أهم شئ بالنسبة للإنسان ، وبالنسبة للفنان

وسألته : هل قرأت ألوحوديه وإلى أى حد كنت تراها معقولة ؟

وأجاب قرأت الكثير فيها وأنا أعرف سرتر شخصياً .

وتدخلت الروحة لتقول : إنه رجل رقيق جداً ومهذب جداً . وصاحك
دائماً وصثيل لجسم .. ولكن تحس أنه مثل قط صغير وقط متحفر دائماً .. يدور
حول نفسه . ويتجه إلى كل جهة . ومشرق دائماً . ولامع وحاد الدكاء إننى
أحب هذا الرجل وأعجب به إلى أقصى حد .

وبهص ديرماب ورح يجمع عدداً كبيراً من الكتب ويقول . هذه ترجمة يابانية
لمسرحياتى .. وهذه إيطالية ، وهذا هو أحسن كتاب صدر عنى .. وهذا كتاب صدر
عن الأدب السويسرى عموماً . ولكنه لا يعجبنى ..

ثم ضحك وهو يقول : وهذا شريف ..

وتلفت لأرى كلبه الصغير .

وقال : لقد احترت له اسماً تركياً وأنا أحب الكلاب . عندي كلب وعندي
بيبغاء وأحب أولادي أيضاً !

ثم تحول كأي عصفور يفر من هنا إلى هناك . وانجه إلى أحد الماصد وقال لي
وهذه رسوماتي . . فأنا أرسم الشخصيات بالقلم قبل أن أكتب عنها . . وأجعلها
تتكلم وكثيراً ما هربت من الكتابة إلى الرسم . فالرسم هو كتابة بلا كلمات
وهذه صور فوتوغرافية . أرجو أن أحتمط بهذه وأنت حدهده وهذه وأرجو
أن تعيدها إلي مرة أخرى . .

قلت : حاضر . . بعد نشرها .

قال . فبيست عندي إلا نسخة واحدة وهي صور جميلة ومعبرة كما ترى
ثم تأمل صورة ونعدها عن وجهه قليلاً ليقول : لو كنت أعرف كيف أصف ما
يلدور في رأس هذا الرجل !
وهذا الرجل هو ديرغات نفسه .

ثم اتجه إلى الشرفة وأطل على الجبل من ارتفاع ٤٠٠ متر ، وأشار إلى حمام
الساحة المسحى . وقال لي إنني أقيم في هذا المكان سبعة شهور من السنة ،
والشهور الدفء أتصح فيها وأنا أعمل فقط سبعة شهور في السنة !
قلت : كتابة للمسرح . .

قال لا . مسرحيات ، ومسرحيات للإذاعة والتليفزيون ، ومقالات وأحاديث ،
وقصص قصيرة وروايات . وكلها في وقت واحد . ألم تسمع من روجتى إيسى مريح
جداً . مريح جداً ! . . فالناس يروى على حالة واحدة أكسب فقط !

وعندم عد ، إلى داخل بيت الكتابة . أشار ديرغات أن أجلس وأشار إلى فنجان
القهوة قلت : هدايكفى ولكن أنا لاحظت أنك لا تشرب قهوة . . ولا زوحتك .

فقال : أليست هذه هي التقاليد العربية ؟

قلت : ليس كل العرب .

قال : أنت لا تشرب القهوة بهذه الكثرة ؟

قلت : لا ..

قال : ولماذا لم تقل ؟

قلت : جئت لأسمع لا لكى أقول .

قال : هل تريد شيئاً غير القهوة ؟

قلت : نعم .

وقلت زوجته : ماذا ؟

وقالت : أن أشكرك . وأن أحلم برباتكم لما فى القاهرة

وصافحنه والسيدة حرمه واتجهت إلى الدرح وفى بيى أن أقول لديرنمات . لا داعى لأن يوصلنى إلى باب البيت ولكى فوجئت أن ديرنمات قد جلس إلى منصدة الرسم وأخذ يرسم . . ومن ورائه زوجته تصبحت فى هدوء وتهز رأسها ونمط شفيتها وتقول : ألم أقل لك ؟ ..

وقلت لها : يرسم . . يكتب . . يسرح . إنه كاتب عظيم !



الذى اختفى م عاماً

نبح

هذا الأديب فى أن يحفى نفسه عن العيون عشرين عاماً وبين حين وآخر يظهر بشر قصة قصيرة ثم يعود إلى مكان بعيد فى قلب أمريكا لاختفى من جديد . . وكان الناس يتساءلون عن هذا الأديب العريب الذى يحفى عزله بكل ما أوتى من وسائل الهرب والتخفى . فهو يركب سيارته ويطلق بها . وعند أى مكان يعرغ فيه برين السيارة ، يتركها ويأوى إلى أى فندق شهر أو شهرين دون أن يعرف أحد عنوان . . والصحف نسأل ووكالات الأنباء والتكت تصوره هارياً وتصوره فى شكل حيوانات والطيور تماماً كآلهة الأساطير القديمة . الذين يطاردون بعضهم البعض فى جلود الحيوانات وفى ريش الطيور وفى أعماق الوديان وتحت الماء .

لقد حثى الكاتب الأمريكى سالنجر عشرين عاماً لا يطفو على سطح الحياة العامة إلا نادراً . . ولم يحدث فى تاريخ الأدب الأمريكى أن انتشرت قصص أديب وفى وقت قصير كما انتشرت قصصه . فهو قد صدرت له قصة واحدة طويلة وثلاث قصص متوسطة الطول ثم ثلاثون قصة قصيرة وقصته الأولى ناعت فى شهر واحد ربع مليون نسخة .

وصدر عنه هو فى سنة ١٩٥٩ حتى الآن أكثر من عشرين كتاباً كلها تصم دراسات تاريخية ونقدية لهذا الكاتب الذى حفى ليمو بعيداً عن الناس وليظهر كبيراً . . ودفعه واحدة . .

وهو يعترض على عبارة «دفعه واحدة» لأنه لم يكبر دفعه واحدة . وإعماى وروعى وأرهى وثمر بعيداً عن العيون . تماماً كأشجار لعباب المظلمة . فأشجارها

تكبر . . وفروعها تتسابق نحو الشمس دون أن تمتد إليهم يد . ودون أن يدري بها أحد . ودون أن تلتقط لها صحيفة صورة واحدة !

ويقول سالنجر أتمنى لو كنت أحرص أصم حتى لا يتحدث الدس معي . إنسى أفصل أن يكتب لي الناس ما يريدون . فإذا تجمع عدي كل ما كتبه الناس فإننى أحمله معي إلى كوخ أصغه بيدي . وأجعل هذا الكوخ بالقرب من عانة هائلة ، وليس في داخلها . . فإننى أريد أن يتلىء كوحى بأشعة الشمس !

وجيروم دافيد سالنجر طويل القامة نحيف يمشى بسرعة ولا يركز نظراته في شيء أو في أحد . . ويندهش النقاد كيف أن هذا الرجل البولندي الأصل يبدو سارحاً ، مع أن كتاباته تدل على دقة الملاحظة وقسوتها .

وسالنجر عندما كان يقفل على نفسه الأبواب ، فلكى يرى أكثر ويسمع أقل . . وكان يهتم بكل ما ينشره عنه النقاد . وكان يفكر فيه طويلاً وقد حدث أن أعاد كتابة قصصه القصية عدة مرات . . وأرسلها للنقاد . . وسألهم إن كانت هذه القصة بالصورة التى اقترحتها تعجبكم ؟

وقبل أن ينتهى الناقد إلى رأى يكون سالنجر قد أحاب فى نهاية القصة بقوله . أنا شخصياً لا تعجبني .

وعندما كانوا يسألون سالنجر عن سر اهتمامه بكلام النقاد كان يقول : إن الشاعر كسب قد مات بتأثير عبارات لإداعة أطلقها أحد النقاد عليه . .

وقد أشار الشاعر بيرون إلى هذا المعنى عندما قال : غريب هذا العقل المتوهج ، تخمده كلمة جاءت فى مقال ! .

ويرى سالنجر أن النقاد أشرار بالطبع - ولكن بعض الشر مفيد وهو يحاول أن يستفيد من هذا الشر القليل !

وقد لتقى الكاتب الأمريكى الذى طهر أحيراً . بكل كبار الأدباء فى العالم ولكن فى ظروف شاذة . .

لقد قابل مسحووى فى أحد الحافى فى أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية وكان سالنجر قد فرّ لتوه من قصة قصيرة وكان يكتبها على الآلة وأعطى القصة

لهمينحوای الذي كان يعمل مراسلاً حربياً . وأمسك همسحوای القصة وقرأ صفحتها الأولى والثانية . . وقرأها كلها وقال : يا إلهي في هذا الخندق أحد هذه الموهبة !

وعندما سأله همينحوای عن اسمه أحاب قائلاً : أنا أحد المعجبين بك فقط .

أما الكاتب الأمريكي فوكر فقد قبله في إحدى الحانات عند المحر . . وكان فوكر مخموراً جداً . ولاحظ الكاتب الكبير أن هذا الشاب النحيل ينظر إليه طويلاً . وسأله فوكر : هل تريد أن تقرأ لي قصيدة .

وأجاب الشاب النحيل : عدي قصة .

واستند فوكر إلى ذراع الشاب وهو يقرأ له القصة وعندما انتهى منها نظر إلى الكاتب العظيم وسأله : ما رأيك ؟

فأجاب فوكر : حاول أن تكتب قصة طويلة . .

وعد الشاب النحيل يسأله : وهذه القصة لم تعجبك ؟

فأجاب : إنها تصلح أن تكون قصة طويلة . . فما يزال في الرجاجة حمر كثير أي ما يزال في القصة القصيرة معان كثيرة بمكر أن يفصح عنها في قصة أطول ! وقابل سومرست موم . وصارحه موم بأن عنده موهبة ملتهبة ولكن ليست عنده ثقة في نفسه .

أما مقابلة سالحجر للكاتب الأمريكي الأرمسي الأصل سارويان وكانت غريبة جداً . . فقد كان سالحجر يحب فتاة حميلة اسمها أوبا . هذه الفتاة ابنة الكاتب العظيم يوحين أونيل وصارت بعد ذلك زوجة شارلي شالمر وكان يبعث لها بالخطابات الطويلة ويستخدم أروع أساليب السحرة المشرقة بالمعاني والانتقادات الصارحة وكانت أوبا تقرأ هذه الخطابات لصديقاتها . وكثير من الصديقات نقلن هذه الخطابات واحتفظن بها .

وكانت من بين هذه الصديقات فتاة سمراء حميلة . وكانت تحب خطيبها ولكنها تحفل من الكناية إليه . . فهي لا ترى نفسها قادرة على أن تكتب ونصف وتحذثه عما في نفسها . وراحت تنقل صفحات كاملة من هذه الخطابات وتبعث بها إليه . .

وانقطعت رسائل خطيبها . . وفي يوم بعث إليها بخطاب طويل يقول فيه : قرأت خطاباتك وأعجبت بها جداً . ولذلك اعتذر عن الرواح منث !

وطارت الخطيئة إلى خطيبها تسأله عن السبب وكان من رأيه : أن الفتاة التي تكتب بهذه الصورة الساحرة القاسية ، لا تعرف الرحمة ولا تعرف الحب وإنما كل الناس عندها صور كاريكاتورية وكذابون ومنافقون وفي غاية السفالة . ولا أدري إذا كان هذا هو رأيك في الزواج !

واعترفت الفتاة بأنها كانت تنقل هذه العبارات من خطابات أرسلها شاب اسمه سالنجر إلى صديقه أونا . .

أما هذا الخطيب الذي أعجب سالنجر دون أن يراه فهو الكاتب الأمريكي وليام سارويان !

وسالنجر (٤٤ سنة) هذا الكاتب الذي هر الخيل الحديد في أمريكا وفي أوروبا أيضاً أصبحت له مشكلة لا يعرف لها حلاً وهي أنه أصبح عاجزاً عن أن يكون وحده إنه فقد لذة العزلة متعة الكوخ المليء بالضوء . بالقرب من إحدى العابات الكثيفة

وقد أعحسى هذه العبارة التي جاءت على لسان أحد أبطاله في قصته الكرى «فراسي وروثيه» . أن ايمان كالسمكة الحائطة التي نسلت إلى أحد الأركان الصيقة . . فقد تمكنت من دخول الوكر الصيق . لأنها حاوية البطن . ولكن في هذا الوكر وجدت طعامها وكتلت . وأكلت حتى امتلأت . وعندما حاولت أن تخرج وجدت باب الوكر يصيق عنها . . لأنها قد امتلأت بالطعام بالمعنى . . بالأفكار ، بالتأملات . ولا يمكن أن تخرج من باب الوكر الصيق إلا أن تصرغ ما في جوفها على الورق . وكذلك كل من يحب ألا يعادر عزلته ، كوحه البعيد عن الناس ، إلا بعد أن يكون قد فرغ من عمل في يقدمه للناس .

وهذا الكاتب الأمريكي الذي أحدث دوماً في الأوساط الفنية في العالم شعاره : نعد عن الناس لترجع إليهم عما هو أكثر نفعاً لهم وأبقى على الأيام . نعد عن الناس من أجل الناس .



شئ ومن التاريخ الجليل

هذه

خطوطه الخارجية : إنه الشاعر الروسي يفحيا يفشكو ... (ى.ى)
أبيض طويل (١٨٩سم) حنكيز خان وأنفه عمودى على شفثيه .
ويبدو أن هذا الأنف قد ترك ضالا على الشفة العليا فلا يرال هذا الطل عائراً . ورأسه
صغير وكتفاه حامدتان . وهو حفيف الحركة رغم أن وزنه (٨٠ كيلو) .

خطوطه الخارجية . هى الشئ الوحيد الذى يفرد به إسان عن إسان آخر
فأجسامنا فردية وأفكارنا عامة .

وهو يحمل معه بدلة واحدة خضراء . وقميصاً واحداً بلا كرافته . وقميصاً واحداً
بكرافته وحذاء واحداً . وفى يده حقيبة صغيرة بها فيتامينات وحبوب حجارة
وماكينه حلاقة . وفى جيوبه سجاثر أمريكية .

إنه مثل واجهة من الجليلد ...

أبعاده الداخلية - الزرقة فى عييه قاسية حامدة . وأحياناً تظهر على أنفه من
أعلى خطوط مريرة . وفجأة ينسحب من الدنيا إلى عالم آخر فبدأ هو صامت
مأحود وبسرعة ينتقل من الجلوس إلى المشى . . ومن المشى إلى النوم فى أى
مكان وبسرعة وعمق ...

وقد اعتاد أن يكون صبهاً فى القارات الخمس . ولذلك عندما يقف أمام السيارة
ينتظر من يمتح له الباب . . . وعندما يصعب السبحارة فى فمه يتركها فى مكانها إلى أن
يتقدم له إنسان ويشعلها . وعندما يمشى مع أصدقائه أيا كانت صلتهم به فهو يتقدمهم
وإذا أراد شيئاً فإنه يطلبه فوراً . . . ويظهر الإصرار والطفولة فى وجهه . لأنه طفل مدلل

وهو فى الحفيفة طفل يحلس على ركبتى ٣٢٠ مليون من ابروس . وفيه قنق
وحيرة واصحة فهو على سفر دائماً . يام فى الطائرات والسيارات والقطارات ولا
يحمل إلا عنقريته الفنية . وهو يذهب فى كل مكان فى العالم ليلقى شعراً باللغة
الروسية ولكنهم قد سمعوا عنه ويريدون أن يروه . ولا يهم ما الذى يقوله . ولكن
يكفى أن يروه يتغنى بشعره وأن سمعوا إلى من يترجم شعره بلا أداء . أو من
يترجم الشعر ويترجم لهم الأداء .

ولا شك أنه محروم من التقدير . فهو يحظى بتقدير الدير يرويه كممثل
أو كمطرب . . . ولكن لا يحظى بتقدير من يفهم روح ما ننظم وكيف يقوله
وهو يستقل من قاره إلى قرة بلا ورفه ولا فلم . . . وإنما كأنه أحد رواد الفضاء . . .
وهو لا يبحث إلا عن أذان تسمعه عندما يلقي شعره . ولذلك فحديثه (مونولوج)
ومن السادر أن يدخل فى (ديالوج) أى فى حوار وإد دخلت معه فى حوار تشعر
بالصيق . لأن الحوار ليس من طبيعته . فصبيحته أن يقول وأن ينعى وأن يرى
الأيدي تصفق وكثيراً ما رأى الدموع فى العيون أيضاً .

وكثيراً ما كنا نحن - كامل رهبرى ورجاء السفش وأما - أثناء مرافقتنا له فى
أسون والأقصر نحس أننا أمام طفل . والمشكلة هى به ليس طفلاً . ولكن فيه
طفولة وفيه نصح وفيه ذكاء وفيه حبرة . وشهد أن كامل رهبرى كان أقدرنا على
تحمل صفولته احميلة . وكان كامل رهبرى عن نفسه إنه يثير فيه عاطفة الأوبة
والأمومة معاً - أى الأوبة . . . إنه نار تتلوى تحت الجليد . . .

جذوره التاريخية : والشاعر (ى . ى .) من مواليد سيبريا . وإحساسه بالوحدة
والتم كان مسكراً ففى طفولته افتقد والديه فقبل له إنهما فى ميدان القتال . وكان
على الطفل أن يكون رجلاً يعتمد على نفسه . فراح يعنى ويرقص ليعيش . وكانت
بعض الأغاني من تأليفه . .

كانت تقام فى قريته أغرب أنواع الأفراح . كان الخمود يتزوجون قبل السفر إلى الجبهة
بليلة واحدة . فهى حفلة رفاة وحفلة تأبين . فى نفس الوقت . وكان عليه أن
يرقص ويعنى للحياة والموت . . لقاء والوداع . بل حرام ألا يغنى فى اجارة المرحه . .
واحتتمت الأفراح اجسائرية . باختفاء الحرب ولكن صداها ودموعها وجليدها
ووحلها ما يزال عالقا بلسانه . . .

وأحدث الحرب كثيراً من أحلام صفولته أما أمه فقد تزوجت رجلاً آخر غير والده وأما أبوه فقد تزوج امرأة أخرى . وكان له أحوة في الدم فقط . . .

وأحسن الفنان لصغير الرقيق أنه إحدى أشجار الصور الصدية في قلب الخليلد . وأكسبه اليتيم والعمر والحساسية شعوراً بالامتياز والثقة بالنفس . ومن وحدته ومرارته بدفق الشعر وداب الخليلد . واشغل الصبا بعصه وبما يدور في رأسه وفي كثير من حصص المدرسة كان يكتب أشياء أخرى غير التي يقولها المدرس وخصوصاً في حصة الإملاء . وطرده المدرسون وخذ وراء وخذ وفي كل مرة يطربونه بحس أنهم يعتقدون له موعداً غريباً مع أعز سنان عليه . مع نفسه .

وأول ديوان صدر له كان بلا بمصاء باع الديوان عشرين ألف نسخة أما آخر ديوان فصاع مليون ونصف مليون نسخة . وليس هو الشاعر الوحيد في روسيا . فهناك ثلاثة آلاف شاعر .

ومن الممكن أن يأكل الإنسان من عظم الشعر فهناك وطيمة اسمها الشاعر المحترف . ولما سألتني الشاعر إن كان شاعراً أحمد عبد المعطي حجازي يعيش من الشعر قلت إن شعره يعيش من شره . فاندھش .

وعلى أثر معاركة الأدبية في روسيا تردد اسمه كثيراً والتقطت وكاله الأبناء هذا الاسم وكانت الصحف العالمية قد التقطت الشاعر باسترنك . وأشادوا به على أنه شاعر متمرد وعندما قرر بجائزة نوبل في الأدب كان السبب الظاهري لأنه شاعر عظيم ولكن السبب الحقيقي كان لأنه شاعر له رأى في الثورة الروسية أي أنه فاز بجائزة نوبل باعتباره ساخطاً . . .

وحرص العرب على أن يظل السخط ناراً مشتعلة في داخل روسيا ولما ظهر (ي . ي .) وجدت الصحف العربية أن هذا الشاعر هو خير بديل لاسترنك . . . ولما دبرت المداخلات المعروفة بينه وبين حروتشيف نشرت في كل صحف الديب . ونلهم الأدباء والفد على رؤية الشاب الدي طب من حروتشيف أن يعطي لشاعر آخر فرصته كي يصلح نفسه ويقوم بخطووه المفكرية . وبما قاله (ي . ي .) في ذلك اليوم أن هذا الشاعر مواطن صالح وقد أصابه الألمان بعشرين رصاصة في جسمه فاعطه فرصة .

وكان رد حروتشيف . أن هناك مثلاً شعبياً يقول : إن أصحاب الطهور المقوسة لا يقيمها إلا القسر . وذكرت الصحف العالمية أن حروتشيف التفت إلى هذا

الشاعر وقال له : ما الذى أستطيع أن أفعله بك . هل أبعث بك إلى سيبيريا ؟ أنت مولود بها . وإرسالك إلى سيبيريا مثل إلقاء سمكة فى الماء . . . إننى لا أعرف ما الذى أفعله بك ورد عليه الشاعر الشاب : أتركى أفعل ما يشاء ضميرى الصادق . . وكانت مجلة (لاني) أولى المجلات التى التقطت الشاعر ونشرت له قصيدتين دفعت ثمنها ثلاثة آلاف دولار . . ونشرت الصحف تقول إن (ى . ى .) هو شاعر مجلة لاني . . .

وطل الشاعر (ى . ى .) يلقي قصائده بصوته الأخص الحساس فى كل مكان فألقى فى إحدى المرات ديواناً كاملاً على عشرات الألوف من العمال . . وفى خمس ساعات . .

وهو أول شاعر سوفيتى يلقي الشعر فى هذه الحشود الهائلة من المتحمسين والعمال والفلاحين فى كل جمهوريات السوفيتية وفى أوروبا وفى آسيا وفى استراليا وفى أمريكا . . . وفى إفريقيا دعاه الرئيس الشاعر ليوبولد سنجور . . وأمضى ثلاثة أسابيع ضيقاً على جمهورية السنغال . . التى أهدت لروسيا وللعالم شاعراً عظيماً هو بوشكين .

وفى مصر دعاه أحمد بهاء الدين ودعانى أيضاً لمرافقه إلى أسوان والأقصر . وسألنا أكثر من مره إن كانت فى النيل أسماك . وكذا له أن هناك كثيراً من الأسماك . ولما ذهبنا إلى السد العالى عاد فسألنا عن الأسماك وعرف فيما بعد أن فى الاتحاد السوفيتى أنهاراً حتمى منها السمك بسبب وجود المصانع والموندات الكهربائية على الخنير وفى السد العالى النقى بالمهندسين الروس ووجد من بينهم أحد أصدقائه وحاء يقول لنا أن هذا الصديق حاول منذ ثلاث سنوات أن يجد تذكرة واحدة ليشهدده وهو يقرأ شعره وهو لأن . سعيد لأن (ى . ى .) جاء يبحث عنه .

وفى الليل دعاه بعض الأصدقاء الروس ليلقى شعره - طبعاً وألقى وأطال ووجد من من المستمعين شاعر . . . وكان سعيداً . وأدبت سيدة ملاحظتها فى أن بعض قصائده حرة (لكن ى . ى .) قال لها : ولكى ألاحظ الابتسمة العريضة على وجهك فأحابت السيدة : إننى ابتسم فقط لأنك تلقى هذا الشعر فى بيتى . .

(آخر قصيدة سمعتها من الشاعر كانت فى بيت الفنان صلاح طاهر إنها تتحدث عن الوحدة والموت والغرق . . .)

سألته . هل عرفت شيئاً عن الحصار المصرية القديمة قبل أن تجيء إلى هنا . . .
فأجاب : لقد نظمت قصيدة اسمها (نفرتيتى) وهى قصيده مشهورة وقد أسرف
الباس فى تفسيرها ولكن القصيدة معناها أن الملكة نفرتيتى وهى جالسة إلى جوار
زوجها ' نوعان من القوة ونوعان من لضعف . فالملك بصرته ضعيف إلى جوار
نفرتيتى . ونفرتيتى كامرأة ضعيفه ولكنها قوية بجمالها أم الذى يبقى فهو
حمال . فالملك بقوته أضعف منها وهى بصعفها أقوى منه . . فهو يمثل ضعف
القوة . . . وهى تمثل قوة الضعف . . والمن هو الذى يبقى فى النهاية . . .

قال هذه العبارة وهو يشير إلى الرسومات التى سجلها لصابون الفراعنة على
المعابد والمقابر . . . وسألته عن الأدباء العالميين الذين يعرفهم - ولم يكن حريصاً
على أن يقول ولا حريصاً على أن أسأله فهو مشغول بموسيقى أخرى لا سمعها
فى أذنيه . . . وهو يدندن عادة كآى موسيقار . . .

وقلت له على سبيل المساعدة : سارتر مثلاً ؟

قال : أعرفه ولكنى لا أحبه .

قلت : اليرتو مورافيا مثلاً ؟

قال : أعرفه شخصياً . وأحب روايته (رمن اللامبالاة) وهو رحن غيور على
زوجته الجديدة الجميلة .

قلت : لقد قابلتهما فى العام الماضى فى هافانا وهى فتاة جميلة .

قال : ليست جميلة .

قلت : جميلة جداً .

قال : ليست جميلة . . وهو غيور عليها جداً لدرجة أنه لا يطيق أن يجلس
معها أحد .

قلت : لقد جلست معها ، ثم أستأذن مورافيا وتركنا وحدنا ساعتين . .

قال : مستحيل . . . وأين كان ذلك ؟

قلت : فى مدخل الفندق الذى انعقد فيه مؤتمر مقاربات لثلاث . .

وضحك (ى ي) وهو عندما يضحك سترد وجهه كل ألوان الطعولة . سرعة

تتمص بشرته كل هذه الورد والأصواء ويعود وجهه حاداً حامداً . .

وهو من أشد الناس إعجاباً بهيمجوى وأرثر ميللر والشاب القمان إدورد السى
وعسرحيته المعروفة (من الذى يحاف فرحمننا وولف ؟) ويرى أن إليزابيث تيلور قد
بلغت قمته فى هذه المسرحية .

ولا يزال فى دهشة من التحول الذى أصاب الكاتب الأمريكى جون شتايسث . .
فهذا الكاتب عندما سافر إلى روسيا لآداء الشان أن يسخطوا وبثوروا قائلاً :
أيها الذئب أرونى أنيابكم .

وبعث إليه (ى .ى .) برسالة يقول فيها . . .

أيها الذئب العجوز أرى أنيابك عندما تثور على عدوان أمريكا على فيتنام
ويسدو أن لشاعر قد تعب من الشعر وأنه لم يعد لديه ما يقوله فى نظم الشعر
لأنه كثيراً ما أمضى اليوم كاملاً فى نظم بيت واحد .

ويسدو أن الشاعر قد تعب من الشعر وأنه لم يعد لديه ما يقوله فى نظم الشعر
لأنه كثيراً ما أمضى اليوم كاملاً فى نظم بيت واحد وقد كتب قصة فيلم عن
كوبا . وأفام فى كوبا تسعة شهور وفشل فى الصلح وهو الآن يسهياً لإحراج فيلم من
تأليفه وموضوعه قصة كفاح فتاة شابة .

وقد أرق من نسوان إلى أمريكا يعد عن وجود قصة حولها ستون صفحة
موضوعها نحن نحاول جهداً) وهى وصف للحياة فى أمريكا .

وحاء الرد من أمريكا يقول موافقون سندفع لك ستين ألف دولار

ومن ضمن مشروعاته كتابة قصة قصيرة عن ترجمان تعب من مهنة . تعب
من التكرار الملل لنفس الحقائق التاريخية . وتعب من الإحانات المعروفة للأسئلة
المعروفة التى يسمعه وهو معمض العيس من كل السائحين . ودفعه الملل إلى
نوع من الهرب . وحاء الهرب على شكل حب محبوس لإحدى الملكات . .
واحتلظ الخيال بالواقع . . واستراح الروحمان عندما أصيب بالحنول

وهو بحم أيضاً بأن يسجل الشعر الروسى من أيام بوشكين حتى اليوم بصوته
وأن يسجل قصائده أيضاً بصوته مع موسيقى تعبيرية . ولكن أعز مانيه
جميعاً : أن يصحو فى طائرة وينام فى طائرة أخرى .

أما أعز أمانا نحن فهو لا يصبه ما أصاب كل الشعراء الروس . حمباً
إنهم يقتلون أو ينتحرون .



حتى قُتِلَت الفحل

الله
خلق هد الرحل لحكمة وهي أن تكون حياته شعراً ، وأن يكون شعره
بلا حياة !

ففي حياته ملايين الدس وملايين الخبيثات ومنها حروب ومعامرات وقبائل
وتمر البطاطه ويأسيون وإخليرو وعرب وثرأ فدحش وفقر ساحق
وقد أتبحث له فرص بادرة في أوربا و سيب وأفريقب لكي يقول شيئاً وأن يسمعه
الناس فلا قال ولا سمعه أحد من الناس .

ومع ذلك فهو يصر أن يكون آخر الشعراء في اليمس بعد مقتل الربيري ، وأن
يكون أول شاعر في السارح قد نظم قرارات الجامعة العربية شعراً !
هذا الشاعر اليمسي ، والسنعفوري الملاوي قبل ذلك ، هو عند الله من يحيى
العلوى المولود في سنغافورة من ٦٣ عاماً .

عندما مات أبوه ترك له مائه ألف جنيه ولكنه استطاع بعد خمس سنوات أن
يجعلها مئتين جنيه أو ٧٣ بيتاً وفيلا استولى عليها اليابانيون سنة ١٩٤١ وعندما
انهزم اليابانيون استولى الإنجليز على كل ما في السوك وألغوا كل الأوراق لمائة
وشطبوا كل ما يملك . .

وفي سنغافورة كان يعمل رئيساً لكثير من الهيئات الإسلامية ويبسوا أن هذا
النشاط كان مريحاً ، وكان من عادته أن يسافر إلى بلاد اليمس كأي سائح أحسن .
فإنه من أصل يمي وروحنه من توس وولاده التسعة من أمريكا وسوريا وعدد

ومصر وعنده تسع بنات أحرىات انتزهن جميعاً من فقراء سغفورة . فأهل
سغفورة يبيعون الطفل الرضيع بعشرين دولاراً . وقد اشترى سعاداً من العتيات
تزوج جميعاً لم يبق سوى واحدة في العشرين من عمرها الآن .

وقد كان عنده شعور بأنه غريب عن اليمن . أو بأنه سعيد بعيداً عن اليمن . ولذلك
وعندما يرور اليمن يشبه أصحاب الملايين من المعتربين عندما يرورون حبالاً لأر في
لبان وكان يلقى حماوة سخية من الإمام يحيى ومن سيف الإسلام النذر . وقد بلغت
به الشجاعة في إحدى المرات أن ألقى قصيدة في حاضرة الإمام . ويقول الأسناد العلوي
أنه نسا فيها بقيام ثورة اليمن . وكانت القصيدة في ثلاثينيات هذا القرن . يقول :

ما للصعاء لا أراه كما	كنت أراه من قبل عشرين عاماً
في تراها دم وفي الحو عيم	مكهمرو في الخدور أيامي
وأرى الروضة الحميلة دلى	والفراشت حولها كاليتامي
أتراها من ثورة الأوس شكلتي	أم تراها حلى بأحرى عراماً

وهذا البيت الأخير هو الذي يعتبره نوعاً من التوبة بميلاد ثورة بعد إلقاء هذه
القصيدة بثلاثين عاماً .

وكان من عادة سيف الإسلام النذر أن يبعث له بيتين من الشعر تلغرافياً في
كل مدينة يحل فيها الشاعر العلوي . وأنا أرفق شر هذه الأبيات لسحافتها -
ذهاباً وإياباً !!

وفي حياة الشاعر اليمني العلوي مغامرات تستحق أن يسجلها شعراً أو تقرأ
ولكنه لم يفعل لأنه لم يهتز كأنه لا يزال مليونيراً !

وفي أثناء الحرب الأخيرة قام اليابانيون بترحيله هو وأولاده إلى ألدونيسيا على
ظهر إحدى السفن الحربية . فقطعت هذه السفينة الحربية مسافة قدرها ٥٠٠ كيلو
متر في شهر فلا تكاد تمضي السفينة ساعة حتى تصدر إليها الأوامر بأن تأوى إلى
إحدى الجزر . وكاد العلوي وأولاده يموتون جوعاً . وفي إحدى المرات نزل الشاعر ليأوى
لأولاده بعض البطاطة . وصدرت الأوامر إلى السفينة فمحرقت ونرقت الشاعر في
جريدة مهجورة ليلة كاملة . ولم يهتز وحدث الشاعر لأولاده ولا للبطاطة ولا للعربة ولا
للفرع الذي يحسد في حندي ياباني كاد يرقه سلاحه في الظلام ..

ونقسه اليابانيون إلى طوكيو ليديع بالعربية صد الحلفاء .

وعندما جاء إلى مصر قبل قيام ثورتنا بعام واحد افتتح أجزأحانه فى شبرا واسماها
محرن « لأهرام » وحسرفيها ستة آلاف حفيه . ربما كانت هذه الأجزأحانه هى المستولة
عن شعره المعقم العقيم . أو شعره المعسول الطيف من كل من وحمال . . ربما !

وأون الأعمال الأدبية أو الفنية التى قدمها الشاعر العلوى كتنه الذى عوانه
« تقرير سياسى منطوم - أول تقرير سياسى شعرى فى العالم العربى وصف رائع
للمغرب » وفى هذا التقرير بروى حوادث وأحدث وأنوف وصعاعات ومعاكسات
لسادة أعصاء الوفود العربية فى الاجتماع الـ ٣٢ للجامعة العربية فى الدار البيضاء
سنة ١٩٥٩ . وهو يطلق عليه اسم - أول تقرير سياسى من نوعه وهو فى الحقيقة
ليس تقرير ولا سياسياً . ولعله الأول من نوعه من ناحية لظم وإن كان الشاعر
العلوى يقصد أنه الأول من ناحية الشعر . وفارق كبير بين لظم والشعر وهذا
التقرير هو أحسن نموذج للكلام المنظوم !

قال آخر شعراء اليمن فى وصف وفد الجامعة العربية :

وسار فى موكبه « حسونة » تصحبه حاشية مصونة !

ووصف النظارات على عيون أعصاء الوفود :

عى عيون أعصاء الوفود نظارة لرؤية الحدود

ويرغم العص من النسوان بأنها لرؤية الحسن

ويقول عن الوزراء :

وعص من عرفتهم من ورر يام فى عرفته متحرا

ونسمع من مترين أو ثلاث (!؟) عططه كالصفدع النفات

أظن - نحويًا - مترين أو ثلاثة !

ويقول فى وصف أعصاء الوفود وقد لمعت صلعتهم .

وفى الوفود تسعة صلعان رعوسهم كأنها الكيزان

قد حلفوا اللهى وأنقوا الشارب فأصبحوا أشبه بالعقارب

ويقول فى وصف مدينة روما :

روما . وما روما ؟ بلاد الفن
سكاتها تستملح الفنون
وأى فن يا ترى وحسن
ونعشق الحسنة والمكرو
وفى هامش الديوان يشرح معنى وكيفية صناعة المكرونة ويقول إنها مستثرة فى العالم !

ودهب الشاعر ممثلاً اليمنى فى مؤتمر باندونج . .

ودهب يمشى المرسى فى مؤتمر القارات الثلاث فى مدينة هافانا بكوبا
وكان يلقي من الحفاوة والتقدير ما بلغه كل رؤساء الوفود . بل كان حصه من
الحفاوة فى هافانا وفى موسكو أعظم من يلقاه أى إنسان فقد كان هو رئيس الوفد
اليمنى وكان هو العضو الوحيد أيضاً .

وفى إحدى الليالى «عقدت اللجنة السياسية حتى الصباح وكان لابد أن
تحدث كل الوفود لكى نتخذ اللجنة قرارها الهائنة وفى تلك الليلة تسوب
يوسف الساعى وحالد محيى الدين رئاسة اللجنة السياسية
وأعطيت الكلمة للوفد اليمنى .

أما نحن العرب فقد سمعنا لشاعر العلوى يتكلم . ولكن بقيه الوفود أخذت
تتطع إلى الدكتور مكى المرحوم المصرى الذى ينقل كلام العلوى إلى أنه لغة أوربية .
ثم يولى بقية المترجمين نقل هذه الترجمة إلى الإسبانية والفرنسية والإنجليزية
وبضرت إليها الوفود من الاتحاد السوفيتى حتى الصين ونحن عارفون فى
الصحك ، وهم جميعاً عارفون فى الخيره !

وكان التعب قد أهلك الحاضرين جميعاً وكان لديهم استعداد دائم لأن
يصحكوا لا مانع من الضحك . ويريدون أن يعرفوا السكتة التى بصحك لها .

أما آخر شعراء اليمن ومندوبها لدى منظمة التضامن لأفريقى الآسيوى فقد
إقترب من ميكروفون ليقول بالحرف الواحد كنا ننتظر من كوبا أن تسقيا كوباً
واحداً ولكن أبى كرمها إلا أن تسقينا أكواباً وأكواباً !

ولم يعرف المترحم المصري أن يقل التلاعب بالألفاظ في هذه الخمسة العنيفة
وغلبنا والضحك . وعلبه هو الضحك أيضاً !

(ومدسة الكرم هذا أذكر أن الشاعر القاصي الشماحي عندما كان مندوب اليمن في
مؤتمر لأدباء الدي انعقد في الكويت ألقى قصيدة طويلة جداً . . جاءت في مقدمتها هذه
العبارة من المحيط الأطلسي إلى المحيط الفارسي . فتعالت الأصوات بقول له الخليج
لخليج . وليس المحيط فرد القاصي الشماحي بسرعة . لقد صيره كرمكم محيطاً) .
وأطال الشاعر العلوي في كلمته . .

وكان من الطسعي أن يسهه يوسف الساعى رئيس اللجنة إلى أن الوقت المخصص
له قد وُثِّق على الإنهاء فأضاء له المصباح الأحمر . وكان أحر شعراء اليمن يتوقع
هذا التسيه ويتوقع أن يصيء له يوسف الساعى المصباح الأحمر . فأخرج مندوب
اليمن قصيدة كان قد أعده لهذه المدسة وقال مشيراً إلى المصباح الأحمر

بهذا الدم لقاتى الأحمر وما أحمل الدم للشائير

تهد انفلاخ ونحما الشعو ب ويقصى على الصلم والحائر

فسحقاً وتباً لكل البغاة وويل لكل يد غادر

ودهب شاعر اليمن إلى مكانه من القاعة سعيد بأنه أثار دهشة الحاضرين
وأيقظهم من النوم وأيقظ صيقهم بالوقت لصائع

ولم يحدث في تريح الشعر ليمى . ولا الشعر العربى كنه ولا العالمى ، أن
أبيحت له مثل هذه الفرصة الشعبية الدولية المادرة لأى شاعر أعطي له الكمه
وارتفعت لها مئات السماعات لكي تنقل كلامه بأربع عات فقال . ولم يسمع
أحداً فكأنه لم يقل شيئاً !

والشاعر العلوي بتوعد أدباء العروبة والمتدوقين للشعر بأنه سوف يصدر خمسة
دووين أخرى عن مؤتمر عدم الانحدر ومهرجان الشعر ومؤتمر باندونج ومؤتمر كوناكرى
ولؤتمر لإسلامى فى عمان أما ديوان الشعر المكشوف فليس فى بيته أن يبشره
وأنا أشهد أن كلامه لمكشوف فيه شاعرية . . فكأن الشاعر العلوي قد شاء أن يكون
شاعراً سرياً وناظماً علنياً !

أما هذا التقرير السياسى فقد طبع منه ألف نسخة . وهو غير معروض للبيع . وإنما يهديه إلى أصدقائه . وقد حمى منه إلى هافانا وموسكو عدداً لا بأس به ولا أعتقد أن أحداً قد احتفظ بهذا التقرير . فقد تركناه هناك بعيداً . . فى هذه البلاد البعيدة وفى الجوانب البعيدة من النسيان .

وقد جعل الشاعر العلوى ، إهداء هذا التقرير السياسى الوحيد من نوعه إلى من لا بأس بهذا التقرير السياسى الشعبى ، ويطمئن إليه ، وينلح به ويعص بالنواجد عليه .

أى أن الإهداء إلى كل الناس !

أما الشاعر نفسه فهو رجل متوسط القامة أحمر الوجه . كأنه من أبناء حبوب أوروبا . ولا يكاد نأس إليه حتى يتمسك بك أى بعض عليك بالواجد - ثم يظل يلقي على مسامعتك شعراً قديماً وشعراً حديثاً كهذا الذى جاء فى تقريره وفى برقياتة ' وهو ككل اليميين المتعفين حفيف الدم حاصر اليديه والسكتة ' وبها لقسمه عادلة . لقد أعطاه الله المال فصعته ، وأعصاه الشعر فليته يضعه ا



أسوار وراء الأسوار

مسرحية بلا حوادث

هذه

إنها مسرحية «شخص عريب» للأديب الأيرلندي براندين بيهان .
إنها في داخل سجن والناس الذين يقومون بدور البطولة في عانة السرود
والجمود ولا جديد في حياتهم . لا يتوقعون أي جديد لقد سلموا مع ملابسهم
كل أمل في النجاة . تماماً كالذين دخلوا حليم الشاعر الإيطالي داسي
على باب «جحيم» الشاعر داسي توحد هذه لعبارة : «أيها الداخلون اتركوا
وراءكم كل أمل في النجاة !

وفي داخل السجن يوجد سجن آخر :

إنه الملل فهم جميعاً يعرفون كل شيء . الأصوات معروفة . لوحوه معروفة .
لأحراس . المشران . الجوع السرودة . الحلا دون الحرس كل هذه قصص من
حديد بارد كلها تعوق الإنسان أن يتحرك وتعوق الفكر أن يذهب بعيداً . . . وكل
واحد منهم قد ستنفذ أفكاره . واستهدت أحلامه واستسلم

وهناك سجن آخر . .

وهذا السجن هو المسجون أنفسهم فكأن سجين يرى صورته في غيره يرى جموده .
يرى يأسره وقد أصبح مزقاً مهلهلاً يرى مصيره في الرجل الذي أمضى أربعين سنة وفي
الرجل الذي خرج من السجن ليعود إليه . فهم جميعاً مرايا حذران نادرة من المرايا

وهناك سجن ثالث . .

فأقصى من السجن أن يكون الإنسان - في النهاية - متمرده محبوساً في نفسه .
أن يكون معتقلاً في جلده ولحمه أن يكون مسحوقاً بين الدم واليأس ، أن ينظر
إلى جسمه كجثة . وأن هذه الجثة ترى نفسها بعينها !

أن أوسكار وايلد عندما دخل السجن كان يترحم على حليم الشاعر دانتي
حيث يلتقى المذنبون وحها لوحه ويتناقشون في عذابهم أما في السجن الإنجليزى
- كما يقول أوسكار وايلد - فالناس لا يتكلمون . إهم يسجون ألسنتهم في
أفواههم .

ويقول أوسكار وايلد أيضاً لم أكن أنصوّر أن لإنسان شرير إلى هذه الدرجة .
لم أكن أنصوّر أن الإنسان من لمكر أن يكون لا يسايب إلى هذه الدرجة

وعندما إلتقى الأديب فرانك هاريس بأوسكار وايلد في السجن سأله كيف
وجدت السجن ؟ . . فقل أوسكار وايلد : أى سجن هنا أكثر من سجن .

وفي هذه المسرحية لا صرح لا بكاء لا شكوى . لا شيء يثير أحداً
ولكن الشيء الوحيد الذي سطره لمساحين شيء من اللهفة . أو على
الأصح من العطش هو أن بعد حكم الإعدام في أحد من الناس . هنا يشعر
المساحين شيء من الارنياج والارنياج سببه إهم سوف يرون شيئاً جديداً
سوف يسمعون شيئاً جديداً سوف تنظفون إلى وحوه جديدة وسوف تعاودهم
مظاهر الحياة التفكير في العذ والحقد على المحكوم عليه !

فهذا المحكوم عليه سوف يدحس أربعين سيحارة معروف حد هذا الرقم عدد كل
المساجين . أربعون سيحارة . وكل سيحارة يكون لها «عقب» سيحارة . وكلهم
يفكرون في هذا السعيد الذي سوف يحصل على واحد من هذه الأعقاب . وهذا
المحكوم عليه سوف يكون له أحسن الطعام .

وهناك موكب معروف من الطعام الفاخر يقدمه السجن للمحكوم عليه . اللحوم
والفاكهة والسحائر واللحوم والفاكهة النادرة . والخصروات . والمساجين يتفرجون
على هذا المشهد ويتحسرون ويفكرون في كل ما سوف يحدث بعد ذلك

وفى هذه الأثناء بحرى حفر قمر للمحكوم عليه . . وأعماق القمر تتناسب مع طول المحكوم عليه وحبل لمشقة طوله يتناسب مع وزن المحكوم عليه . .

والمساجين يرون فى هذه الحادث قسلة سسف ما عندهم من ملل وقرف ولذلك يتعرضون لهذه القبلة . . بل إهم يصعبونها . . ويصنعون غلافها وقتيلها ويصنعون شظاياها بأيديهم . .

وعندما وقعت عذرة حوية على المدينة وأظفئت أنوارها ، وسقطت عليها قسلة رأوا المدينة لأول مرة . رأوها فى صوء قبلة . رأوها فى أحضان الدمار .

أما المحكوم عليه بالإعدام فى هذه المسرحية فهو شاب صغير وهم فى السجن يقيمون محاكمة لهذا الشاب المحكوم عليه . . إهم المساحين أنفسهم الذين يتحيلون كل ما سوف يحدث له . ماذا يقال له . . كيف يتقبل هو كل ما يقال . . ماذا سيفعل مأمور السجن ولقسيس . كيف يتعلق المحكوم عليه من الحبل . . كيف يتدلى . كيف يموت . إهم يعيشون تجربة موت مع أن الموت ليس تجربة ، لأن الإنسان عندما يموت ، يموت مرة واحدة ، ولتحرية هى الحالة التى يمكن تكرارها لشخص واحد . .

ومن خلال هذه المحاكمات العسفة . ومن خلال تجربة الموت هذه يهاجم المؤلف براندن بيهان إحترا والسجون الإنجليرية ويهاجم حكم الإعدام وتنفيذه . ويهاجم البورجوارية المنحلة التى تتحكم فى السجون .

وقد كان ظهور هذه المسرحية مثل قسلة مروعة الانعجار فى «عارة سحط» على المجمع الإنجليرى والفكر الإنجليرى والمسرح الإنجليرى . . وعلى العدوان الإنجليرى على السويس سنة ١٩٥٦ .

وسنة ١٩٥٦ هذه سنة فاصلة فى المسرح الإنجليرى ، وفى هذه السنة تارت الحرج ، ووقع العدوان بحون عن السويس . وفى هذه السنة احتشدت لمواهب الإنجليرية تصب سخطها فى قوالب مسرحية وسينمائية .

وفى هذه السنة ظهرت مسرحية «أنظر وراءك فى سحط» لرعيم الأداء الساخطين جون أوسبورن (٣٦ سنة) .

وظهرت مسرحية «شخص غريب» هذه ببراندن بيهان .

وفى هذه السنة جاءت فرقة برحت إلى لندن . .

وظهرت أفلام جديدة الإحياه مأخوذة من مسرحيات ساخطة . فظهر فيلم «طعم العسل» للأديبة شيلاديلانى وفيلم «توم حونس» الذى اقتسه جون اسورن عن هنرى فيلدج .

ويوم افتتاح المسرح القديم «روبال كورت» فى عهد إدارته الجديدة فى أبريل سنة ١٩٥٦ ، لم تجد الإدارة الجديدة نصاً مسرحياً واحداً يستحق أن تعرضه على الجمهور . ويسر أمامها سوى مسرح شكسبير وتشيحوف وشو .

وعندما انتهى جون أورشور من مسرحية «أنظر وراءك فى سطح» عرضها على كل المسارح . ورفضتها كل المسارح . وكان أورشور فى ذلك الوقت مثلاً متعطلاً فى الثلاثين من عمره . يسكن فى عوامة عتمة فى نهر التايمز . وكانت أمه تعمل حرسونة فى أحد البارات . وكانت تبحث له بصف حبه كل أسبوع وتضع هذا المبلغ الرهيد فى مظروف ملفوف بعناية فائقة .

وفى هذا الوقت كان الكاتب «هارولد ستر» يعمل مثلاً متواصلاً .

وكانت شيلاديلانى فى السابعة عشرة من عمرها ، وتعمل فى شاك تداكر إحدى دور السينما .

أما أرنولد وسكر فكان يعمل نواباً لمطبخ فى أحد الفنادق .

أما المؤلف المسرحى الأيرلندى برندن بيهان فكان صعلوكاً فى لندن وكان محموراً طول الوقت . وكان يصدم مشاعر الناس بالسكت لمديئة وكان يرتزق من القصص العريية التى يحيلها على دور الصحف والمجلات الحسية .

وكان من المؤلف أن يراه الناس يعترض من كل إنسان يلقاه ، ويعد بشرفه أن يعيد هذا المنع ، وكان يجيء فى الموعد استحق عليه ويعتذر لعجزه عن السداد ولكن فى نفس الوقت يعلن استعداداه لأن يقوم بأى عمل مقابل هذا الدين اتداء من مسح البلاط حتى تسلية أية سيذة عجوز حتى تمام !

ولكن بيهان كان فى ذلك الوقت ثورة حنة على المجتمع الإجليزية والسياسة الإجليزية التى عانى بسببها ثمانى سنوات فى مختلف السجون الإنجليزية .

وهو عندما هاجم السجون ، لم يكن فقط يعانى من الشعور بالموت أو تحرره الموت كما وصف ذلك الفيلسوف الوجودى سارتر فى قصته الرائعة «الحائط» وفى هذه القصة يعرض علينا سارتر معنى الموت . والفرق بين الحى وبين الميت والحى هو القادر على أن يتحكم فى أعضائه وفى وظائف أعضائه وهو الذى يستطيع أن يتكلم عن العد بمنس الدرجة من الثقة فى استحالة يده لتحريكها . . أما المحكوم عليه فهو الذى يحس بأنه بلا سلطان على جسمه وأن جسمه يتصرف كما يحلوه وأنه لا يستطيع أن يتكلم عن العد . . وأن العرق يساب من جسمه دون أن يتحكم فيه . . وكأن الموت بدأ يذيقه أولاً بأول . .

ولم يفعل بيهاد ما فعله الأديب السويسرى فريد ريش ديرمات فى مسرحية «ريارة السيدة العجور» عندما جعل أهل القرية يحضرون قمر البقال . وكان البقال يراهم وهم يحفرون قبره فقد تحول أهل القرية جميعاً إلى «حانوطية» والبقال هو الميت الوحيد . لقد أماتوه قبل أن يموت ودفنوه وهو حى .

ولكن أهل القرية قد فعلوا ذلك لأن سيدة قد اشترتهم بملوسها . فقد تحولوا جميعاً فى نظر هذا البقال وفى نظر سيده أيضاً إلى أناس بلا ضمائر ولا أخلاقيات . لقد دفن ضمائرهم فى نفس القبر الذى سيدفنون فيه البقال . . وفى آخر المسرحية عفت السيدة عن البقال وتركته يعيش بين أناس حكموا عليه بالموت بين أناس قدروا أنه ستنحق الموت أما لماذا قدروا موته ، ولأسباب مادية . ولأسباب لا أخلاقية !

وعاش هذا البقال وحده بين أناس يحتقرهم . وعاش فى جزيرة من الاحتقار . أو عاش فى شر ملء بالدود والدود لا يقوى على بهشه . لأنه أصبح مسموماً . أم السم لموجود فى دم هذا البقال فهو أنه الوحيد الذى أدرك بوصوح أنهم معطون . . . وأنهم بلا أخلاق !

أن بيهاد قد استخدم القبر وحفر القبر لأخلاقه أخرى . ولم يشأ أن يجعل المحكوم عليه أو هذا الشخص الغريب يظهر ولو لحظة واحدة .

وسيهان لم يكن يقصد إعدام شخص واحد وإنما إعدام كل تفاليد السجون ،
وكل الأسباب الكادئة التي بتدعتها إحتلوا السجون الوطنيين من أبناء أيرلندا .

فى هذا «الطغس» الأذى فى إحتلوا ، ظهرت هذه المسرحية ، وكان الناس قد
إستعدوا لها ولغيرها . .

ولأول مرة منذ أيام جورج برنارد شو ، بصح المسرح قذعة خطيرة . . تمام كما كان
المسرح الفرنسي أيام احتلال الألمان لباريس عندما ظهرت مسرحية «الدب»
لساررتهاجم الطغيان النازى تحت الأراء الإغريقية ، فى رموز الأساطير القديمة
والمسرح لا يصبح خطراً على الدولة ، إلا إذا كان يهاجم الأوصاف القائمة التى لا
تعجب أغلبية الشعب ولذلك جاءت مسرحيات «الأدباء الساحطين» أقوى سلاح
صد الأوصاف السالبة فى إحتلوا ، ولكن يعتمد على الإيمان والإشارة . وهذه الإيماءات
هى التى ترشد الناس إلى تغيير الأوضاع .

وقد كان يوم ٨ مايو سنة ١٩٥٦ هو ندوة الثورة على الفكر الإحتلرى وفى هذا
اليوم احتفلت بريطانيا بذكرى انتصارها فى أوروبا على القوات النازية وفى هذا الوقت
ظهرت مسرحية «أنظر وراءك فى سطح» لتؤكد للناس أنه لا ذكرى ولا إنتصار ولا
شئ يستحق الاحتفال به وإن بريطانيا ما تزال أسوأ من أى وقت مضى

كل ذلك فى أسلوب من الكلام العادى . فقد جاءت هذه المسرحيات
بالأسلوب الذى يتكلم به الناس وليس ذلك الأسلوب الإحتلرى التقليدى .

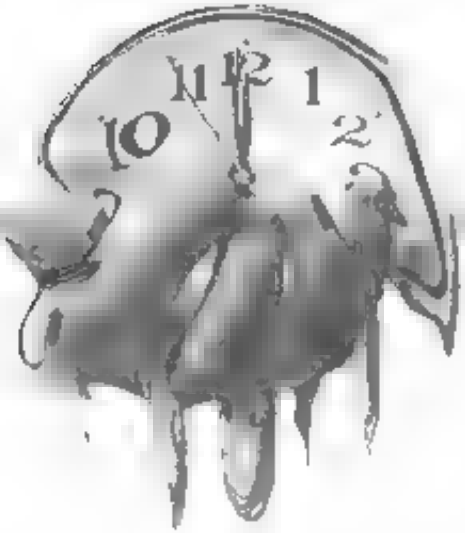
وبوم ظهرت مسرحية «أنظر وراءك فى سطح» ومسرحية «شخص غريب» شعر
النقاد بأن رباحاً كريهة قد هت على المسرح ولكن فى نفس الوقت أعلنوا أيضاً أن
هذه التهجئة والبيرة والسطح الحديد هو بالصبط ما يريده الشعب دون الثلاثين ومن
هذا مسرح الساحط البقطة الصحف والمجلات شخصياتها الكاريكاتورية والبقطة
شعاراتها المتمردة على السياسة الاستعمارية والفوالب الفكرية السالبة فى بريطانيا .

وفى هذه الأثناء أنصأ طهر فيلسوف شاب للساحطين هو كولن ويلسون فقد
أصدر كتابه «اللامسمى» وكتابه «مقروط الحصار» وقصة «طقوس فى الظلام»
و«صانع فى حى سوهو» وغيرها . وكلها تؤكد معناً واحداً أن الشاب المعاصر
يشعر العربة فى هذا المجتمع القدم وأنه لابد أن يثور عليه .

وقد تولى براندن بيهان الذى توفى عن ٤١ عاماً سنة ١٩٦٤ الشهرة بنفسه ومعدته فى المطاعم وفى الحادى وفى الشوارع . وكثيراً ما وقف على أحد المقاعد يقرأ أغنيات الشخص العريب ساحراً من المسرح القديم والفكر القديم .

٥٥

وبعد ذلك ظهرت أسماء أخرى غير براندن بيهان وغير أوسورن على المسرح الإيحلىرى مثل ان جيليكو وكحسلى أميس وإدوارد بوند الذى ظهرت له مسرحية «ثقده» . والى يموت فيها أحد الأطفال تحب ضربات رجل أفاق يظهر على المسرح . لقد هاجمها البوليس والرقابة . . ولكنها استمرت تهر القيم الفاسدة فى المجتمع . . ولا شك أن براندن بيهان موهبة أعرفتها الخمر . ولم تفلح السجون فى أن تصيب حرارتها بالبرودة . ولم تفلح السلاسل ولا الحدران الصلبة أن تخنقها . لقد كانت موهبه أعظم من جسمه الضخم . وكانت روحه المطبقة أقوى من لأسوار . وإذا كان البريطانيون قد أودعوه ثمانى سنوات فى السجن . فإن مسرحيته هذه قد أودعت البريطانيين فى سجن الاحتجاز إلى الأبد !



كانت ليلة

الأدب

نوع من الاعترافات ...

هذه الحملة تنطلق على تيسى وليامز بصفة خاصة ، فهو قد تحدث كثيراً عن حياته ، الخاصة وعن طفولته ، وعن المرحلة الحساسة جداً في حياته ، وكيف كانت أسرته الصغيرة ، وكيف تعذب وهو طفل . وكيف أن أباه كان يعيره بأنه بنت ، وكيف كان يهرب من قسوة الأب تاحر الأحذية - ويأوى إلى أخته ، وكيف ارتبط بأخته الشديدة الحساسية بزيارة مستشفى الأمراض العصبية ، وكيف كانت أمه غموحاً ليهود أمام هذا الأب القاسي ، وكيف كان له عالم خاص من القصص والحكايات والتمائيل ، وكان يعيش في هذا العالم معزلاً تماماً عن البيت والشارع والمدرسة . وكيف أن عالمه الخاص أقوى وأجمل من العالم الواقعي ، وكيف أن الفن أحمل من الحياة ، فهي الفن نظام وارتباط وتربط ، وهي الحياة الواقعية فوضى وقد اختار تيسى وليامز عالم الفن الجميل وعاش فيه أكثر من الواقع .

وغير ذلك رواه لنا تيسى وليامز .

ولذلك فحين عندما نقرأ مسرحياته نجد أنه قد صور نفسه وأمه وأباه وأخته في كل هذه المسرحيات أو في معظم هذه المسرحيات .

فالفن - إذن نوع من الاعترافات .

ولكن إلى أي حد تنطق هذه المسرحيات على حياته ؟

أو إلى أي حد تنطق حياته على هذه المسرحيات ؟

إن كلمة «تنطبق» هي التي تجعل السؤال صعباً ، والإجابة غير دقيقة . فهي لا تنطبق على حياته وإنما فيها شيء من حياته . أو حياته شيء من هذه المسرحيات .

ومعنى ذلك أن هذه المسرحيات تصور واقع حياته إلى حد كبير . ولنك لا يحتسف تيسى وليامر عن كثير من الصاين . لأننا لابد أن نجد حياة الصان فى عمله . فالصان هو أعماله الفنية .

ولكن ها مشكله تتعلق بالنقد أو بالتفسير الأدبى أو الفننى حياة الصان ! هل نفسير أعماله لأدبىة أن يلقى ضوءاً من حياته على هذه الأعمال ؟ هل نفسير حياته أن يلقى ضوءاً من هذه الأعمال الأدبىة على حياته ؟ أو بعبارة أخرى : هل حياة الصان تفسر أدبه ، أو أن الأدب يفسر حياته ؟ هناك إجابات كثيرة عن هذه الأسئلة .

فالدين يروب أن الأعمال الفنية قائمة بداتها ، وأما بحث أن نفسيرها بنفسها ، يستعدون الصان وحياته وعلاقته بهذه الأعمال الفنية . وهذا هو النقد الموضوعى . أو النقد العلمى فالعمل الأدبى كئى حتى موجود بدته وله وجود مستقل ومضى خاص ويجب أن يفهم على علاقته ولا شأن لنا بالصان نفسه هذا رأى .

وهناك رأى آخر وهو أن الصان هو منه . أو الصان هو كل أعماله الفنية . ونذكر فحر سبعين بالفن فى فهم أعماله الفنية . كما يستعين بالرسام على فهم لوحاته . ولست الأعمال الفنية إلا الدب كلها وقد تسلفت إلى نفس الصان ومزج بدمه ، ثم أعادها لنا فى هذ الإطار الخميل . فلاند إن من أن يضع أيديا على كتف الصان لكى يهدى إلى أعماقه ، ولئى فك الألعار لموجوده فى أعماله الفنية . فهو مفتاح لأعماله الفنية .

ولابد من إنارة هذه المناقشة عند الكلام عن تيسى وليامر ، لأنه هو الذى استدرج النقاد والمؤرخين إلى المظر فى حياته . وفى أعماله الفنية ، ولئى المعاربه أيضاً .

وأعماله الفنية كلها تدور حول موضوع واحد : الجنس !

فقد احتار تيسى وليامر عالم الجنس الواسع المظلم المعقد أى أنه احتار لونا واحداً صارحاً .

وليس شخصيات مسرحياته إلا درجات متفاوتة من نفس اللون الواحد .

وكن شخصيات تيسى وليامز غير متوافقة في حياتها . بل ، إنها أقرب إلى
الفشل ، والفشل دفعها إلى العرلة ، والعزلة دفعتها إلى التعقيد . لكنها جميعاً
مصرة على أن تواجه الفشل أو الحياة وأن تعيش .

ويبدو أن هذا هو رأى تيسى وليامز نفسه ، فالحياة ليست كما تبدو لنا إنها
شيء آخر . ولكن يجب أن نواجهها . فليس لنا إلا هذه الحياة

وليس عالم الجنس صيقاً . بل إنه واسع عميق عامر . وإذا كانت
النماذج التي عرضها تيسى وليامز في كل مسرحياته لا تتجاوز ستة أنواع ، فإن
المركيز دي صاد كان أول من عرض مثاب النماذج الشادة . ففي كتابه « ١٢٠ يوماً في
مدينة سودوم » ، عرض المركيز دي صاد أكثر من ٢٠٠ حالة جنسية شادة ، فكان
بذلك أسبق من فرويد وتلامذته . والمركيز دي صاد أبصاً قد أشار بشكل علمي إلى
أن كل الانحرافات الجنسية تبدأ في الطفولة ، فإذا بدأت تعقد الطفل ، فانعزل ،
واتخذ موقفاً عدائياً من المجتمع ، إلا إذا أنقذه المرء من هذا الانحراف .

وكان المركيز دي صاد كان يقصد تيسى وليامز بالذات

ووصح من مسرحيات تيسى وليامز هذا الشعور الدائم بالفشل .

ووضح أيضاً الشعور بالعزلة ، وأن المسافات بين الناس ليست متفارقة كما
نصور . فما أقرب أحسام الناس ، ولكن ما أبعد المسافة بين قلوبهم ، أو عقولهم .
بل ما أكثر اللغات التي يتحدث بها الناس . ولذلك فهم يعانون من صعوبة الفهم
والفهم والإفهام . فالناس في قلاع من الغموض . وعندما يلتقي الناس . تبدأ
المشكلات كيف يتقاربون ؟ . كيف يتعايشون ؟ كيف يشعرون بالسعادة ؟

وهذه المعاني تتردد كلها في مسرحيات تيسى وليامز . .

وهذا الشعور بالعزلة وبصعوبة التفاهم بين الناس هو الذي يجعله يقترب من
فلسفة العيب ، أي فلسفة مسرح اللامعقول .

فمثلاً مسرحيته « الحيوانات الرحاحية » وهي تصور حياته هو وأسرته وأوهامه هو
وأخته . نجد أن الأم في المسرحية تعيش في أوهم قرية ، حتى أصبح ماضيها هو
حاضرهم ومستقبلهم . والاسة تعيش في أوهم أيضاً . وللعلم الرحاحية في
المسرحية هي هذا المصطفى الشفاف القاس لنكسر . فهم جميعاً معزولون عن الحاضر

وهم جميعاً معتقلون فى الماضى . وهم سعداء بهذه العزلة . وسعادتهم تؤكد فشلهم فى مواجهة الحاضر . . .

ولكنهم مع ذلك يعيشون . .

وفى مسرحيته «عربة اسمها الددة» يرى الفتاة بلاش دى بوا التى تريد أن تتوافق مع الحياة . نراه ونرثى لحايها ، ومن الصعب أن نحفف دموعنا ونحن نراها تخرج من الحمام تعنى لتتلقى صدمة جديدة . . إنها فتاة رستفراطية رقيقة حساسة . صدمت فى حياتها . فسقطت وسقطت وأدمت الشراب لتنسى . ونريد أن تعاود الحياة العادية من جديد .

نريد أن نحدد تعاقدنا مع الحياة والبأس ، فقد سقط مرة . . والإنسان لا يسى ولا يموت من سقطه واحدة . ولكن روح أحتها يفصحها ويؤكد فضيحتها فتتهار الفتاة وتصاب الجتون . .

هذه المأساة ليست مأساة فردية ، وإنما هى مأساة المجتمع كله . نحن جميعاً قد أخطأنا فى حقها . نحن جميعاً لم نعطها فرصة أخرى لكى تعيش . ودا كانت هى قد أخطأت . فقد أجرم المجتمع .

وفى مسرحيته «صيف ودحان» نجد أن انة «القسيس التى أحت ابن الطبيب ، إنما يريد أن يكون لها حياة عادية . . حب عادى ما مانع ؟ وفى هذه المسرحية نجد أن ابن الطبيب يحشى قسمها الأخلاقية ، بنفس الدرجة التى نخشى هى جسمه ، ويلتقى الاثنان ويتباعدان ، ولكن سرعان ما تلقى الفتاة نفسها عند قدمى أى أحد ! إنها تريد . وهو أيضاً يريد . ولكن هذه الإرادة تمر بالديا المعقدة دنيا النفس . وديا الجنس ، فتكون النتيجة عبارات ومواقف غير مفهومة . فيتأكد الساعد بينهما . والعزلة والفشل هى النهاية !

ومسرحيته «كاميوريال» إنها تحربة فريدة يوجه فيها الإنسان كل ما ليس إنساناً فيه . إنها صورة جديدة للسحر الذى ابتدعه الإنسان لنفسه فهو محاصر بالأسور والصحارى . وهو فى نفس الوقت سجين فشله التاريخى . وكل محاولات «دون كخوتة» و «سانحو ناسا» محاولات لا نهاية لها .

فى هذه المسرحية يحس الإنسان إنه ليس بـ «فأراً» أو «كلباً» أو «قرداً» فى
معامل من معامل الله !

ومسرحيته «قطة فوق سطح من صفيح ساخن» ..

تروى لنا قصة الروححة ماحى التى تحب زوجها والزوج الشاد جسسياً والذى
يسكى على صديق له مات ويظل يشرب ليلاً ونهاراً ، لكى يعمرل عن واقعة
ويعيش فى ماضيه . والروححة الشديدة الحساسية تتعذب وتتقلب عى نار الحرمان
والعار كقطة فوق صفيح ساخن . وهذا الروحح يعسم أن والده العسى مريض وأنه
لابد أن يموت . وفى هذه الحالة يصبح الورثة هم أحاء وأولاده الأربعة . وبذلك تعلن
الروححة انحرومة أنها حامل . وهذه لأكذوبة نقد الموقف الشرعى ولكن الموقف
النفسى اجنسى ما يزال فى قمة العشل والحياة

وفى مسرحيته «رمن التوافق» يحد زوحاً فى ليلة رأس السنة ومن أول ليلة لشهر
العسل مع روحته فى عربة لنقل الموتى ، ويرتعش من شدة البرد ، ومن شدة الخجل
والعشل فى مواجهة هذا الموقف . فيلقى زوجته عند أحد أصدقائه الذى هممه روحته
وفى نهاية المسرحية تم التلاقى والتوافق - أو التنفق - بين العواطف والمواقف ..
ويتقارب الأرواح قليلاً قليلاً ، وتتردد الهمسات والضحكات ، ويرى الستار لهمهم
أن الحياة قد عادت إلى الجميع تحوص بحر من العشل والعار .

وفى مسرحية «ليلة السحلية» يحد القسيس قد تحول إلى مرشد سياحى . وهذا
التحول فى ذاته نوع من العشل فى التوافق ، وسنقل القسيس مع عدد من السيدات
والفتيات إلى أحد الفنادق فيحد صديقة قديمة شديدة الهم الحسى وقد ربطت فى
بيتها عدد من الشن تروى من حيوتههم . وهى لا تريد أن تستمر فى هذه حياة
يريد أن تستقر . وأن يكون لها رجل . أن يكون لها ومعها ومن أحلها هذا القسيس
السابق . وتظهر عانس إقليمية ومعها حدها الشاعر المحن . ويظهر فتاة صعبة مشيرة
وكلهم نعاء .. وكلهم يريدون أن يخرجوا من هذه التعاسة . ولكن أحداً لا
يستطيع ، ويفترقون ويعود كل إنسان إلى حياته من جديد .

وهذا العالم الذى نعيش فيه مع تيسى وبيامر فى عايه انقسوة والشدود ، وألوانه
صريحة . كأن تيسى وبيامر لا يثنى فى استفرح أو فى القارى . ولذلك يصع له كل

شيء باللون الفاقع ، ثم يعود فيشرحه ويشرحه بل إن معظم مسرحيات تينيسى وليامز كانت قصصاً قصيرة قبل ذلك فهو لا يكتفى توضيح ما يريد للقراء ، وإنما يوضح لنفسه أيضاً . فله شيء ما ، يريد أن يقوله مرة على شكل قصيدة ، ومرة على شكل قصة ، ومرة ومرة على شكل مسرحية . . . فهو ينشد الوصوح والإيصاح بكل ما يستطيع من أساليب للإضاءة على المسرح ، والتأويل في القصة

ولا شك أن تينيسى وليامز «حالة نفسية» تحتاج إلى أن يتوقف عندها الإنسان ويتساءل : ولماذا الحس ؟ ولماذا الشذوذ ؟ ولماذا القسوة ؟

إننا نرى الإنسان في عالم تينيسى وليامز كأنه قد ارتفع فوق إحدى ناطحات السحاب ثم انتحر بطريقة الهاراكيري اليابانية . أي صرب نفسه بالخجر - لماذا ؟ وهذا يدفعنا إلى أعماق تينيسى وليامز ، وفي نفس الوقت إلى أعماق المجتمع الأمريكي ، فهذه هي مشكلة المواطن الأمريكي

فأمريكا كما يقول يوجين أو ويل - كان من المروص أن تكون أضحى بلد في العالم ولكن كيف يحج بلد أعطاه الله كل شيء . يكفي أن يكون عندك كل شيء لتعقد كل شيء . . فالناس في أمريكا عندهم كل شيء ولذلك لا يبحثون عن شيء آخر فمتعة البحث والتعمق والظفر إلى داحلهم قد حرمها الأمريكان .

فكل شيء عندهم في الخارج ، وليس عندهم في الداخل شيء . أن كثرة الحركة والتنقل والمعامرة قد فتحت عيونهم على ما حولهم ، ولكن أعماقهم ظلت مظلمة

ولذلك تينيسى وليامز قد حول الأنظار إلى أعماق المواطن الأمريكي إلى هذه القوة الكامنة العنيفة التي تحركه دون أن يدري . فالعمل ، والتنافس على العمل . وعلى المال ، قد جعل الناس يسبون أن لهم جسداً ، وأن يسهم ذكوراً وإناثاً . . لقد سبى الناس ، ولكن أعمالهم ومشكلاتهم وجراتهم تؤكد هذه القوة التي تحركهم من الداخل

وإذا كان الإنسان صعباً أمام المال ، فإنه أضعف أمام الحس

وإذا كان الإنسان شمشوناً «حساراً» حين شمشون لجار هذا قد أسلم رقبته لدليلة . . وما من شمشون إلا وله دليلة

وكل رحل شمشون وكل رحل يصبح صعباً أمام دليله . وتاريخ الإنسانية - في عالم تينيسى وليامز - ليس إلا محاولات مستمرة من شمشون أن يرفع رأسه في كرامة . ولكن لا كرامة مع المرأة .

ويست المرأة هي أحسن ولا أحمل ما خلق الله . ولكن - مع الأسف - ليس لدى الإنسان غيرها .

ولا يزال الإنسان حائراً في عالم المرأة بين الحب ، الذي هو ملعب ، والروح الذي هو مقلب ، والطلاق الذي هو مطلب ، والحنون الذي هو مهرب¹ فلرحل محكوم عليه بامرأة أن يتعذب بها وأن يتعذب من غيرها .

وهذا واضح جداً في كل مسرحيات تيسى وليامز وهو في نفس الوقت بصور جاسا من التعذب الذي يكتوى به المواطن الأمريكي ، والإنسان في العصر الحديث وإذا كان مصممون مسرحيات تيسى وليامز معروفاً عندما ، فإن الشكل المسرحي الذي اختاره وليامز هو شكل تقليدي . وإن كما محده في داخل القبول وعلى المسرح بلجاً إلى كثير من الخيل المسرحية الحديثة . فهو ينالعب كثيراً بالضوء وتركيز الضوء على واحد من شخصياته .

وإن كان في مسرحياته الأخيرة « اقترب جداً » من مسرح العبث - أي مسرح اللامعقول .

وهو يلجأ إلى الشعرية في العبارة ، وفي الحوار ، وفي الرموز أيضاً . فهو يستعمل بالسحب والمعوصف والرعد والبرق والمرض - تماماً مثل مسرح القرن التاسع عشر .

وهو يلجأ إلى الإيحاء والإشارة الصريحة في مسرحياته ، فمحده يستخدم المصباح المضاءة ويغطيها بالورق في « عربة اسمها اللذة »

ويستخدم اللعب الزجاجية في مسرحية « الحيوانات الزجاجية » والماعز في مسرحية « وشم الورد » .

والسحلية « في ليلة السحلية » .

وتمثال الشباب الأبدى في مسرحية « صيف ودخان » .

وعربة الموبى والصديق في الحائط والكهف وتمثال المسيح في مسرحية « فترة المواقف »

وكل هذه الرموز ، وحتى أسماء الشخصيات ، يعنى بها تيسى وليامز عناية غير عادية ولكن يصعبهم جميعاً في مكانهم الطبيعي من المسرحية .

وهم جميعاً في عرله ، ورومسيون ، وفيهم رقة ، ومهدبون
وأضعف من العالم الذي ولدوا فيه .
ولكنهم مصرون على الاستمرار . هي قوة وفرع وقسوة
وإذا كانت شخصيات شكسبير العظيمة الباقية هي : هاملت ، والملك لير ،
وما كيث ، وعطيل ، وأنطونيو ، وروميو .
فإن شخصيات تنيسي وليامز الباقية هي : بلاش دي نوا ، وماحي ، والما ،
وماكسين ، وبابي دول .
ومن المؤكد أن الإنسان عندما يكون متمرداً على وضع من لأوضاع فإنه يهرب
منه ليقع ضحية لوضع آخر .
وبهذه كل المتمردس أن يصحوا متعصين لأوضاع جديدة . وقد هرب تنيسي
وليامز من عالم الجنس القبيح الكريه في طفولته ورحولته ، ولكنه هرب منه إليه
هرب منه ليقع فيه . هرب من مسرح الجنس لتتحول شخصياته إلى خيالات لطل
أسود . . ولكنه رائع . . فيه روعة وألوان قوس قرح عندما يرسم فوق سحاب أسود !



معذبون بالقلب

ليس لها تاريخ !

السعادة

فمن لا نعرف إلا النعساء من محبين ، وإلا الفقراء من الناس

والسعادة كالموت : نهاية .

ولكن الحرص على السعادة والبحث عنها ، والعداب من أجلها - هي البداية التقليدية لكل صراع في القصة ، وفي المسرحية والتاريخ قد سجل لنا هذا الصراع ، ولم نسجل لنا سطرًا واحدًا عن الذين أحبوا وعاشوا في « الثبات والسمت » ..
فمثلًا روميو وجولييت ..

وكل روميو وكل حولست ، هذا الثنائي الخالد في الأدب . ثنائي العذاب حتى الموت ، أو الحب حتى الموت ..

وليلي والمجنون . وقيس وليلى وكثير وعرة وجميل وبشينة .

والشاعر دانتى وحبيبته بياترتشة .

والشاعر بتراركة وحبيبته لورا .

والأديب بوكاتشيو وحبيبته فيامتا ..

والقديس أبيلار وحبيبته هلويزة ..

والشاعر توفالس وحبيبته صوفيا ..

والفيلسوف كيركجورد وحبيبته رجينا ..

والشاعر ريلكه وحبيبته نعمت علوى ..

وغيرهم من الذين عرفوا الطريق إلى السعادة . . ولم يعرفوا السعادة ولأنهم لم يعرفوا السعادة عرفهم التاريخ . .

ثم قصة فراشيسكا وحببها باولو . .

هذه القصة بالذات لها دلالة خاصة .

إنها قصة الفتاة الجميلة التي عث بها أحوها الأمير لتكون زوجة لأmir آخر في مدينة ريمبي . ودهت الفتاة الجميلة وقابلت الأمير وكان قبيح الشكل والحلق واستسلمت لإرادة أخيها الأمير ولكنها فوجئت بأن لزوجها أخاً حميلاً رقيقاً في مثل سنها ، وفي مثل أحلامها . وأخت الأخ الأصغر لزوجها واسمه باولو . وعرف الناس أمر العاشقين . ونفذ فيهما حكم الإعدام .

وقد قالهما الشاعر دنتي في «الجحيم» وطلب إلى فرانشيسكا أن تقول له : لماذا أحببت ولماذا كان لا بد أن تحب !

وأصبح عرام فراشيسكا مادة لمؤلفي الموسيقى والمسرحيات . إنها مأساة الفتاة التي خطت لرحل لا تعرفه فوجئت رجلاً آخر يعرفه . فأحبت الذي عرفته . ومات الاثنان من أجل الحب . أو مات الاثنان في عناق ألد

وهذه المأساة لها دلالة خاصة عند قراءة مسرحية «عرفوا ما يريدون» من تأليف سيدني هوارد . .

وسيدني هوارد (١٨٩١ - ١٩٣٩) مؤلف مسرحية «عرفوا ما يريدون» اتهمه النقاد بأنه أخذ مسرحيته من هذه القصة القديمة فهو أيضاً قد جعل بطلته مسرحيته فتاة تعمل حرسونة وهي تعبسة في حياتها ، وتلقط خطأ من رجل لا تعرفه يعرض عليها الروح . وحاء في حطب هذا الرجل أنه صاحب مزارع للكروم . فوافقت على الفور . وفوجئت بأن صديقاً له كان يكتب خطباته . وأن هذا العريس كان عحوراً وأنه أرسل بصورة صديقه الشاب بدلاً من صورته . وفي ليلة الزفاف تحطمت السيارة بالعريس . وتحطم العريس . وفي تلك الليلة ، وتحت تأثير الصدفة ، وفي نشوة السيد وحلاوة الرقص عانقت الصديق وحملت منه . واعترفت لزوجها . وقررت أن يهرب مع الصديق . ونكر الزوج العني الذي يحرص على أن يكون لها ورث بأي ثمن سمسك بها واستنقمها وبطرد الصديق .

فالمسرحية إذن قريبة في معناها من قصة «ناولو وفراشيسكا» .

ولكن المؤلف سيدنى هوارد لا ينهى عن نفسه هذه التهمة . بل أنه يواحه قضية لإقتباس هذه ويصبح كل الأدباء الشبان أن يقتبسوا «عقداً» روائية أو مسرحية إذا لم يسعفهم خيالهم بابتكار عقدة جديدة .

فالفكرة لا تهتم . والعقدة نفسها لا تهتم أيضاً .

وإما انذى بهم هو كفى يتناول «كاتب عقدة قديمة بأسلوب جديد» . . المعالجة هي لتي تهتم . الاقتراب من العقدة وحلها وعرضها والإقنع بها ، والافتناع عن طريقها هو الذى له كل القيمة !

وسواء كان سيدنى هوارد جاداً أو ساحراً ، فإنه على حق فيما يقول .

فالأفكار كهذه موجودة فى رعوس الناس ولكن الفن ليس الفكرة ، وإنما معالجة الفكرة . والمعالجة هي التي تسمى «بأسلوب» ، والفن هو الأسلوب . والفنان هو أسلوبه !

وتصادف أن ظهرت فى أمريك مسرحية يوحى أويسيل التي اسمها «رغبة تحت شجر الدردار» والمسرحية تعرض مشكلة شاب أحب روعة بيه وأحبب منها طفلاً .

ولمسرحيتان تعالجان فكرة واحدة هي «حب الحرام» أو هي الحب بحسن نية أو هي الحب الذى يفهر كل القيم الأخلاقية فلا يملك الشباب إلا أن يستسلم للحب أو يستسلم لطبيعة الشباب نفسها .

فمثل مسرحية أونيل رجل عجوز تزوج فتاة شابة . .

وبطل هذه المسرحية عجوز إقترن بفتاة . .

فكأن الرحلى قدرا من البالية أن هذا الحب لا يمكن أن يستمر أن لاحتيا نفسه هو الذى يعرى كلاً منهما بإدراك الساقض الشديد بين الروح الذى ودعته الحياة وبين الزوجة التي هي الحياة نفسها !

وقيل أيضاً أن مسرحية سيدنى هوارد قد أحدثت عن الأسطورة الأوربية القديمة «تريستان وإيزولت» . وهي السوع الذى لا يحف لكل الأدب الأوروى والأوبرات بل أن عص النقاد يرى أن أسطورة تريستان وإيزولت ، أو «تريسترام وإزولد» قد حرحت منها كل قصص «حب الحرام» . أو أن هذه لم تعد أسطورة .

وإنما هي الحقيقة ما نزال موجودة في الأدب العالمي إلى آخر فيلم صدر عن هوليوود، إلى آخر في فيلم صدر عن أية مدينة في السيمما في أوروبا أو في أمريكا أو في القاهرة .

وهذه الأسطورة «الواقعية» بطلها شاب يتيم الأب والأم اسمه تريستان وهذا الاسم يدل على الحزن والأسى وقد تولى حالة الملك كورنول تريسته في قصوره الفخمة .

ولما كبر هذا الشاب تريستان ظهرت عليه علامات الطولة والعروسية . . الجسمية والأحلاقية . وقد تعرض في طريقه لأحد الأبطال الإيرلنديين فقتله . هذا الإيرلندي اسمه مور هولت . وأسفرت هذه المعركة عن جرح أصاب تريستان من سهم مسموم .

ويبدو أن تريستان قد هزل جسمه وساءت حالته النفسية فطلب إلى أصدقائه أن يضعوه على ظهر زورق . والزورق بلا شراع . وأمر بأن يتركوا إلى جواره سيعاً وقيثارة! ودفعته مياه البحر إلى شواطئ إيرلندا .

وقرر أن يروي قصته للملكة إيرلندا لعلها تساعد . ولما اكتشف أن القاتل هو أخو ملكة إيرلندا غير اسمه .

وكانت لهذه الملكة ابنة اسمها أيزولت .

وتولت أيزولت علاج الفتى تريستان حتى التأم جرحه واستعاد صحته

وحدث بعد سنوات أن فوجئ الملك كورنول بطائر يحمل في منقاره شعرة ذهبية فقرر أن يتزوج من صاحبة هذا الشعر ولم يجد ألا تريستان لكي ينولي مهمة العثور على صاحبه الشعر الذهبي .

وعاد تريستان إلى البرور فركبه وتجه إلى إيرلند . وقبيل الشطىء تعرض له أحد وحوش البحر الذي يهدد عاصمة أيرلندا وقتله تريستان وأسفرت المعركة طبعاً عن جرح يحتاج إلى عناية أيزولت

ولما اكتشف أيزولت أن تريستان هو الذي قتل حالها مور هولت ورفعت السيف تنتقم منه . وهذا أعلن نها تريستان عن رغبة حالة الملك في أن يتزوجها وأرسل السيف وأخذت تحلم بالعرش .

وسافر الاثنان معاً . وكانت مع آيزولت خادمتها التي قدمت للاثنين شراباً أعدته الملكة لانتها العروس . ولم تدر الخادمة أن هذا الشراب سيسرط الاثنين برباط الحب . وأن هذا الحب هو الذي سيؤدى إلى هلاك الاثنين معاً . فهو شراب الحب ، وهو حب حتى الموت . واعترف الاثنان بأبها في حالة حب . وإنهما الحب وذهب تريستان يقدم العروس إلى خاله

وفي ليلة الرفاف حاءت الخدمة وبامت في فراش سيدتها . فسبذتها لا تطيق أن يقترب منها الملك . فهي تحب تريستان . وشراب الحب معموله سرى لمدة ثلاث سنوات . هكذا تؤكد الأسطورة . وفي رواية أخرى يقال أن معموله خمس سنوات . . ويقال مدى الحياة !

وعرف رجال القصر قصة عرام الاثنين . وطرد الملك تريستان من القصر ولكنه عاد فعفا عنه عندما اكشف طيبة قلبه وسداجه .

ولم يحمدا الحب في قلب تريستان وأيرولت . وقرر الملك أن يكتشف بنفسه حياة زوجته . فوضع سرير تريستان في غرفة الملك . ورش الأرض بالدقيق وطلب من تريستان أن يسافر في مهمة عاجلة . وقرر تريستان أن يقبل حبيبته قبل أن يسافر . ولما وجد الأرض معطاة بالدقيق قصر من سريريه إلى سرير الملكة فانفجر في قدمه جرح قديم . فتلوث الدقيق بالدم .

وقرر الملك إعدام الاثنين في يوم واحد . وعكن تريستان من إلقاء أيرولت والهرب معها إلى الغابات . ونقى الاثنان ثلاث سنوات أليمة . وفي يوم ذهب الملك إلى الغابة فوجد لاثنين نائمين تحت شجرة . وقد وضع تريستان سيفه بينه وبين أيرولت . وتأثر الملك لهذه السدحة . ورفع سيف تريستان ووضع سيفه هو !

ولما صبح الاثنان من النوم عادا إلى المدينة يظلمان عمو الملك وعفا عهما . وقرر تريستان أن يترك الملكة في حالها . وفي نفس الوقت صارحها أنه على استعداد أن يعود إليها إذا أساء الملك معاملتها

واطلق تريستان ينتقل من بلد إلى بلد .

ولن يس أيرولت . . وتروح قصة اسمها أيرولت أيضاً الأولى كان يسميها أيزولت الشقراء والثانية كان يسميها أيزولت البيضاء .

وعندما أحس باقتراب الموت طلب من زوجته البيضاء أن تستدعي الملكة
الشقراء لكي يراها قبل أن يموت . وطلب إليها أن تحيى في زورق له شراع أبيض .
لكي يراها عن بعد . ووعدت الملكة بزيارته . ورأت لروحة اقتراب زورق الملكة .
وكان شراعه أبيض . ولكن العبرة جعلت الروحة تقول لروحها : لقد اقترب الزورق .
ولكن شراعه أسود .

ومات تريستان من الحزن .

وجاءت أيرولت ورأت حبيبها وعادته حتى الموت . ومات الاثنان في عناق
إلى الأبد ؟

وفي هذه الأسطورة كل حدور مسرحية سيدنى هوارد ، وكل مسرحية وقصص
الأدب الحديث فأسطورة تريستان وأيرولت قد كانت متعة العصور لوسطى في
أوروبا كلها .

وفي هذه الأسطورة كل بدور الحب والبراءة والشر ، وأخ الحرام ، والحب حتى
الموت ، والحب بأى ثمن . والزواج بلا مقابل .
وفيهما زواج الملك وحب المواطن العادى .

ولا عيب في أن يفتس أى كاتب من هذه القصة ما يعجبه ، وأن يعالجه على
النحو الذى يراه .

والذى أحذه سيدنى هوارد من هذه الأسطورة ليس الكثير ولكنه أخذه من
منجم عامر . وارتوى من بئر لا تجف .

وسدنى هورد بروحه الخفيفة وبراعته تناول هذه المسرحية وخلط الدموع
بالانتيمات . وخصوصاً في نهاية المسرحية عندما كان على الزوج العجوز أن يختار
بين أن تبقى روحته التي حانته في أول ليلة ، وبين حرصه على أن يكون له اس .
أن المؤلف قد تناول هذا الموقف منتهى الرقة والرفق . وأى ضغط من جانب المؤلف
كان يحيل الموقف إلى مأساة أو إلى مهزلة . والموقف في الحقيقة هو ضحك يبعث
على الأسى ، وأسى يبعث على الضحك .

وليس فى بيسى أن أخلص المسرحية ، فأفسد بذلك متعة القارىء . وإنما أحاول أن أعرف المؤلف نفسه . إنه صحفى وروائى ومسرحى ومؤلف عدد كبير من سيناريوهات الأفلام السينمائية .

ولكن معظم أعماله الفنية كانت اقتباساً من الأدب الأوروبى . وقد اشترك مع عدد كبير من الأدباء والعلماء فى معظم أعماله الفنية . ومن أهم مؤلفاته . «لسيوف» (١٩٢١) وهى من الشعر الحر «وعرفوا ما يريدون» (١٩٢٤) التى فازت بجائزة بوليتزر والتى تحولت إلى مسرحية موسيقية عدئية عام (١٩٥٧) باسم «الرجل السعيد جداً» و «المسحورة» (١٩٢٤) و «الحصى الصفراء» (١٩٢٤) بالاشتراك مع العالم الكبير بول دى كرويف . و «السعيد سام ماركافر» (١٩٢٥) و «أية بدماكوب» (١٩٢٦) . . . و «الرباط الفصى» (١٩٢٦) . و «لمرحوم كريستوفر بين» (١٩٣٢) واقتبس «أوليمبيا» (١٩٢٨) و «مارسيليا» (١٩٣٠) و «سبيل المجد» (١٩٣٥) وطهرت له أول مجموعة قصصية بعنوان «ثلاثة سلام إلى أعلى» ، وقد أهداها إلى روحه الممثلة كبير يمز

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى كان طياراً فى سلاح الطيران الأمريكى وعمل مراسلاً حربياً لمحبة «لايف» فيما بين ١٩١٩ ، ١٩٢٢ . واشتغل محرراً أيضاً فى صحف «هيرست» الكثيرة جداً فى أمريكا .

وكان رئيساً لتحرير عدد من المجلات .

وأهم «حبطاته» الصحفية ما كتبه عن حوادث التجسس وعن عصافيات نهرىب المخدرات إلى أمريكا .

ولكن سيدى هوارد قد اشتهر بالثقافة الصية حتى فيما كنبه من تحقيقات صحفية . فقد كان يمين إلى تحويناها إلى مواقف درامية . وإن كان لا يبعد عن الحقيقة . فقد كان شديد الاهتمام بالشكل الفنى .

ولكن شهرته الأدبية قد بلغت قمتهام بمسرحية «عرفوا ما يريدون» والتى حرص على أن يكتبها باللهجة المحلية لولاية كليفورنيا . وسيدى هوارد مشهور جداً بمعرفته الواسعة ولهجات الولايات الأمريكية .

ولأن هذه المسرحية مكتوبة بلهجة محلية جداً ، ولأن شكل الكلمات يتفق مع الطريقة التي يطقها بها أبطال المسرحية . فقد بذت عامصة حتى بالسنة للأمريكان أنفسهم .

أما فيما يتعلق بأبطالها من الإيصالين فقد جعلهم يتكلمون على هواهم وعلى حسب معلوماتهم المحددة في اللغة الإنجليزى من ناحية النطق والنحو وانتهت حياة سيدنى هوارد فجأة

انتهت وعلى مكتبه عدد كبير من الكتب لم يفرغ منها من بينها كتب له عن «حياته نيامين فرانكلين» الدبلوماسى المفسوف . وكتاب آخر عن «الحياة فى المدن» والمشروعات بأقلام كثيرة .

ولابد أن سيدنى هوارد كان مشغولاً بهذه الكتب معاً ، وإلا فكيف يسقط فحاة تحت عجلات إحدى الحارات التى يملكها فى مررعتة الكبيره . . إنه لم يكن محموراً ولا كان يشكو من الكبد حتى يصيبه بدوخة وإغماءة . . ولم يكن يشكو من ضغط الدم ولا كان قلبه صعباً فقط أن هذه الكتب استغرقت حتى أعرقته فى دمه ، وفى أرضه ، فى الأيام الأخيره من عامه التاسع ولأربعين !



الوجه الثالث

بعض

الحبشاء يقول : أن المرأة كالقمر ، لها وجه آخر لم يره أحد بعد
والحقيقة أن المرأة لها وجوه عديدة . والذين رأوا وجوه حواء من العماء
والصاين عددهم قليل جداً ، ولم تكن رؤيتهم واضحة . أما الذين رأوها بوضوح فهم
كثيرون جداً وكان ذلك على فراش الموت ، ومع الأسف لم يتمكنوا من الطق
بشيء . ومضوا في سلام .

وكان لأدب توستوي بقول : أن الرجل لا يستطيع أن يقول رأيته في زوجته إلا
بعد أن يتأكد أنهم غلقوا عليه باب القبر بإحكام تام .
وكان الفيلسوف شوبنهاور يقول . كلما سمعت رجلاً يتحدث عن امرأة بصراحة
تامة ، أعرف أنها ماتت أو أنه يريد أن يقتلها .

ولكن الفنانين الكبار استطاعوا أن يقولوا كلمتهم وهم أحياء . . وبعد موتهم
بقيت هذه الكلمات ، بقيت هذه الوجوه العديدة التي رأوها حواء تطل علينا ،
وتضيء لنا ، لا كالقمر الذي له وجه واحد ثابت ، ولكن كالنجوم التي تتلألأ ، أي
تطل علينا بألوف الوجوه .

وأشهر هذه الوجوه جميعاً وأروعها ثلاثة :

وجه الروحنة التي تدخل الحاسة الروحية ومعها «أثث» لم يره الروح هذا الأناث
صعته من أحلامها ومن أوهامها ، من شياها الاعم . واسطرت في أحلامها .
زوحها فجاء الفتى وفوجئت بأنه لا أحلام هاك . بل ولا فتى . . أو أن الفتى
حاء ، ثم شترط أن تصحو هي من أحلامها . إنه لم يفرق بها وهي تحلم أنه مره

بعنف ، اقتلع النوم من عينيها ، ثم اقتلع عينيها حتى لا ترى شيئاً . حتى تسمعه هو ، ولا تراه ولا ترى نفسها . وتظل كحواء قبل أن تأكل من شجرة المعرفة ، وقبل أن تعرف أنها عارية وأن آدم عريان . وقبل أن تمد يدها إلى ورقة التوت تعطى نفسها . أن هذه المرأة انتظرت حتى أحلامها ، انتظرت الذي يملك حاتم سليمان ومصباح علاء الدين ، وساط الریح ويقول لكل شيء : كن فيكون . . وحاء الرجل وفتح عينيها ، ولكنه لم يرها ، وفتح أذنيه ، ولكنه لم يسمعها ، وشر ذراعيه ، وحتصن شيئاً آخر . وفوحئت الروححة بأد زوجها يعلق صورة لقطار السكة الحديدية على الحائط . ماذا يريد ؟ إن القطار هو مثله الأعلى . به يريد من روحته أن تمشي كالقطار . تمشي على شريط في مواعيد محددة . لا تتعب ، لا تمرص لا تحطئ . واكتشفت الروححة أن روحها يريد أن تكون كالكرسي ، كالترابيزة . إنها شيء يلقيه على الأرض ثم يحده في اليوم التالي ، في نفس المكان ، ولم يرد عليه إلا بعض التراب وطعاً تكون مفاجأة كسرى للروح عندما يجد الكرسي تحرك وله رحلان لا أربع ، وله رأى ، وله موقف ، وفي لسانه كلام ، وفي كلامه قرار وتمتد يد الكرسي الماطق وتعلق صورة لخمير على الحائط أو أي حيوان آخر . ماذا تريد الروححة ؟ إنها تريد أن تعلن رأيها في زوجها بصراحة . . ونرى الروححة أن زوجها قد رور في عقد الزواج . فالحقد قد نص على أنها تزوجت إسماً لا حيواناً . ولذلك يحب أن تخرج من البيت . لأن هذا الروح قد حول زوجته من إنسان إلى حيوان إلى حماد . وهذه الروححة لا تريد أن تتخلص من «آدم» إلى الأبد ، أنها تريد أن تتخلص من هذا «الآدم» فقط لأن حواء لآدم إلى الأبد . أي لأي آدم . وليس لهذا بالذات . وروحها يريد منها أن تكون له إلى الأبد ، وبأي شرط .

هذه المشكلة الحقيقة التي صورها كاتب النرويج العظيم «هريث أس» في مسرحته الخالدة «بيت الدمية» وفي نهاية المسرحية نرى الروححة «نورا» تخرج علباسها بحرج أثاثها الذي دخلت به ، بأثاثها الوردى الذي صنعه نفسها ، وبقليلها وبحرمانها ، ثم تقفل الباب في وجه روحها ، وفي وجه جمهور المتفرجين . وفي وجه كل أساء القرن التاسع عشر . وكان صوت الباب صفعة على وجه الروح ، وكل روح أو كأه الدقات التقيدية التي تعلن بداية القرن العشرين بداية المساواة والحرية الفردية للرجل والمرأة .

و «نورا» هذه صاحبة مبدأ ، صاحبة فلسفة . .

أما الوجه الثاني : فهو وجه الزوجة التى أحبت .

ولكن ليس المحبوب هو الذى يشعلها وإنما الحب نفسه . . فهى تحب الحب . لأن الحياة جوهرها الحب . وهى تريد أن تعيش . والحب لذيذ تمتع . كأي «فيلم» . كأية حفلة . والحب حفلة ترقص فيها وتغنى وتشرى . وهى نهاية هذه الحملة تعاقب صاحب الدعوة . إنها أحبت رحلاً بكامل حريتها . فليس معنى الزواج أن «يصادر» الزوج قلبها وعقلها أو يصح حياتها موقوفة عليه . . والروح معناها أنها أعطت أعز ما يملك لأعز من تحب . وأعز ما يملكه المرأة هو جسمها . فهو بمسكنها

وعندما يسألها الزوج : أريد أن أعرف من أنت ؟

تقول له : أنا عمرى . أنا شبابى . أنا عشرون ربيعاً . . هذا هو أنا . . وكل فتاة مثلى هى كذلك .

هذه الروح تحب من زوجها أن يقوم بدور شهر راد فى «ألف ليلة وليلة» . كل ليلة ، ليلة جديدة ، وقصة جديدة ، ومغامرة جديدة . . فإذا انتهت الحكايات انجذبت الروح إلى مؤلف آخر . فالحب هى قلبها حصل صغير تهدهده الحكايات فينام .

هذا الوجه أندعه كاتب فرنسا «أرمان سالكرو» فى مسرحية «امرأة حرة» . هذه المرأة الحرة اسمها «الوسى» ولم تكن لوسى صاحبة مبدأ وفلسفة وإنما هى تريد أن تعيش ، أن تعيش حياتها هى حصة عمر مشروطة بأي شرط . ولا يهمها ماذا يقول عنها المؤرخون أو نقاد الأدب . إنها تتر بالتجربة ، وعليهم هم أن يختاروا اسماً لتجاربيها .

والوجه الثالث . . نخذه فى مسرحية «روجة كريع» للكاتب الأمريكى جورج كيللى . . والمسرحية تمضى حوادثها فى نضع ساعات . ولكننا نشعر فى أوج الأمر أنها طويلة . . ويسدو أن المؤلف تعتمد الإطالة حتى يرسم لنا ملامح شخصياتها بوصوح وبعد ذلك يترك لهم المسرح وعليها أن نتتبع ما يجرى فى هذا المنزل

ولا أقول «البيت» فهناك فارق كبير بين الاثنين وهذه المسرحية توضح لنا الفارق الكبير جداً . فالروح يريد أن يكون «المسكن» بيتاً . والروحة تريد أن تحيل «البيت» إلى منزل . هو يريد أن يضيف إلى المنزل الدفء والأمان وبذلك يصحح بيتاً ، والروحة تريد أن تحرد البيت من هذا الدفء ومن الناس فيصبح منزلاً مليئاً بالأثاث ، ومن ضمن قطع الأثاث : زوجها !

وروحة كريح بها رأى في الروح ، ولها رأى في الروح . من رأيها أن الروح «ممول» لمشروع . أما هذا المشروع فهو بيتها ، وبينها هو حياتها ، مع روحها ، وبعد روحها . أي بعد وفاة الروح ، فهذه مسألة مهمة جداً . وقد عاشت زوجة كريح تحربه رهينة قبل ذلك . رأب أمها وكف أحنت أباها ، وكيف أن أباها كان يسع أمها وما تملك من حل ساء أحرىات . ومن رأى زوجة كريح أن الرواح صفقة تجارية بين البائع والمشتري . هي أعطت حريتها لروحها ، وروحها أعطاهم ماله والطمأنينة والاستقرار . كلاهما كسان . وكلاهما حيران . وإذا كان الروح يتعب في عمله ، فهي أيضاً تتعب في البيت . ولروحة ترى أن البيت مكانها الطبيعي ، وأن زوجها ليس هو كل شيء . وإنها عندما تحرض على روحها ، هي في الواقع تحرض على نفسها ، على سلامتها ، على استقرارها أو بعارة أدق . إنها تحرض على الرجل الذي يحرم لها بيته وأثاث بيته . ولكي تضمن هذا الاستقرار وهذه الأثاث ، عاشت في عرلة . اعتزلت الناس ، وشجعت الناس على أن يمشوا بعيدين عن زوجها وعن بيتها . ثم أحرقت أصدقاء الروح واحداً واحداً . أرادت أن تسعد الناس عنها ، فأبعدوها عنهم . .

وكانت النتيجة أن ترك البيت عمه روحها . لأن من الصعب أن تعيش في بيت ، بهتم فيه مرأتان برحل واحد - أي هي وروحة كريح . واسة أحتها تركت البيت . وخدمتان لواحدة بعد الأخرى . ثم جاء دور الروح فترك البيت . . ونقبت زوجة كريح وحدها مع أثاثها . ولا يفتصها إلا الممول !

ولروحة كريح عبارة تلخص فلسفتها في الحياة والروح . أن حب الرجل لا يعيد كثيراً في تدبير العيش . وتقول ، من حرصت على أن يكون روعي سلباً إلى تحري وكثر خلاف بيته وبين زوجها كان يشبه السرقة الذي يكشف كل شيء في

لحظة واحدة . يكشف الفارق بين الرجل وزوجته ، بين المرأة التى يحرص عليها وبين المرأة التى تحرص على البيت ، ولذلك تحرص على حامى حمى البيت ويكفى أن يدور هذا الحوار بين الرجل وزوجته لتعرف أى خلاف بينهما .
هى : سترى أوراق الأزهى متناثرة فى أرجاء المكان . هذا قطيع هو : بل سيكون ذلك أروع .

هى : لا أعتقد أن هذا رأيك لو كان عليك كس هذه الأوراق .
هو : ولماذا أكنسها . إسى أحبها هكذا . ولا شىء أحمل من أوراق الأزهى مبعثرة على حشائش البستان .

وفى نهاية هذه المسرحية تتساقط أوراق الأزهار على الأرض . عندما يتساقط ستار المسرح . ولا يعيب هذه الأزهار وهى تسقط إلا عينا امرأة تنظران إليها باستكار نظرة من يريد أن يكسها . . لا أن ينظر إليها بارتياح . إنها ليست نظرة افتانة ، وإنما هى نظرة «أميرة المتحف» . أو نظرة «صاحبة البيت» . . لا «ست البيت» ! .



من أجلكما

قبل

الميلاد بحمسه قرون اشتهرت سيدة اسمها لوكريسيا بأنها فاضلة وأنها
فى نفس الوقت ست بيت . وكان زوجها يساهى بها بين الرجال .
وكان الرجال يصيغون من حملات المكرم الى يقيمها الروح لزوجته عماسة ومن
غير مناسبة ..

وعاد كل روح الى سبه يسأل روحته إن كانت فاضلة ، وكانت لروحات يقلن
عادة : طبعاً .

وكان الأرواح يسألون لروجات إن كن قادرات على شغل اسيت دون مساعدة
من اخدامات ، وتؤكد الروحات أن الخدمات لا يقصر بعمل
ولكن طلّت لوكريسيا هذه ، شهر الروحات وأجمدهن . وأقصهن .

كان لابد من الامتحان فانفق لرجال على أن يتركوا القرية ويندھوا الى روما .
واتفقوا على أن كل روح لا يقول لروحته كم سيقى من الأيام بعيداً عنها . وحرص
الرجال وأقاموا فى معسكر . وحقاً عدوا الى القرية فماذا وجدوا ؟

أما لوكريسيا فقد كانت فى مكانها من الست . وبين اخدامات الالائى يعملن
فى تطيف لبيت . أما بقية الروحات فكن فى رقص وحمز .

وتبقى لوكريسيا هى الزوجة العاضلة الوحيدة .

وكان لابد أن يظهر شاب يحول أن يقتحم قلعة القصبة والجمال وكان ذلك الشاب
هو سكتوس تاركينوس ، ابن أحد النبلاء . وتسلل الى البيت فى عياب الروح ، وطرده
لوكريسيا وعددها بالقصبة . وتكاثر الخدم على هذا الشاب المقتون ، وطرده .

وفي الصباح استدعت بوكريسبا أباها وروحها . وأعلنت أن بيتها قد أهين وأن كرامتها قد سرقت منها . وأن هذا الشاب المصون يحب أن يلقى جراه . وأحدث عهداً عسى أن يفيها وزوجها وإخوتها أن يستقمو الشرف الروحة والعائلة . وللفصيلة والجمال وعندما أقسم الجميع على الانتقام ، أحرقت حشراً من ملابسها وانتحرت .

أما الحثمان الشريف الحميل فقد إنتقل إلى مجلس شيوخ روم لمرافقة كل الأعضاء واقفين ماكس . وليرفع أحد أقاربها يده معلناً الثورة على القس السافل وعلى أبيه وأخوته وأسرتهم .

وأعلنت الثورة على هؤلاء السلاء . وأخرجوا من روم ، وعلى حمامد بوكريسبا ، ودفعاً عن فصيلتها وتكريماً لجمالها ، قام الحكم الجمهوري في روما سنة ٥٠٩ قبل الميلاد !

وانتهت المادة التاريخية التي أخذ منها جان جيروودو مسرحية (من أجل سواد عبيده) وهذه ترجمتي أ ، لمسرحه جيروودو التي عنوانها «فرسي هو :» من أجل لوكريسبا» .

وليس من شخصيات هذه المسرحية واحد يهد الاسم ، وإن كانت هناك واحدة بهذا الحسم والإثم واسمها مدام بلانشار ، وهي روحه الفاضل ليوبيل بلانشار ، وهي الفاضلة الوحيدة في مدسة الشر . اكس أن برفس في عصر الامبراطور نابليون الثالث وقد طلب هذه السيدة سخص بالدة والمرح والحمير إلى أن جاءت هذه السيدة الفاضلة فتحوّل لمدينة كلها إلى مدسة الخطايا . لقد كانت مثل نقطة بيضاء في دائرة سوداء . لقد أشرقت على مدينة مظلمة فاكشفت . لقد كانت مثل قطعة من الذهب في مدينة كل عملاتها الورقية بلا غطاء فتحوّل الناس جميعاً إلى عملات زائفة .

وكان لابد أن تدفع الفضيحة ثمن الجمال فعاش الجمال مفضوحاً . وعندما انتحرت مات الجمال . وبقيت الفضيحة شيئاً يرناد لمدينة لعنة تطارد كل واحدة في طريقها إلى موعد عرام

لقد أعدم الجمال ، ولكن الفضيحة استأنفت الحكم ضد الرديلة . وكانت هذه آخر مسرحية كتبها جان جيروودو . . ولم تظهر على مسارح فرنسا إلا في سنة ١٩٥٤ ، أي بعد وفاته بعشر سنوات .

والذى لا يعرف أن هذه هى آخر أعماله المسرحية ، ليس من الصعب عليه أن يستتح ذلك بمجرد قراءته لها . ففيها كل مراد وعيوب حيروودو .
فهى قد استمدت مادتها التاريخية من الأساطير . وهذا ما فعله جيروودو كثيراً ، ولكنه أغلر أكثر من مره أن الأساطير وحدها هى التى تستطيع أن يكون لها وجود مسرحى . أى وجود مستقل عن المؤلف . وإنه هو شخصياً إذا مات فيسكون أسطورة فى لأدب الفرنسى ، وأن آخر كلمة تحىء على لسانه ستكون من تأليف هوميروس وكانت هذه آخر كلمة على لسانه .

وفى هذه المسرحية نجد الحوار الفرنسى الأصيل والخور الطويل أيضاً ، الذى يجعلك تحس بأن الحركة المسرحية قد توقفت . وأنه لا يهم أن يتحرك أحد على المسرح فالكلام يغنى عن الحركة .

وحيروودو فى هذه المسرحية ، وفى غيرها ، لا يتقدم لإيقاد أبطاله . فلهم حياة خاصة . وهم مسئولون وحدهم عن مصيرهم .

وقد حدث فى هذه المسرحية عندما صهرت على المسرح أن حدثت منها صفحات كثيرة . تماماً كما فعل «بوى حوفيه» عندما أخرج مسرحيات حيروودو فقد صطر إلى أن يحدف عبارات كثيرة حتى لا تتوقف الحركة المسرحية وحتى لا تصبح المسرحية مجرد مناقشات عقلية .

وأب فى هذه المسرحية نسيم رائحة مسرح حيروودو كله . فهى مسرح حيروودو نجد النصف الإنسانيه بصورة واضحة وصارحة فى الفصيلة والبرذيلة . الريف والصورحوازية المحلة . . والمرأة عند حيروودو هى الأنثى وهى جميلة دائماً . وم دامت جميلة فمحكوم عليها بالعداب واللعة . فإذا كنت الفصيلة سجنأ ، فالجمال هو المقصدة .

وبكر عند حيروودو لا توجد فصيلة لا تقوى على مقاومة وعنى حد قوله . إن المشكلة لأولى مع المرأة الفاصلة ليس أن تعريها ، ولكن أن تذهب بها إلى مكان مقفل . فالبرذيلة تنمو وراء الأبواب المغلقة فقط .

والعب الوحيد الذى أحده سارتر على حان حيروودو هو أن شخصيات حيروودو تاتة أو شخصيات كامنة لفواصل إلى أقصى درجة ، والشرير إلى أقصى

درجة . . كل إنسان يحاول أن يحقق أكمال صورة لفصيلته أو رديله . ومعنى ذلك أن فى مسرحيات حيروودو أناساً معهم مثلهم العليا . . إذ أن هناك أناساً ناقصين . وصورهم الأبيغة حدا وهذه الصور ليست معلقة على الجدران وبما هذه الصور تراحمهم فى حياتهم . . وتعرقل سير المسرحية .

إلا فى مسرحية (من أجل سواد عينيها) ففى هذه المسرحية وحدها لا نجد محاولة شخصيات المسرحيات تحقيق الكمال . أو تحقيق الصورة الكاملة لصفاتهم فتكون الشخصية الفاصلة ، فاصلة إلى أقصى درجة . وتكون الشريرة ، شريرة إلى أقصى درجة .

وعيب آخر أخذه الوجوديون على حان حيروودو هو رأيه أن الطبيعة الإنسانية لا تعبير . مع أنه لا توجد «طبيعة إنسانية» وحدة وإنما توجد صفات إنسانية تتغير بالتجربة وبالثقافة وليس عرباً أن يصح القديس لصاً ، إذا اضطر إلى ذلك وليس عريداً أن يتحول اللص إلى قدس إذا أراد ذلك إلا فى هذه المسرحية .

فقد أرد أشخاصها أن يحاروا مراقبهم . وأن يحتاروا تجاربهم القاسية . وأن يحتاروا إستمرار الصراع إلى لنهاية وأن يتم كل شىء بلا دم . فليست الفصيلة لونا للبشرة لا يمكن تعبيره وإنما هى فعل يردى وليس الرديلة لعنة . وحتى إذا كانت لعنة . فمن الممكن أن يحارها ، وبذلك لا نصبح لعنة ، وإنما هى نعمة وهى مشيئة إنسان .

وحان جيروودو (١٨٨٢ - ١٩٤٤) قد ألف عدداً كبيراً من مسرحيات والدراسات والمحاضرات وهه آراء حميلة نافذة فى المسرح والتأليف المسرحى وهى أحسن منظور يمكن أن نوجه على القراء قبل قراءة هذه المسرحية . . وهذا المطار من صبح حيروودو يكي تشهد به أعماله الفنية ولكن ليس معنى ذلك أننا عندما نطلع هذا المطار لا نجد شيئاً ولكن سجد أن عدد الألوان والظلال التى رأيناها من قبل قد تلاشت . وبكى الخطوط العامة هى هى . . وهى سليمة وواضحة .

وسوف أنقل هنا فقرتين طويلتين .

أحدهما عن العلاقة بين المؤلف وشخصياته المسرحية .

والأخرى عن المتفرح الفرنسي ، والفرق بينه وبين كل المتفرحين في الدنيا

والفقرة الأولى هذا نصها :

«هناك قانونان - إذا جار لي التعبير - يتحكمان في الوضع الأبدى

للمؤلف المسرحي :

أولهما حاصر شعريف الوضع الحزين المصحك للمؤلف إزاء شخصياته التي خلقها وقدمها إلى المسرح .

وهذه الشخصيات كانت ، قبل أن يؤديها أحد الممثلين على المسرح ، مخلوقات طبيعة مألوفة وجزءاً من المؤلف .

ولكنها عندما تظهر أمام الجمهور تصح عريّة ولا تنتمي إلى المؤلف

وأول أداء يقوم به ممثل شخصية من الشخصيات ، يكون هذا الأداء حلقة في

سلسلة طويلة من التحسينات التي تليها شيئاً فشيئاً عن المؤلف الذي خلقها

ثم تهرب منه إلى الأبد !

وهذا يصدق على المسرحية من أولها لآخرها .

فهى تنتمي إلى الممثلين منذ اللحظة الأولى التي يؤدونها على المسرح . فما

المؤلف الذي يروح ويجىء بين الكواليس وليس ، لا شعباً ، يطرده موظفو المسرح إذا

أطل برأسه أو إذا أحل بأداب السلوك . . ولكن بعد عرض لمسرحية لمائة مرة ، إذا

كانت ناجحة ، فإنها تنتمي نهائياً إلى الجمهور .

ومن المؤكد أن المسرحيات الوحيدة التي نسمى إلى المؤلف ، هى

المسرحيات الفاشلة !

لأن استقلال الشخصيات التي بحثت هو استقلال تام ، فالحياة التي تعيشها

هذه الشخصيات فى رحلاتها من أوروبا إلى أمريكا هى إنكار دائم لأبوة المؤلف .

وبينما يتابعك أبطال روايتك فى كل مكان ، ويعترفون بأبوتك ، فإن شخصياتك

المسرحية التي تصادف أن تلقى بها ، قد أصبحت عربة عمت بتمام !

وربما كانت الرعة فى معاقبة هذه الشخصيات المسرحية هى التى دفعت شاعرين مثل جيته وكلوديل ، وغيرهما من الكتب ، إلى إعاده تصوير بطلاتهم المفصلات ولكن بلا جدوى ! فالبطلة قد هجرت حلقها إلى الأبد .

أذكر أسى كنت اقترح على مسرحية كلوديل التى عنوانها «البشارة إلى مريم» ، وأحسست أن هذه المسرحية تنتمى إلى ، أكثر من انتمائها إلى المؤلف الخالس إلى جوارى !

فكم من المؤلفين ، يضطرون إلى أن سحتوا فى ممثل أو ممثلة ذكرى أسائهم وسائهم الذين هربوا تماماً كما يحدث فى الحياة العادية عندما يحدد الآباء فى أزواج سائهم أو روحت أسائهم ، ما يعوصهم عن أسائهم وسائهم .
أما القانون الثانى .

فهو يحدد موقف المؤلف من حوادث عصره ، ويحدد دوره فى هذا العصر .
وهنا ، إذا أردت أن أكون ملخصاً ، يجب أن أجرد نفسى ورملائى من كل تواضع والشخص الذى تراه فى المسرحية مجرد صوب ، وبلا شخصية أمامك وبلا مسئولية ، وإنما مجرد مؤرخ أو منتقم ، وفى عنصر معين ومن دم ولحم هو المؤلف !
ومن السخف أن نصف سة من السنين أو قرناً من القرون ستطاع أن يكون له صدى محلل ، وأن يكون له صورة عاطفية مثيرة ، دون أن يكون هناك ذلك الإنسان الذى يتحدث عنه .

فليست التراجيديا أو الكوميديا إلا اعترافات لإسائنة كلها وهى حيش احلاص والدمار - التى يجب أن تعلنها وفى سره مثيرة ، لأن صدى صوتها أوضح وأكثر واقعية من صوتها نفسه . فالمن أوضح وأوقع من الواقع ! ولا شك فى هذا !
ومن هنا كانت لعلاقة بين المسرح وبين الاعترافات فى الكنيسة
فليس من قبيل الصدفة أن تعرض المسرحيات أمام الكنائس .

والمسرح يصح فى مكانه الطيعى جداً ، إذا ما شهدناه أمام إحدى الكنائس ، يعترف بصورة مشرقة ، ويعلن عن همومه الصعيرة ، وصراعاته الهائلة فى الحياة ومن أجل الحياة .

فالأديب كالدرور ليس إلا الإنسانى وهى تعترف تعطشها إلى الأبدية .

وكورنى ليس إلا احترامها .

وراسين ليس إلا ضعفها .

وشكسبير ليس إلا حبها للحياة .

وكلوديل ليس إلا خطاياها وخلاصها .

وحيته ليس إلا إنسانيتها الغامرة .

ولا تصبح الإنسانية طبيعية وصادقة مع نفسها ما لم تأت الشعوب وترتدى
أنهى أربائهم وتعترف على خشبات مسارح ، فستمع الإنسانية إلى صوتها
وشجاعتها وجبنها وحبها وكراهيتها ومحنتها وزمتها .

فلا مسرح بلا نقطة مضبوطة تكشف عن الصدق . وهو أن الحى يجب أن يعيش ،
والحى يجب أن يموت ، والخریف يتبع الصيف ، والربيع يتبع الشتاء ، وأن هناك
عاصر أربعة ، وأن هناك سعادة ، وملايين الكوارث ، وأن الحياة حقيقة ، وأن
الإنسان يعيش بالدم ، وأن الإنسان لا يعرف ذلك .

فالمسرحية هى الإطار الوحيد لأحلامى وهى الوسيلة الوحيدة لتربية الشعب
وهى الدرس الوحيد البعيد للكار والصغار ، وعن طريقها يلتقى أكثر الناس
توصعاً اجتماعياً وثقافياً مع أكثر أنواع المشاكل والصراع . وهم يستطيعون عن طريق
المسرح أن تكون لهم صلوات وقدسون يعقلون خاصة وانفعالات عامة . وبينهم
كثيرون يحلمون .

ولكن الذين لا يحلمون فلن يستطيعوا ذلك فى المسرح - انتهى كلام خيرودو
ولخيرودو رأى معروف عن حمهور لمسرح وهو يؤيد الحمهور الفرنسى ، ويعبر
عن دوقه ، ولذلك فيجيرودو نفسه فرسى مائة فى المائة . . فهو يهتم بالحوار .
بالكمة الحلوة أكثر من اهتمامه بأى شىء أحر من عاصر لناء للمسرحى
والحركة المسرحية .

وهو يقول بالحرف الواحد :

المتفرح الفرنسي لأنه يحب الاقتصاد ، وحرصاً منه على أن يعرض ذوقه الرفيع ، فإنه لا يشحن كل إحساساته في وقت واحد .

بينما نجد أن فكرة المتفرح الألماني عن المسرح تميل إلى حشد عدم لكل مقوماته في وقت واحد .

وفي الفن ، كما في الطهي ، حبط الأطعمة بعضها ببعض يؤدي إلى إفسادها . وكل ما يريد الفرنسي أن يراه في الباليه أو في الأوبرا ، بضيقه أن يراه في المسرح . فهو يحىء إلى المسرح لكي يستمتع ، ويتعهه أن يشاهد شيئاً آخر في نفس الوقت .

فهو يؤمن بالكلمة أكثر من الديكور .

أو هو يؤمن بأن معارك القلوب لا يمكن أن يحوصها تفجير الصياد والضلال ، ولا بالانهيارات والكوارث . وإنما يكسبها بالحوار .

وليست الحركة المسرحية ، في نظره ، هي الصوضاء الصوتية ، وإنما السخرية والتلاعب بالجملة عندما ينطقها الممثل .

أما الصرب والقتل الذي يظهر على المسرح الألماني - والأمريكي والإنجليز أيضاً - فلا يقابله في المسرح الفرنسي إلا حطاب عاقل أو نصيحة ، ثم أن المتفرح الفرنسي ليس شاهداً سلبياً ، إنه جمهور المخلفين !

وروح الرجل الفرنسي ، مثل الحرية ، تفتحها بكمة !

وهو يكره طريقة الألمان - والأمريكان والإنجليز أيضاً - في فتح الخزائن ، إنهم ينسفونها بالديناميت !

المتفرح الفرنسي يرى بإصرار ، أن الحوار أسمى إطار للكلام بين الحيوانات الماطقة وهو يريد أن يحرب نفسه قوة الحوار وسحره وشكله ومراياه الأدبية الخالصة

والحركة المسرحية في تقديره ، ليست في استسلامه إلى حملات جسمية عسيفة من الصوء الموحع والإثارة الملتهية ، تنهاوى كلها على رأسه فترهق عييه وأذنيه وبما الحركة المسرحية في تقديره هي في هذه المقارنة والمصاهاة الدائمة بين حياته وما فيها من صرع وحيال وبين هذا النص الأدبي الذي يعيش أمامه على المسرح . وهذا النص قادر على أن يشيع النور في ديباه .

وهذا الصهم للمسرح ، على أنه عمل إنسانى وليس شيطانياً ، لا يسمح لهذا الإهتمام العاطفى حد الذى يجعله للنص . بأن يبدده الإخراج بالصوصاء الصارحة والضياء المؤلمة . والمتفرح فى الكوميدي فرانسيز لا يمكن أن يفهم - وإن كان مبدأ مألوفاً فى بلاد أخرى - كيف تظهر الحيل الحقيقية على المسرح ، أو كيف يظهر إثنا عشر شخصاً يمثلون الناس فى باريس فى مسرحية « الباريسيه » التى ألفها « بيك »
إن المتفرح الفرنسى لا يؤمن بالديكور . . فالديكور ، فى نظره ، هو المسرح نفسه ، بأصواته العادية ، وشرفاته .

إن المتفرح هو الذى يحتاج إلى أن يرتدى الملابس الأنيقة . وليس الحوار فى مسرحية إن فرنسا هى بلد المؤلف المسرحى - انتهى كلام جيرودو

ومن اراء حيروودو أيضاً أن المسرح هو الواقع فى اللاواقع هو الصدق فى الكذب ، هو هذا الإتهام الحميل بأنك تكذب ، مع أنك لا تقول . لا الحق ويسحر حيروودو من مفهوم الواقعية عند المؤلفين ، كما رأيناه يسخر من وضع الحيل على المسرح فيقول :

إن الواقعية ليست فى أن تأتى ساعة حقيقية على المسرح تدق خمس مرات معلنة الساعة الخامسة ، ولكن الواقعية هى أن تسمع مائة دقة لساعة تعلن أنها الخامسة !
ويقول أيضاً عندما يلتفت إلى الجمهور :

ليس من المهم أن يفهم الجمهور . المهم أن يحس فقط . ليس من المهم أن يرى تفاصيل الصرب على المسرح ، ولكن أن يشعر بالصرب وبالتعذيب فقط .

بالاحتصار فإن حيروودو هو أحسن كاتب مسرح فى القرن العشرين ، إذ أردت أن تسمع المسرحية . فهو صاحب أجل حوار ، وأدكى عبارة وهو شديد السحرية . وهو مشغول بأصالة عن الدنيا . لأن للأبطال دينا حصة ولأن هم مثلاً عليا . وأنهم حريصون على بلوغ مثلهم العليا وهذه محاولة المستمرة من أبطال مسرحيات حيروودو تجعلنا نشعر بأن لمؤلف براحم أبطاله فى الوصول إلى الكمال

ولكن حيروودو الذى توفى مسموماً يوم ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ يوم تحرير فرنسا . عندما تحرر المسرح الفرنسى وانبعث فأول عمل قام به رحا المسرح الفرنسى هو أنهم وضعوا السم مره أخرى فى مسرحيات حيروودو فأسىء تفسيرها وفهمها .

ودخل جيرودو التاريخ القديم على أنه من أعر أساء العصر الحديث الدين قاوموا الاحتلال الألماني ، وحكومة المتعاونين مع النازية .

وإذا كانت المسرحيات الوحودية والمزجيات اللامعقولة ، قد نقلت جيرودو إلى الظل ، فلا ظل إلا وتجيء من بعده الصياء ، فكما أن اشتاء والصيف حقيقة ، فكذلك الضوء والظلال حقيقة موسمية .

واسرح الفرنسي - والعالمي أيضاً - أحوج إلى جيرودو الذي يخدم الكلمة ، وصاحب الأسلوب . والقصا هو أسلوبه ومهمة القصا هي أن يجد أسلوب العصر عندما يجد أسلوبه .

وجيرودو هو أحسن نموذج لأشرف هدف . وهو أن يجد القصا أسلوبه وأن يكون الأسلوب هو شاهد العصر لأن القصا هو المتحدث بلسان العصر وإن الإنسانية لا تظهر إلا به وإلا عن طريقه . وأن الإنسان هو الخاطئ لدى يعرف ، وهو القسيس الذي يستمع إلى الاعتراف . . وأن صدى صوت الإنسانية وهي تعترف لأقوى من صوتها هي . لأن المر أقوى وأجمل وأصدق وأبقى من الحياة نفسها ولذلك فشخص جيرودو هو الذي مات مسموماً ! .



كلمة في الماضي

كان

يجب أن نحل اسمها «الأم» أو «كل أم» أو «الأمومة» لأنها تتناول الأم من كل جوانبها فهي تقول لنا أن الأمومة وظيفة كما أن الأبصار وظيفة كما أن الأبصار وظيفة . والسمع وظيفة . وعضو الإبصار هو العين وعضو السمع هو الأذن وعضو الأمومة هو الالاس . وتنقى الوظيفة ما بقى العصور . ولذلك نرى الأم في هذه المسرحية نحرص على أن نطرح فيها طفلاً في حجرها ، في حضنها ، لا يكر ولا يفصل عنها ، ولا يفارقها فهي لا تشعر بأن عضلاته قد قويت ، وأن صوته قد أصبح عيظاً . وأن شاربه قد ست وأن من حقه أن يختار فتاة أخرى بدلاً من لأم . إنها لا تستطيع أن تتصور أبداً أن مهمتها قد انتهت . وأن مهمة امرأة أخرى قد بدأت .

هذه الأم لها ولدان اسما الأكبر وهو الأهم قد اختار زوجه بعيداً عن الأم . بعيداً عنها بثلاثة آلاف كيلو متر والاس الأصغر قد اختار حظية والأم لا تهدأ ولا تسكن أن جلأها عن بيتها سيقع ومن الذي سيحبو ؟ إيهما ولداها اللذان عشت لهما وبهما ومعهما منذ ٣٠ عاماً . ولكن المهم عند الأم هو اسما الأكبر . أما الأصغر فهو عالة عليه وعليها وعلى حبها . كل ما للاس الأصغر من قيمة أنه «بديل» عن الابن الأكبر . إنه «بديل فائد» ولكن لا قيمة له إطلاقاً

والمؤلف يارح في تصوير حالات الأم بين العقل والحنون ، بين الصحة وإدعاء المرض أن الأم تتظاهر بمرض القلب وهي لبست مريضة لكي تثير شفقة الأخوين عيها وهي تسعى بالدرس بين الزوج وروجه وبين الخطيبين لكي يبقى لها ولداها

ولا تكاد تسمع أن زوجة ابنها تنتظر حادثاً سعيداً حتى يغمى عليها . ويزل الستار وكأنه كفن يخفى وراءه امرأة تموت .

إنها تكره الحاضر والمستقبل معاً . إنها لا تعرف إلا الماضي يعيش به ويعيش معه . . إنها تحتفظ بغرفة ابنها الأكبر التي كان ينام فيها وهو طفل وهو شاب لم تتغير . إنها تريد أن ترده إلى الماضي ، كما كان وكما كانت . أن الماضي يشبه أحذية أبناء الصين . إنها أحذية حديدية صغيرة توضع فيها الأقدام لتظل صغيرة دائماً ولكن الأم تريد أن تصع الأقدام الكبيرة في أحذية صغيرة . ويتممل الابن الأكبر والابن الأصغر والزوجة والخطيبة .

أم الروحة التي ثارت على الأم ، ثارت على الأمومة التي تشبه الاستعمار وأعلت أن ابنها من حقه أن يستقل ، من حقه أن يقرر مصيره . فلم يعد يحتاج إلى وصاية الأم .

ولكن الأم نزل تشبث بوظيفتها .

أما الروحة والخطيبة فكل منها بصر على أن تسحب المقعد من تحت الأم ، والولدين من حضنها . والأم تجدد نفسها بلا وظيفة تجد نفسها قد فصلت من عملها الذي استغرق ٣٠ عاماً ، دون سابق إبدار ودون تسوية لمعاشها

وتهرب الخطيبة من البيت ، من الأم . . والروحة بقرر الهرب من البيت أيضاً . أن الأم لا تستطيع أن تنصور أن الأمومة كالنظام الملكي ، وطبعة وراثية ، وأن الزواج كالنظم الجمهوري يحىء بالانتخاب وأن الأطفال كالذول ، يحكمها الملوك وهي صغيرة فإذا كبرت يحكمها رؤساء الجمهوريات ولكن هذه الأم تستميت على العرش !

وسهى المسرحية كما انتهت مسرحية «بيت الدمى» للكاتب الرويجي ايسن . بأن تهرب «نورا» من البيت وتعلق الباب في وجه زوجها والجمهور وكل القرن التاسع عشر . . وكذلك هذه المسرحية يخرج الزوج ليلحق بزوجه ويتعاقان ويبقى الابن الأصغر بحوار أمه وعلى حجرها . وهذا ينقطع الرباط . وهو فضى لأنه دام ٢٥ عاماً بعد وفاة الزوج !

ومؤلف هذه المسرحية هو سيدنى هورد (١٨٩١ - ١٩٣٩) الذى استطاع أن يرحف بالمسرح الأمريكى من التقليدية إلى العصر الحديث

ومسرحيته هذه هى محاولة لتفسير معنى الامتلاك عند الأم . . وهو يرى أن الأم كثيراً ما تشعر أن ابنها هو عصب من أعضاء جسمها . قطعة حية منها وفى نفس الوقت يجب ألا يفصل عنها ولذلك لا ترى أنها قد تصبح أبداً . لأن الصبح الإنسانى معناه الاستقلال فى الدار وفى الحياة . والصبح يشبه صبح الثمار . فإذا نضجت اشجرة فإنها تسقط على الأرض . والأم ترى أن المضرج سقوط ورذيلة . ولذلك تريد أن يبقى بنها بعيداً عن السقوط بعيداً عن الرذيلة وعن الرجولة أيضاً !

فالأم هنا طاغية مستبلة من وجهة نظرها . . ولكنها ترى أن الأمومة هى نوع من السيطرة «العضوية» . كسيطرة الإنسان على ذراعيه وساقيه وهذا يدل على أن الأم أيضاً لم تنضج ولا تريد . .



بابل هي التي هبطت

إن

راعية غنم قالت لأقوى ملك في العالم : لا !
انتهت القصة القديمة التي جاءت في الكتاب لمقدس تحت عنوان
«نشيد الإنشاد» ..

والملك العظيم اسمه سليمان !
والفتاة البسيطة اسمها : شالوميث !
إنها ساذجة . ولكنها قوية .

وهي ساذجة لأنها لم تعرف من الذي قالت له : لا ..
وهي قوية لأنها استطاعت بلا تفكير أن تحول رجلاً قوياً إلى إنسان ضعيف
عندما أعطت جسمها للعرش ، واحتفظت بقلها لإنسان أحرأضعف منها . فهي
أعطت الملك بالصطمة لا يريد . فملك لا يقتنع بما دون الجسم والقلب والعقل !
وشالوميث هذه هي أول فتاة في التاريخ تعرف أنها حولت ملكاً إلى شحاذ ، أول
فتاة جعلت من كلمة : لا . حيثاً وعرشاً وتاريخاً لكل فتاة بعد ذلك . وأمثلاً لكل
فتاة في كل العصور !

فشالوميث الراحية ليست ضعيفة جداً ..
وسليمان الملك ليس قوياً جداً .

وفي داخل هذه الراحية صاقة هائلة . إنها درة تافهة بالنقاس إلى سليمان .
ولكن هذه الذرة في داخلها طاقة كرامة مدمرة !

إن كلمه : لا .. من شالوميث معها إلعاء لكل الحروف الهجائية التي كتبت
بها قوانين بمكة سليمان إن كلمة لا هي إلعاء لعممة الذهب والمصمة والورق التي
يتعامل بها سليمان وشعب سليمان .

ولكن ما أكثر ما نقول : لا ..

وما أقل ما نقولها أيضاً !

وكانت شالوميث من الأقلية النادرة في التاريخ إن «شيد الإشاد» الذي
سب إلى الملك سليمان بعد وفاته بأحد عشر قرناً قد حار رجال الدين في
تفسيره لعرايته .

فقالوا : إن شيد الإشاد بعاطفته الرقيقة العيفة ليس إلا «غزلاً» من الله في
شعبه .. وليس إلا غزلاً وعزماً من المسيح في الكنيسة .

ولهذا التفسير «المرمرى» فقط أصبح «شيد الإشاد» سحراً من أسفار
الكتاب المقدس !

ولكن الحقيقة أن «شيد الإشاد» ليس إلا أعين عاطفية حنسية صارحة ..
وليس إلا أعاني الأفراح الشعبية . وليس إلا تحيداً للحب . حب فتاة لخطيبها
لراعى . وليس إلا احتقاراً للمال والسلطان . فهذه الفتاة «شالوميث» قد استولى
عليها الملك سليمان وأدخلها قصره وأجلسها على عرشه . وجعل الأرض من تحتها
حريراً ، ومن حولها حريراً . ولكن الفتاة لم تنس لأرض القاحلة ولم تنس العطش
والعرق . ولم تنس الأغنام لم تنس حبسها الفقير لمسكين ، الأسود الذي لوحته
الشمس . لم تنس حبسها لم تنس حبسها بل إن سليمان أرعمها على أن يفكر
في حبسها . فالحب ملجأ المطومين . وقلعة المسكين !
هذه هي قصة شالوميث القديمة ..

وهنا في الأدب العربي قصة ليسون من قبيلة جدل الكنيسة المسيحية وهي
روحة معاوية وأم يزيد .. وقد دهت مسون مع اسها في السادية . ثم عادت إلى
المدينة . ولكن حب السادية والحرية . لم يعب عن وحدانها وقد سمعها روحها
معاوية بن أسى سفيان تقول هذه الأبيات .

لبست تخفق الأرواح فيه
 أحب إلى من قصر منيف
 وكلب ينبع الطراق عنى
 أحب إلى من قط أليف
 ولبس عساء ونقر عيني
 أحب إلى من لبس الشفوف
 وأكل كبيرة فى كسر بيتى
 أحب إلى من أكل الرغيف
 وأصوات الرياح بكل فج
 أحب إلى من نقر الدفوف
 خشونة عشتى فى البدو أشهى
 إلى نفسى من العيش الطريف
 فما أبغى سوى وطنى بديلاً
 وحسبى ذاك من وطن شريف

وما وطنها هد إلا البادية . إلا حريتها فى البادية فالحرية تجعل الرمل ذهباً ،
 وكسرة الرغيف رغيماً ، وتعمل الرياح موسيقى . . . وتعمل الحيش حريراً . ولذلك
 قال للمدينة لا . وعادقت البادية . بكلاهما وجوعها ودموعها .
 ثم اقتربت منها معاوية وقاد لها . كنت فست أى كانت روحه له أصبحت
 طالقاً فردب عليه بقولها : والله ما سعدت عندما كنا ، ولا حزننا عندما بنا . أى لم
 تكن سعيدة برواحها ولا هى حرة لطلاقها !

ومسرحية (هبط الملاك فى نابل) لندير ماب ، هى معالجة جديدة عميقة عمية
 لهذا المعنى .

فعلى هذه المسرحية محد رحلاً شجاعاً ، رقص أن يلتحق بأية وظيفة أخرى ،
 فالدولة لتي يعيش فيها قررت القضاء على التسول . ولكنه أصر أن يبقى متسولاً
 وكان هذا الشجاع يعيش فى عصر الملث البالى بحتصر . وأصر الملث على أن
 يقصى على التسول . .

وأصر الشحاذ على أن يقف في وجه الملك . ووقفه في وجه الملك معناه . أن هذا الملك ليس ملكاً مطلقاً . وإنما هو ملك إلا قليلاً . أن هناك أساساً ومساحات في الأرض لا يسقط عليها ظله !

أرسل الملك لهذا الشحاذ أساساً كثيرين . وعادوا كم ذهبوا عاشرين أمام شحاذ رفض أن يكون شيئاً آخر .

يرتدى الملك ملابس الشحاذ وذهب ليقبضه . ولم يفلح الملك في قناع الشحاذ . دخل الملك في مسابقة مع الشحاذ على أيهما أفدر على الشحادة . وأسفرت النتيجة عن فوز الشحاذ الحقيقي وليس الشحاذ الملك . فكأن هذه المباراة قد أثبتت أن الشحاذ الحقيقي هو ملك في دينا الشحادة . أما الملك فهو شحاذ في مملكة الشحاذين !

وانتصر في النهاية ..

فهو شحاذ استطاع أن يقول للملك : لا ..

وفي هذه المسرحية مرة أخرى فتاة بعثت بها السماء مع أحد الملائكة لتكون هدية لأفقر إنسان في العالم .

وقد رل الملاك في نفس اللحظة التي تحرى فيها المباراة بين الشحاذ الحقيقي والشحاذ لملك . وأمام الملاك ظهر الشحاذ الملك هو أفقر الشحاذين وأعجزهم عن كسب القوت . ومعنى ذلك أن هذه الفتاة من نصيب أفقر الشحاذين .

أي من نصيب الملك !

وعندما اكتشفت الفتاة أن لملك هو الشحاذ نفسه لم تصدق عينيها . فقد كانت أحبت هذا الشحاذ الملك . ثم طلست إليه أن يترك العرش وأن يعود إلى الشحادة في الشوارع معها . ورفض الملك أن يكون شحاذاً . ورفضت الفتاة أن تكون ملكة . حاول الملك إقناعها . فعجز ، فحاول رجال الدين . كلهم عجزوا . فالفتاة أحبت شحاذاً ولا تريد ملكاً .

ورفض الملك أن يضحى بالعرش من أجلها .

وكاست كل مدينة بابل قد عرضت على الفتاة أن تتزوجها : أغنياؤها وتجارها وجنودها وشعراؤها .

ولكن الفتاة رفضت . وعرضهم الملك عليها ، وطلب إليهم أن يتنازلوا عن ثرواتهم من أجلها . لأنها أحبت شحادا ولا تريد إلا شحادا .

ورفض الناس جميعاً ورفضت الفتاة !!

وأمام إصرار الفتاة لم يجد الملك والشعب حلاً إلا طرد الفتاة من بابل . إلا رفض هدية السماء .

وخرجت الفتاة من بابل . فقد رفضت بابل فرصتها بابل . لأنها رفضت عرش بابل من أجل شحاذ أحبته !

فقد كان ظهور هذه الفتاة في بابل تحقيراً للشأن بابل كلها حكومة وشعباً وقوانين وأخلاقاً .

ولكن حرص الناس على ما عندهم من مال ودين وحرص الناس على راحتهم وعلى دنياهم ، جعلهم يطردون بت السماء !

ودستونفسكى في رواية «الإخوة كراماروف» الجزء الأول قد تناول هذا المعنى بصورة جميلة .

فوجد الفنى اليوشا يروى كيف أنه يفكر في قصيدة طويلة لا يعرف منها إلا مصمومها الآن أما مصموم القصيدة فهو أن «محاكم التفتيش» قد أعدمت مئات الناس في مدينة أشيلية بأسبانيا . وعلى رأس هذه المحاكم أحد الكرادلة ، وهو شخصية رهيبة مخيفة ، لأنه قادر على أن يقتل ، باسم الدين ، أى إنسان . . . إلا أن أهل المدينة فوجئوا بظهور المسيح نفسه وتأكدوا من أنه هو المسيح : ملامحه والصو الذى شع منه والمعجزات التى حققها . فقد أتوا إليه سعش به طفل وانحنى كل الرؤوس وظهر الكاردينال ورأى المسيح ولناس وصاعت هيبة الكاردينال واحتفى مظهر رجل الدين ولم ير الناس فى الكاردينال إلا قاتلاً سمحاً . واقترب المسيح من الكاردينال . أى اقترب المسيح والمسيحى . اقترب الدين والمحاكم باسم الدين .

وألقى الكاردينال نفسه بأن استدرج المسيح إلى السحر وسجن المسيح وراح الكاردينال يتحدث عن الدين ورجال الدين وعذاب رجال الدين فى الدفاع عن

المسيحية . وتحدث إلى المسيح ، الذى لم يطق بكلمة واحدة ، عن الصعوبات التى يخلقها بوحوده فى هذه المدينة . فقد أصبحت اليوم مختلفة عما كانت عليه يوم ظهوره وباحتصار ' أن تعاليم المسيح نفسه تعتر مخالفة للمسححة . ' و عبارة أخرى : أن المسيح نفسه ليس مسيحياً !

ومعنى ذلك أنه من الأفصل للمسيح نفسه أن يترك مدينة أشبيلية ، بدلاً من أن يحاكم بتهمة الكفر بالديانة المسيحية !

ولم ينطق المسيح بكلمة واحدة . وإنما قبل الكاردينال فى فمه وخرج المسيح من السجن !

ومعنى ذلك أن الأرض قد رفقت السماء . أن الأرض قد أغمضت عينيها وقلها على نور السماء . لأن نور السماء يحررها . لأن نور السماء يفصحها . ومعنى ذلك أن الأرض فضلت أن تنطوى على عارها وألا تكشفه حتى لو كان ذلك أمام السماء ! إنها أيضاً قصة الإنسان الذى قال لسماء لا . إنها أيضاً مرة أخرى قوة أن يقول الإنسان : لا . .

وفى استطاعته أن يقوها . .

وقالها . . وقالها كثيراً . وحتى هذا الكثير ليس أكثر من اللارم !

فكان الإنسان فى حالة دفاعه عن نفسه من الممكن أن يرتكب أية جريمة وارتكبها الكاردينال ، فى مشروع قصيدة البوشا كرماروف ، جريمة كبرى وهى أن يعيش ظالماً بأى ثمن وأن يبقى بأية تصحيه . فمن أجل بهائه هو ، لا بهاء لغيره أيا كان هذا الغير !

إذن : لا . . للسماء مرة أخرى !

وفى قصة لجون شتينسك اسمها «اللؤلؤة» نحد أن أحد فقرء الصيادين قد عثر على لؤلؤة ضخمة نادرة وعرفت القرية كلها أن هذا الصياد قد عثر على لؤلؤة كبيرة أى على كنز . إذن سوف يكون هذا الصياد غنياً ، لن يكون صياداً بعد اليوم . وربما كانت له مراكب صيد . وربما تحول أهل القرية جميعاً إلى عمال عنده . إن عثوره على هذه اللؤلؤة قد جعلهم فقراء وحعله هو غنياً . إن هذه اللؤلؤة قد مرقت القرية . حلقت

فيها طقتين هذا الصياد طقة كاملة والناس كلهم طبة أخرى . وهو وحده
يستحق أن يحقد عليه الناس وأن يكرهوه إنه غنى وقد فاحاً القرية كلها بشروته .
لقد خدعهم . وتولى الحظ وحده أن يجعل هذا الرجل كأنه حائز للطقة الكادحة .
وكان لابد أن يغتالوه . وحاولوا .

وتحول الصياد من صاحب لؤلؤة إلى حارس عليها . تحول إلى نواب يجلس أمام
باب عمارة . إنه لا يسكنها ولكنه يحرسها فقط .

ولكى يقدر ما تبقى من أولاده وبيته ، ذهب إلى السوق يبيع هذه اللؤلؤة وعرفت
كل القرية . وتخيلوا مظهره عائداً ومعه الفلوس .

ودهب إلى السوق وعرض اللؤلؤة على كل التجار . لقد ابهروا بها ولكمهم رفضوا
شراءها . لأنها لؤلؤة ضخمة عالية الثمن . ويصعب أن يحدوا بها زبواً

وتقل الصياد من نائع إلى نائع . ولكمهم حميماً أعجبوا بها . واعتدروا عن شرائها
وعاد الصياد إلى بيته وكأن اللؤلؤة ليست إلا قطعة حجر تافهه إنها لا تساوى
وزنها تراباً . .

وبعض الناس عرف أن الصياد لم يبع اللؤلؤة . . وبعضهم لم يعرف هذه الحقيقة .
وهذا لبعض الآخر حاء يسرقها أو يسرق ثمنها وفي اللحظة التي جاء الناس
يسرقونها . كان الصياد في طريقه إلى البحر . ليتخلص من اللؤلؤة .

وألقاها في البحر ، ، ألقى هذه « التهمة » بأنه غنى . . بأنه لص سرق أموال
الناس . . أنه خدعهم . . بأنه عاقلهم وتحول إلى غنى دون سابق إندار .

إنه هو الآخر رد هدية السماء إلى البحر . .

إن السماء قد أرسلت له هدية لا تقدر بمال .

وأرسلت مع هذه الهدية الخوف عليها . . والخوف منها .

وقد ألقاها الصياد في البحر ، دفاعاً عن نفسه وزوجته وأولاده .



إنها نفس اللؤلؤة . . إنه نفس الشعب . نفس الوضع العريب . عندما يحد
الإنسان نفسه في خطر . .

ولذلك يجد سلامته الوحيدة هي أن يقول : لا ..

ويقولها . وهنا فقط تكتب له النجاة من الهوان .. من القضيحة من الموت . فما أكثر ما تقول لا ..

وما أقل ما تقولها أيضاً

إنها إذن كلمتنا القوية التي تكشف أمامنا ضعفاً عاماً لأخلاقيت الآخرين .

وهذه المعاني والسمة الحزينة الساخرة أيضاً يعرضها ديرنمات من حديد في روايته الأخيرة التي عنوانها «يودنى يتروح يودانية» فهذه الرواية تحكي لنا قصة أو أسطورة رجل يوداني نعل في الصحف عن حاحه إلى روحة ونظهر الروحة جميلة جداً . أكثر مما كان يتصور .

وفحاة تتعير أوصع الدسا التي يعيش فيها بطل الرواية واسمه أرجليو حوس فالناس يتهافتون على إرصائه من أجل عيون الروحة . ويرتقى البطل من موظف عادي إلى موظف كسر . إلى شخصية مهمة جداً . نستحق كل بياشين الهبئات الاجتماعية والكنائس ..

ولكنه فحاة يكتشف أن روحه كانت وما تزال عشيقة لكل الديس رفعوه إلى أعلى السلم ..

وهنا ينهار عالم البطل وفي نفس الوقت تنهار أخلاقيات الموظفين أو الأخلاقيات الرسمية .

تماماً كما ترى هذا الانهيار والهبوط والاضحاً في بلاط الملك في مسرحية «هص ملاك في بابل»

وقد أنسر ديرنمات أيضاً مسرحية قاسية في مسرحية «رومولوس العظيم» إلى ما أصاب رجال الحاشية من انهيار على أثر هزائم حوش الإمبراطور في شمال إيطاليا فهرب الورراء ولصايط وهربت لروحة ونقى هو وحده شاهداً على انحلال الدولة وبقي وحده طبيباً يدعى حثة المريض لدى لا علاج له أي الدولة

وفي مسرحية «ريارة السيدة العجوز» استطاع ديرنمات أن يعري لنا الناس جميعاً فقد جعلهم يلمعون ويزفون في ضوء الذهب . إنهم في حاجة إلى مال

وحاجتهم إلى المال جعلتهم يسيعون كرامتهم جعلتهم يعيدون قانوناً كانوا قد عاشوا تاريخهم كله من أجل إلغائه وهو قانون حكم الإعدام ولكن بالفلوس أعيد القانون وبالفلوس طفقوا القانون على مواطن لا يعرفون ما ذنبه بوضوح .

وعندما راح أهل المدينة يحفرون لمحكوم عليه بالإعدام ، نسوا أنهم يحفرون قبراً للأخلاق المدينة . . قبراً للأخلاقيات الرسمية .

ولم تشأ بطللة مسرحية «ربارة السيدة العجوز» أن تطبق قانون الإعدام على الرجل وربما عفت عنه في آخر لحظة ، واستراح الناس ولكن الناس لم يتبهبوا إلى أنها أنقذت رجلاً واحداً ولكنها شقت أهل المدينة كلها في حبال السفالة والذلة

وفي مسرحية «هبط الملائكة . .» كان لابد أن يبقى الناس على سفالتهم ولذلك يجب أن تعود الفتاة التي بعثت بها السماء إلى العدم . . وإلى المجهول . . المهم ألا تكون !

وفي مسرحية «الشهاب» لديرعات أيضاً وهي أحدث مسرحياته وحدها بطلها أديباً كبيراً حائزاً على جائزة نوبل

وبعد أن أعلنت الصحف والإذاعة أنه مات ، قم من الموت . ليموت الناس حوله من الخوف والعار والجهل . .
فالتبيب الذي أعلن وفاته ، أغرقه العار .

ورحل الدين الدين صلوا من أحله ، أعرقهم المعاناة والمعصرة .
وانته الذي ورث كل ثروته ومؤلفاته بدرس قوانين الوراثة ، ويفاحاً بأن والده قد أحرق كل شيء . . فيموت الابن من الصدمة .

وعندما فوحى الناس جميعاً بأن الأديب الذي مات قد بعث حي ، انزعجوا في موته . حياة لهم . وكرامة لهم أما عودته إلى الحياة فهي الممر الوحيد لأن يعيشوا كالموتى . لأن يعيشوا في أكفان الهوان والعار !
أن وحداً فقط استطاع أن يعدم عالماً ، أن يهلك دس .

وهذا المعنى يتكرر كثيراً في مسرحيات وروايات ديرعات . فهو مفتون بهذه اللحظة التي تتحول فيها كل شيء إلى شيء ضعيف . . أولى لا شيء . . والسبب

هو وجود شيء قوى ووجود حقيقة صلبة . هذه الحقيقة تنبت من الأرض و تهبط
من السماء . لو هى ضمير الناس ..

وهذا الموقف الجمالى والأخلاقى الذى ظهر فى مسرحية «هبط الملاك فى بابل»
قد تناولها الأديب لهرنسى «جان خيرودو» فى مسرحية ترجمتها أب بعنوان «من
أجل سواد عينيها» . وعنوانها الأصلى هو «من أجل كريسيا» ولوكريسيا هذه سيدة
فاضلة فى مدينة متحلة فوجود هذه السيدة فى المدينة قد حول كل الزوجات إلى
حائثات ، وكل الأزواج إلى معقلين إن وجودها فى المدينة يجعل العار والفضيحة
هى الهواء المسموم الذى يعيش فيه المدينة ولذلك لابد من التخلص منها . لأنها
عبء على ضمير الرجال ، وعبء على شرور النساء . وفى مسرحية خيرودو هذه
يحد أن لوكريسيا هى زوجة أحد القضاة . وهى وحدها التى تعرف أسرار كل النساء
وكل الرجال فكل الناس أمامها عرة مفضوحون . وإرادت المدينة أن تستريح من
نظرات امرأة التى تعرف كل شيء فاستدرحوها إلى الرذيلة ، إلى الفضيحة .
ليتساوى الجميع . فلا يجرؤ أحد أن ينظر إلى أحد . فالكمل فى الهوان والشر
والرذيلة سواء ..

ولكن الفتاة «كوروى» فى مسرحية «هبط الملاك فى بابل» تحب شيئاً لا وجود
له ، وتحب إنساناً وسيماً ولذلك صاقت بها المدينة وصاقت بها الملك والشعب
ورجال السيسة والدين ورؤواها مصدر تعاسة الدنيا فطردوها من البلاد ..
وألقوا بها فى الصحراء ..

إن الأرض قد رفضت هدية السماء !

فالملاك عندما نزل فى بابل ، هبطت ناس نفسها .. انحطت أحست
بسفالتها .. أحسست بهوانها .. ونفاقها ..

لأن الملاك عندما هبط إلى ناس ، أشاع النور والصدق ، فكشف كذب الناس
وضعفهم وغرور الملك ورجال الدين ..

فليس الملك هو الذى هبط وإنما ناس هى التى هبطت إلى ما تحت أقدام
الإنسانية .. هبطت .. برجاً وملكاً وشعباً !



رجل لكل المناكبات

من بطل هذه المسرحية أن يدوس بعقله قوايين العقل . وأن يلغى
مضطوب بضميره المستريح قوانين الضمير . .

وأن يعيش بعد ذلك كرجل متين - كريماً بين المؤمنين . وملك يرضى الملك تاجه ،
ويستقر على عرشه ، ويعرج بوريثه . . وأن تنهار بعد ذلك قداسة القاتكان من روم .

بطل مسرحية «رجل لكل المناكبات» - للكاتب روبرت بولت هو الفيلسوف
المتدين سيرتوماس مور . . (١٤٧٨ - ١٥٣٥) . .

وهو رجل اجتماعي . حريص على العلاقات الاجتماعية . فهو محام وهو
صديق . وهو زوج مخلص . وأب عطوف . وسيد متواضع .

وهو رجل متدين ، يؤمن بأن الكاثوليكية هي دين الكنيسة السليم وأن البابا
يقف في الملأ الأعلى بين السماء والأرض . وبه هو طر الله يمشي بين الناس

ويرى أيضاً أن المجتمع الحقيقي هو الذي تسوده تعاليم الكنيسة

ولذلك فالمجتمع هو المجتمع الديني .

وهو رجل مثالي حالم . يتصنع إلى عالم أفضل تسود فيه العدالة وحرية بين
الناس فكيب قصة «المدينة الفاضلة» وجعل هذه المدينة في إحدى حرر المحيط

لأطلسي . وفي هذه الحرية وحده عدد قليل من الناس . وتوحد مدن على مسافات
متساوية . وفي هذه المدن يملك الناس كل وسائل الإنتاج فلا أحد يملك شيئاً لأن

الملكية هي أساس الشرور من الناس وكل الناس فيها يعملون بقدر ما يحتاجون
فإد ، أنتحوا أكثر من حاجتهم وحب أن يقللوا ساعات لعمل .

وكان أبوه حريصاً على أن يجعله محامياً مثله . ولكنه توجه في سن مبكرة إلى دراسة اللاهوت والأديان ودراسة الفلسفة الشائعة في عصره . وكان على صلة بكل الشخصيات المهمة في رومه . فقد كان يتردد عليه المفكر الديسي أراموس . وهو الذى أهدى إليه كتاباً بعنوان «فى مدح الحماقه» وهذا الرجل هاجم كل صور الانحلال والنفاق فى عصره .

ولا شك أن توماس مور قد تأثر بأرازموس . كما تأثر أرازموس به أيضاً فكلاهما عفيف وكلاهما شديد السخرية وكلاهما يحلم بعالم أفضل

وفى سن مبكرة إشتغل توماس بالسياسة ، واختير عضواً فى البرلمان وأول موقف عفيف اتخذه أنه اعترض على فرص الضرائب الجديدة وثار عليه الملك وحبيه وحسن والده . ولم يفرج عنه إلا بكفالة كبيرة . ولم ينس له الملك هذا الموقف

ولما جاء هنرى الثامن اتحدث الأوضاع السياسية والدينية والأخلاقية شكلاً غريباً مثيراً .

فهذا الملك تزوج أرملة أخيه ..

وهو يتنافى مع تعاليم الكاثوليكية . ولكن البابا فى روما وحد مخرجاً من تعاليم الكنيسة ، فهذه الأرملة أسماية . وكانت قوات الأسبان تحتل روما . وأصدر البابا مرسوماً شرعية رواج الملك من أرملة أخيه وأصبحت هذه الأرملة ملكة بعد ذلك .

ولكن هذه الملكة لم تنجب أطفالاً ذكوراً ...

وأحسن الملك بخطورة موقفه . وبأن العرش سوف يكون من نصيب ورثته . وكانت للملك علاقات نسوية كثيرة . ولكنه اتفق مع سيده أخرى اسمها آن بولين على الزواج . وكانت هذه السيدة على يمين من أنها ستحب له طفلاً ذكراً؟! ومطلوب من البابا فى روما أن يعلن مرة أخرى أن رواج الملك من أرملة أخيه ليس شرعياً وأن يطلقها . وأكثر من ذلك أن يوافق البابا على زواجه من هذه السيدة .

مطلوب من الساما أن يتراجع عن مرسوم أصدره وأن يصدر مرسوماً جديداً
بزواج ثان .

ومطلوب من نطل هذه المسرحية : توماس مور أن يقف إلى حوار الملك وأن
يشارك معه ، كما اشترك في إصدار كتب وبحوث دينية وفلسفية ، في مواجهة
الشعب بهذا القرار الخطير .

أما الملك فقد استعان بأخرين أكثر حراً وأكثر مرونة فتحلل الملك من سلطان
الكنيسة .

وأصدر البرلمان قرراً بأن الملك على رأس الكنيسة ، وأنه وحده الذي يعين كبير
الأساقفة . وكبير الأساقفة هو الذي يعين الأساقفة - ودون الرجوع إلى انفايكان
الفاتيكان قد ورث عرش الكنيسة في إنجلترا بلا سبب معقول فلماذا لا تستقل
الكنيسة في إنجلترا ولماذا لا يستقل بها الملك ؟

ووافق البرلمان على استقلال الكنيسة . أي وفق على عزل البابا وفصل
الكنيسة في لندن عن الكنيسة في روما .

ولكن الناس في لندن سمعوا أن لسير توماس مور لا يوافق على هذا القرار
العريب العنيف من الملك .

وسمع الملك بأن توماس مور يتناوله بالسخرية ولذلك قرر الملك أن يعرف رأى
توماس مور .

فطلب منه أن يعلن موافقته على قرار البرلمان فرفض

فطلب إليه الملك أن يعلن عن موافقه على طلاقه ورواحه للمرة الثانية فرفض .
ولما كان الملك هو رأس الكنيسة ، هو الذي يجمع بين السلطة الدينية والديوية
فمخالفته تعتبر . حيلة عظمى والحاداً في نفس الوقت .

إذن فهذا الرجل حائز لوطه . وهو كافر بدينه والعقوبة معروفة . الإعدام
ولم شك توماس مور لحظة واحدة في أنه سوف يموت ، فهو عندما رفض أن
يوافق على قرارات الملك احتار في نفس الوقت أن يموت . وهو وحده الذي احتار
هذا الموقف في مواجهة الملك ..

ولكن قبل أن يتم إعدامه فصله الملك من عمله وضع عنه المال وعرف أهله
الجوع الشديد . وعرفوا قسوة الحياة من غير هذا الأب الطيب اللطيف المؤمن . .
وأعدمه الملك . .

ومات توماس مور كما مات سقراط من قبل . . من أجل المبادئ الأخلاقية
أو من أجل المبادئ التي يؤمن بها ولا يرى أية مسوومة عليها .
فتحس في هذه المسرحية أمام طريين الملك الذي يدرس القانون ويهدره فهو
هو القانون . .

والفيلسوف المؤمن الذي يتمسك بالقانون ويراه من صبح الإنسان . ويرى أن
القانون السماوى أعلى من القوانين الوضعية . وأنه على حق ولذلك فإذا مات
فمن أجل الحق .

ومؤلف هذه المسرحية قد قدم لنا شخصية ثالثة هي شخصية «الإنسان العادى»
أو «الرجل الشارع» . أو «الرأى العام» وهذه الشخصية هي تعلق على أحداث
المسرحية . تمام كأنها أحد المنفرحين أو أحد النقاد ولكن المؤلف حرص على أن
يجعل التعقيب «من الداخل» أى من داخل المسرحية فهذا الرجل العادى يعنى
على سر الأحداث وهو عثل ، وهو شخصية فى داخل المسرحية . وليس شخصية
خارج المسرحية . تمام كما يرى فى «مسرح العث» عند يوسكو وبيكيت .
أو عند ثورتون وايلدر . وبخاصة فى مسرحية «بلدتنا» . . .

وهذا لإنسان العادى يمثل الرأى العام . أى موقف الناس فى ذلك الوقت من
أحداث هذه المسرحية ومن موقف الملك وحاشيته ، وموقف توماس مور وأسرته .
وهذا الرجل توماس مور بطل ولا شك . .

بطل ليس له مثل فى عصره . فهو عندما قدر أن يموت شوقاً ، لم يكن أمامه
مؤذح يتبعه وإنما أصبح هو بعد ذلك نموذجاً . . ولذلك جعلته الكنيسة الكاثوليكية
قديساً فى سنة ١٩٣٥ . ويوم عيده هو يوم ٩ يوليو من كل عام

صحيح أنه كان صليبا حتى انكسر . .

ولكن الحقيقة أنه انحسر ولم ينكسر . .

وإن الأرض هي التي انهارت تحت قدميه فالأرض هي التي سقطت أما هو فلم يسقط . . وإنما بقى نموذجاً عالياً لصلابة رجل آمن بأنه على حق وأن الملك أقوى منه ولكنه ليس على حق . .

ولذلك لم يعط للملك فرصة أن يفرض عليه الموت فهو الذى اختار الموت والملك أراد أن يموت خائناً لبلاده . .
فاختار أن يموت شهيداً .

والمؤلف . روبرت بولت بحوره السريع الذكى ولسانه الخاضعة وسخريته الشائكة . استطاع أن ينقر لوحة غريبة الألوان : الذهب ، والدم ، والوحل ، والنور وعندما طهر هذا الفيلم على الشاشة فى بهية العام الماصى استبعد المخرج شخصية الإنسان العادى . .

فالمتمفرح ليس فى حاجة إلى من يقول له أن هذا الملك طاغية مصلل مستبد .
فالساسة يعرفون هذه الحقيقة أكثر مما يعرفها أبطال هذه المسرحية .



شيء على قدرى

ينخطيء تلميذ فإن المدرس يطلب اليه أن يكتب عبارة واحدة مائة مرة ..

عندما

والعقوبة هنا هي أن يكرر التلميذ الجملة الواحدة مائة مرة . أن يكتبها عشر مرات وهو يفكر ، وبعد ذلك يكتبها بلا تفكير أى أنه يتحول إلى مجرد آلة تتحرك على الورق بلا وعى .

والعقوبة هنا هي الملل فنكرار العبارة الواحدة ، وعادة تكون عبارة سخيفة ، شيء يبعث الملل والقرف فكأن التلميذ يصنع لنفسه الملل . وهذه العقوبة الصغيرة تلغى العقل ، ولكنها فى نفس الوقت اختبار للنصر ، والقدرة على الاحتمال ..

والعقوبة التى يفرضها المدرس على التلميذ مرة كلما أخطأ يعانيتها أبص المواطن الحديث فى كل الدنيا .

فهو يقرأ كل يوم ويقول كل يوم نفس الجملة ، فى الصحف والإذاعة والمسرح والتليفزيون والسيما : أن الإنسان يعيش فى خطر أن العلم يوشك أن ينتهى . وليس فى وسع الإنسان أمام هذه التهديدات أن يتحرر أو يستسلم . والانتحار هو أن يشارك فى التعجيل بهذه النهاية . ولا أن يستسلم حتى تحيى النهاية ..

واشعور بنهاية لعالم شعور قديم جداً أن المخطوطات المزعومة القديمة تحدثنا عن الاحتمال فى القيم الأخلاقية ، والموارد الاجتماعية ، مما يؤكد أن المجتمع يهتار . وأن المجتمعات كلها سوف تنهار . ومن ورائها العالم كله .

والمخطوطات التي عثروا عليها في الأردن والمعروفة باسم «أوراق البحر الميت» تؤكد لنا أن العالم في طريقه إلى النهاية ، وأن هذه النهاية وصحة في لفساد الأخلاقي والاجتماعي .

ولعلت الإنسانية درجات عالية من الشعور بالنهاية في القرن التاسع عشر . فهي هذا القرن ، تحررت الأفكار وتطورت أدوات الحياة . وكان الشعور بالنهاية معناه نهضة الأوضاع المالية وبداية مجتمع أحسن وأكثر عدلاً لكل الناس

وجاءت الحرب العالمية الأولى فأصافت النور الأسود إلى روح العصر وشعر الإنسان باليأس أمام عقله ، وأمام برعانه الشريرة . وتأكد الإنسان أنه فعلاً حيوان ناطق . وأن أعماله ناطقة بحيوانيته . .

أما فترة ما بين الحربين ، فهي فترة الجروح الدامية في قلب الإنسانية . وظهر كتاب «الحلال العرب» للفيلسوف أورفالد اشينحطر يؤكد أن الإنسان واقف أمام نهيبه . أمام محيط واسع اسمه : الانهيار والعدم . وأن هذا الشعور بالانهيار ، لم يجعل الناس يتماسكون وإنما جعلهم يفتككون . ويطوون كل منهم على همومه الخاصة . وليست نهاية لكل الناس !

وعادت العبارات تتكرر أمام عيوب الناس وفي آذانهم . . نفس العبارات بكل اللغات وفي كل ساعات الليل والنهار . عبارات وحدة من الشرق والغرب - الحرية والمسئولية والمساواة والعدل والسلام والإنسان والإنسانية

وتربح العقل الإنساني بين اليمين واليسار ، واهتر الإنسان ولم يتحرك . ولكن الإنسان شعر بعزلة شديدة . .

فعلى الرغم من أننا نعيش في عصر الجماهير إلا أن هذه الجماهير مهم نقارب فهي متباعدة أيضاً واحساس الإنسان بأنه «مع» الناس لا يدل على أنه «موجود» معهم . . وإنما فقط مجاور لهم في المكان . .

ولكن لا بد أن يكون محاوراً لهم ولا بد أن يحرص على هذا الجوار وهذا التجاور مشروط فلكي يعيش الإنسان مع الآخرين ، عليه أن يلتزم بقود الآخرين وأن ينشأه مع الآخرين وأن يدمج معهم . وأن يختلف عن حقيقة ليكون مريحاً لهم ومستريحاً معهم .

والمخطوطات التي عثروا عليها في الأردن والمعروفة باسم «أوراق البحر الميت» تؤكد لنا أن العالم في طريقه إلى النهاية ، وأن هذه النهاية وصحة في لفساد الأخلاقي والاجتماعي .

ولعلت الإنسانية درجات عالية من الشعور بالنهاية في القرن التاسع عشر . فهي هذا القرن ، تحررت الأفكار وتطورت أدوات الحياة . وكان الشعور بالنهاية معناه نهضة الأوضاع المالية وبداية مجتمع أحسن وأكثر عدلاً لكل الناس

وجاءت الحرب العالمية الأولى فأصافت النور الأسود إلى روح العصر وشعر الإنسان باليأس أمام عقله ، وأمام برعانه الشريرة . وتأكد الإنسان أنه فعلاً حيوان ناطق . وأن أعماله ناطقة بحيوانيته . .

أما فترة ما بين الحربين ، فهي فترة الجروح الدامية في قلب الإنسانية . وظهر كتاب «الحلال العرب» للفيلسوف أورفالد اشينحطر يؤكد أن الإنسان واقف أمام نهيبه . أمام محيط واسع اسمه : الانهيار والعدم . وأن هذا الشعور بالانهيار ، لم يجعل الناس يتماسكون وإنما جعلهم يفتككون . ويطوون كل منهم على همومه الخاصة . وليست نهاية لكل الناس !

وعادت العبارات تتكرر أمام عيوب الناس وفي آذانهم . . نفس العبارات بكل اللغات وفي كل ساعات الليل والنهار . عبارات وحدة من الشرق والغرب - الحرية والمسئولية والمساواة والعدل والسلام والإنسان والإنسانية

وتروح العقل الإنساني بين اليمين واليسار ، واهتر الإنسان ولم يتحرك . ولكن الإنسان شعر بعزلة شديدة . .

فعلى الرغم من أننا نعيش في عصر الجماهير إلا أن هذه الجماهير مهم نقارب فهي متباعدة أيضاً واحساس الإنسان بأنه «مع» الناس لا يدل على أنه «موجود» معهم . . وإنما فقط مجاور لهم في المكان . .

ولكن لا بد أن يكون محاوراً لهم ولا بد أن يحرص على هذا الجوار وهذا التجاور مشروط فلكي يعيش الإنسان مع الآخرين ، عليه أن يلتزم بقود الآخرين وأن ينشأه مع الآخرين وأن يدمج معهم . وأن يختلف عن حقيقة ليكون مريحاً لهم ومستريحاً معهم .

وأمام هذه القوى الهائلة لتكتلات الناس شعر الإنسان بأنه ضئيل . وبأنه عاجز عن فعل شيء لنفسه بنفسه .

وعلى الرغم من أن الإنسان هو الذى صنع الكتل البشرية ، إلا أنه يخاف منها ، وإلا أنه عاجز عن الوقوف أمامها أو فى مواجهتها . فالإنسان الذى صنع هذه القوة بحافها ، وينحس أمامها . . كأنه ينحس أمام قوة إلهية

ومن أربعين سنة كتب الأدب الفرنسى هيرى دريبس فى روايته «الجحيم» على لسان بطل لا يعرف اسمه ، وليس من الضروري أن يعرف اسمه . ليست لى عبقرية ليست لى رسالة ليس لى قلب كبير لاشيء عدى . لا أساوى شيئاً ورغم كل هذا أريد تعويضا من هذه الحياة !

والعبارة بصح معناها منطقياً مع طبيعة هذا العصر عندما يؤكد هذا البطل المجهول أن عبقريته ليست إلا بالآخرين ، وأن رسالته بالآخرين ، وأن قلبه يحصى فى الآخرين . وأنه لا شيء عنده إلا الناس ، وأن التعويض الذى قد صرف له فوراً هو أن يكون ضمن الآخرين .

ولكن هذا التعويض لا يسعده لأن حصارته فادحة فهو كادى انحر لتصرف شركات التأمين بوليصة التعويض الى أولاده . .

ولكن هذا الإنسان - أى واحد - قد قرر أن يتحرر كفرد . وأن يعيش كواحد ضمن الآخرين . وهذا هو التعويض لى يقضه ليس باعتباره فرداً ، ولكن باعتباره إنساناً آخر . . أى باعتباره «آخر» من الآخرين !

وهذا الإحساس بأنه لابد أن يفقد فرديته لكى يعيش ، أصبح حتمياً . وهذا الشعور بالحتمية ، جعل الفرد يأكد من أنه لابد أن يحصى حقيقته لكى يعيش بغيرها . . أن يحصى نطاقته الشخصية ، وأن يعمل بطاقة أخرى . هو أنه موظف أو سائق أو عامل أو طبيب . هذه هى البطاقة الضرورية لكى يعيش .

وهذا الشعور واضح جداً عند سكان المدن الذين يحكمون سكان الريف والذين يفرضون على سكان الريف مودحاً واحداً للحياة . هى حياة سكان المدن . فسكان المدن كثيرون متباعدون وحريصون على هذا التباعد . .

ولذلك فمسرّح اللامعقول - أو مسرّح العث - هو تعبير منطقي عن حياة أبناء
لندن الذين لا يعرفون كيف يتفاهمون ، أو كيف يتفاهمون بلا كذب ولا تزوير .
وهم يتعاربون ويتجاورون ويكذبون . . ويرون أن هذا الكذب ضروري . إنه مثل
الأقنعة الفولادية التي يرتديها رجال المطافئ . أو الضمادع الشرية أو الذين يعملون
في السحوت الذرية . . إنها أقنعة - أكاذيب - للوقاية . .
فالصورة ليست واضحة أمامنا . .

كما أننا أصبحنا نرى أن عدم وضوح الصورة : صورتنا ومجتمعنا العالمي
ومستقبل الشرية وأمل الإنسانية . كلها لم تعد ذات معالم واضحة . فقد اختلطت
الصور والقيم والمحاولات ولم يعد الإنسان يقصد «الزمن» ، عندما يتحدث عن
العذاب الذي يعانيه المجتمع الآن . إن كان يتحدث عن عذاب مصرى . أو عذاب
قائم ، أو عذاب سوف يجيء . .

ومن الممكن أن يكتب لإنسان قصة عذبه في المصارع وفي الماصى وفي
المستقبل . وهو في جميع الحالات يقصد كل هذه الأرملة . ويجعلنا نرعى بهذا
الاختلاط في الزمان وفي المكان .

والذين شاهدوا فيلم «عام الماصى في مارييباد» وهي قصة وحوار وسياريو
لأديب الفرنسى آلان روبرت حربه ، لم يدهشوا . فهذا لحوار بين طلة لا تعرف
سمها ، وبطل لا يعرف اسمه ولا واحد منهما يعرف الآخر .

هو : الآخرون؟ من هم الآخرون! لا تهمنى كثيراً أفكارهم .

هى : أنت تعرف جيداً . .

هو : أعرف أنك لن تستمعى لأحد سواى . .

هى : إيسى استمع إليك .

هو : إذن استمعى إلى شكوى إيسى لا أستطيع أن أقوم بهذا الدور لا أستطيع
احتمال هذا الصمت ، هذه الجدران هذه الهمسات التى هى أسوأ من الصمت
وأنت تسجنيننى فى هذا .

هى : لا ترفع صوتك . أرجوك .

هو : هذه الهمسات ، إنها أسوأ من الصمت الذى تسجنيننى فيه هذه الأيام
أسوأ من الموت . فمن هنا عشى حساً إلى حب ، أنت وأنا . مثل عشرين
متجاورين تحت أرض حديقته متجمدة .

هى : أسكت !

هو : حديقة منظمة مسقة وعمراتها مواراة ، عشى خطوة خطوة ، حساً إلى
حب ، يوماً بعد يوم دون أن يرداد اقتراساً أصعاً واحداً ، ودون

هى : أسكت ! أسكت !

ثم سمع عبارات تردد أصداؤها من بعيد : عربة ! حقيقة ؟ لا أصدق هل التقى
قبل ذلك . ومن وقت طويل . لا أتذكر شيئاً رء كان ذلك فى ٢٨ . رعا فى
٢٩ غريبة . . . التقينا . . . وعشنا معا . . . وأحببتك . . . غريبة . . .

كل هذا يحرق بين رجل وامرأة . كل منهما يؤكد للآخر أنه رأى قبل ذلك .
ولكنه ليس متأكداً . وعمور النقص والوقت تندمج الاثنان فى قصة من حيالهما
أو من الواقع الذى نسيه . فلا أحد يعرف إن كان هـ الذى يحرق حقيقة
أو حلماً . حدث أو لم يحدث . أو سوف يحدث . أو أن الاثنى يكتمان ،
وأنهما اندمجا فى قصة من تأليفهما قصة ارتحلها كل منهما .

أن هذه المواصل بين ما حدث وما سوف يحدث أو ما يحدث . ليست
واضحة تماماً . . .

وقد ظهرت مسرحيات كثيرة وأفلام وروايات حديثة تخلط بين الأزمه
المختلفة . . . وتخلط بين الحقيقة والوهم . . .

ومسرحية «أمير الأراضى المور» لماكس فريش محد فيها هذا الخلط بين الحقيقه
والحلم ، بين الماضى والمستقبل . فطل هذه المسرحية أحد القصص .

ولكن لا يعرف بالضبط إن كان الذى حدث له حلم أو حقيقة . إن كان يحلم
بتغيير الدنيا أو تغيير نفسه . وإن كان هو رجلاً عاش الوف السنين . أهو رجل سوف
يعيش بعد ذلك . وإن كانت الخادمة هى حقيقة حادمة . وإن كان الذى حدث لها
بعد ذلك هو حلم حادمة ثم اتقى حلم الخادمة وحلم سيدها فى هذه المسرحية .

والقصة الطويلة التى كتبها «ماكس فريش» أيضاً بعنوان «ليكن اسمى جاستين»
أو التى يمكن أن يكون عنوانها «صلال لمرانا» أو «مرايا الصلال» هى قصة رجل أرد

أن يكون أكثر من إنسان . وأن يعيش أكثر من حياة . وأن يدخل في أكثر من
طار اجتماعي ونفسي . . وليكشف المجتمع أو يجعنه يكشف أمامه
وهذه القصة تؤكد أن الإنسان هو أكثر من شخص وأنه لا يعرف بالصبط في
هذه الأشخاص هو نفسه . .

وتؤكد أن الإنسان لكي يعرف نفسه يحب أن يكون إنساناً آخر . والمشكلة التي
سوف يعاينها أي إنسان عندما يقوم بهذه التجربة هي كيف يعود إلى نفسه أو كيف
يرتد إلى حقيقته . .

إن الأمر صعب أول الأمر ، كصعوبة عوده مستر هيد إلى دكتور حكل
ولكن مثل هايد وحكل سيكون التحول سهلاً ، وهذا التحول
السهل يجعل من الصعب على الإنسان أن يعرف متى يكون هايد ومتى يكون
جيك . . ولماذا ؟

وفي مسرحية «مشعلو السير» يناقش ماكس فريش سذاجة الإنسان وهل
صحيح أن الإنسان ساذج إلى هذه الدرجة . مثلاً ، مثلاً عندما ظهر هتلر في
ألمانيا وسنعد للحرب ووعد الناس بالسلام ، لماذا لم يتشكك أحد في نيته ؟ لماذا لم
ينظر أحد إلى حوشه ويرفض أن يستمع إلى كلماته ؟ لماذا ؟ لقد صدق الناس ما
سمعوه ، ولم يصدقوا ما رأوه ، صدقوا أنه رجل سلام ، ولم يصدقوا أنه ساذج . .

ومسرحية «مشعلو السير» تصور ساذجة أي رجل معاصر - يحشى على
بينه من الحرق دعم أن كل السموت قد حترقت بأسلونه واحد ويتهدم من بيته
أدس يؤكدون أنه أنهم مشعلو السير . ولكنه لا يصدقهم ويحاول واحد منهم أن
يؤكد له أنه من هذا النوع الغريب من الناس ، ولكنه لا يصدقهم ويحرقون بيته
ومع ذلك لا يتصور الرجل السبب الحقيقي لاحتراق بيته . إن السبب الحقيقي هو
نلاهة هذا الرجل وسذاجته

فهل الإنسان ساذج بهذه الدرجة ؟ ثم هل هو شرير إلى هذه الدرجة ؟ إن الإنسان
هو هذا الشرير الأبله ؟ هو هذا الذي يحرق الأديب نفس لصريقة ، وسوف يحرقها
عداً أو بعد غد . ورغم أنه يعرف هذه الحقيقة ، فإنه لا يحاول أن يتوقف لا يحاول
أن يستخدم الإرادة في وجه المطلق والحتمية التاريخية . .

ويؤكد «ماكس فريش» هذا المعنى في كل مسرحياته ورواياته . إن الإنسان خليط غريب من العبط والعسقرية ، من الشر والسلام ، من الفردية والحمهيرية ، وإنه يعرف هذه الحقيقة ، وإنه مع الأسف ، لا يريد أن يفعل شيئاً من أجل إنقاذ نفسه .

إدع سوف يموت بنفس الطريقة التي ماتت بها الإنسانية من أقدم العصور .
ولابد أن تكرر هذه المعاني سيصيبنا بالملل من سماعها ، والقرف من أنفسنا ولا بد أن القرف سيدفعنا إلى التعيير والتعيير سيدفعنا إلى العنف
والحرب والدمار والأغلال هي أقسى صور العنف

هل ماكس فريش متشائم ؟

أعتقد أنه كذلك ولا ألومه . . فكلنا مشائمون إلى حد كبير !

المرأة عندما تحجل تحمر شفاتها !

إننا إذن هؤلاء السذج ، وأنت أيضا هؤلاء الأشرار . .



من الأرض إلى القمر

المرأة عندما تنجبل تحمر شفاتها !

الرفاف هو «الحذرة الوحيدة» التي تشم فيها راحة الورد بنفسك !

الزواج كالطعام المسلوق . صحي ولا طعم له !

من زواج بلا حب ، يولد حب بلا زواج !

.. الخ .. الخ

هذه العبارات التي جاءت في كتبي «قلوا» . . ليست إلا نوعاً من الترتير الشائك حاولت أن أرين به جسم المرأة أو أنها حيوط من الخريف حاولت أن أشكها بدناس لامعة على حلد المرأة وحاوت أيضاً أن أجعلها فستاناً ملتصقاً . . فستاناً محرقاً .

وحاولت أن أقلد المرأة في حرصها على أن يكون فستانها حدياً ثيباً .

وسيت أن (تحريق) الفستان يوجعها ويؤلمها . . وفي اللحظة التي تصرح فيها المرأة من هذه العبارات الملتصقة بجسمها وقلها وعقلها وطبيعتها تتردد صيحات الكثير من الرجال . .

ومن الدموع والصيحات ومن الصرخات واللعنات سيجتهد الثوب الشفاف لدى يسع ولكنه لا يحرق ، وهذه لعنات تدل على رأي .

ولا أدعى أن هذا الرأي صواب . فلا يوجد رأى صواب كله . ولا يوجد رأى خطأ كله ..

ففيها الكثير من الصدق وفيها الكثير من السخرية ..

فهى ككل الثمار فيها حلاوة وفيها بذور وقشور .

هذه العبارات لا ترضى المرأة كلها . ولا تغضبها أيضاً . فليس من السهل إرضاء المرأة . وإن كان من السهل جداً إغصابها . ويكفى أن تقدم لها فستاناً عمائة حبه . وهى الفستان ثقب صغير أو قتلة واحدة قد نقت من مكانها ..

فهذه الفتنة وحدها تفسد لون الفستان وتجعل ثمنه فى بظرها ، بالملايم ونحول دوفت إلى جليطة . ولا تساوى لا أمت ولا الفستان شيئاً عند المرأة ..

والحصول على فلوس لشراء فستان يحتاج إلى مجهود .

ولكن تشويه الفستان لا يحتاج إلى أى مجهود .

وإغصاب المرأة لا يحتاج إلى مجهود . وإرضائها يحتاج إلى أكبر مجهود .

وهذه العبارات التى جاءت فى كتابى هذا صور كاريكاتورية

فيها مبالغة .. ولكن لها معنى ..

والمبالغة فى ملامح المرأة ..

وفى طبيعة العلاقة التى بينها وبين الرجل ..

فأنا أحياناً أرى المرأة بعين المرأة ..

وأحياناً أراها بعين الرجل ..

وأحياناً أغمض عيني كأنما لا أريد أن أراها ..

أو كأننى أريد أن أراها بخيالى

لأنها فى خيالى أجمل ..

ولأنها فى واقعها أقل جمالا وأقل صدقاً ..

ولأننا نعرف المرأة فى ظروف - عادة - غير طبيعية .

فهذه الظروف العبر طبيعية هي التي تجعل فهمها للمرأة غير منطقي وغير
سلم . وربما كانت الظروف الوحيدة التي تجعلنا نرى امرأة على حقيقتها هي عندما
نكون نحن على حقيقتنا .

ومن النادر أن يكون الإنسان على حقيقته ..

ولذلك من البادر أن نفهم المرأة ..

ومن النادر أن نكون على حق معها ..

ربما كانت حقيقتنا فقط عندما نغوت .

وعندما لا تكون لنا أحسام . وعندما لا نكون لأجسامنا رغبات أو شهوات

أو مخاوف أو مطالب .. أي عندما لا تحتاج إلى المرأة ..

وفي هذه الحالة فقط نقول كما قال تولستوى ، أعظم الكتاب ، وأكثرهم عداءً
وشقاء بزوجته . أنت لانعرف أية امرأة . إلا بعد أن تتأكد من أنهم أقتلوا عليك
باب قبرك بإحكام شديد ..

والمرأة تحب الصراحة - هذا رأيها ..

ولكن إذا نظرت إلى فسائيتها . تجد أن هذه الفساتين تدلّك على أنها لا تحب
الصراحة .

فالفستان قد خنق وسطها ..

والفستان هو الذي أبرز صدرها ..

وحذاؤها رفع رأسها ..

وكعب الحذاء قد أشاع الرقص في جسمها ..

والقلم الأسود خلق لها حواجب لا وجود لها .

وقلمها الأحمر ملأ بالورد خديها وشفتيها ..

فأين هي الصراحة ؟ .. بل أين المرأة نفسها وراء هذا العمل لصي .

أين تخفى حقيقتها بصور واضحة .. بصورة صريحة ..

أين تخفى صراحتها بصراحة .

وحن نطلب اليها أن تكذب فى سنها وفى ورنها وفى عواطفها ..
وهى تطلب منا أن نكذب عليها أيضاً أن نجاملها . أن مدللها . أن نقول
دائم إياها الوحيدة فى حياتنا . إياها أحمل وأرق امرأة فى العالم ..
هى تكذب .. ونحن نكذب ..
نحن صادقون فى كذبنا وكاذبون فى صدقنا .
وهذه هى حقيقة المرأة ..
أو الحقيقة التى تريدها المرأة ..
أو هذه هى (الاحقيقة) التى تريدها المرأة .
فلا أحد يعرف بالضبط ماذا تريد المرأة ومتى تريد وكيف تريد . والمرأة مشكلة
عقدة .. ولا حل إلا بعد أن تتأكد من أن الباب قد أقفل علينا بإحكام شديد
وراء هذا الباب ستعرف حقيقتها .. وستعرف حقيقتنا ..
ولكن أمام الباب لا حميفة لنا . ولا حميفه لها .. وأما كل ما هناك كذب
حمير وحقيقة منلوة . والحقيقة عندما ترتدى ثياباً أليقة . تكون أحمل قواماً
وأروع ألواناً ، وأمتع عطراً ، وأعمق أثراً ويكون أبعد عن الحقيقة
كأن الحقيقة امرأة .
والبحث عن الحقيقة هو الرجل ..
الحقيقة كالغابة الهائلة ..
والرجل هو الصياد فى هذه الغابة .
والغابة قد تهذبت الآن .
والرجل أصبح مهذباً أيضاً ..
ولكن المرأة ما تزال تفضل الرجل الصياد ..
ولذلك نحاول أن تكون مظلمة كالغابة ، متوحشة كحيوانات الغابة ..
والمرأة عندما تحس أنها متوحشة تحلم بالهرب من الكهف إلى البيت . نكى
تكون مستأنسة ..

وإذا أصبحت مستأسة فإنها تحاول بالهرب من البيت إلى الكهف .. إلى العانة لتكون - متوحشة من جديد ..

والرجل يعلم ذلك .. ولكنه فقط لا يعلم متى تقرر المرأة أن تكون إنساناً .
ومتى تقرر أن تكون وحشاً جميلاً ..
وهذه مشكلة الرجل .

وليست مشكلة المرأة فقد عودت المرأة أن تنتظر مئات الألوف من السنين أمصتها المرأة في الانتظار وهي قادرة على الانتظار وقادرة على الصبر الطويل .
ولذلك فارجل هو الذى يعالج هذه المشكلة . أو يعالج هذا الإنسان الذى اسمه المرأة ..

والرجل يشعل المرأة ثم يتركها للكهف فى حياته . من أجل تطوير أساليب الحياة أساليب الأكل والشرب والنوم والعلاج والاسقال .. والأرياء .
وسوف يذهب إلى الكواكب الأخرى ..

وسوف تكون مشاكل الرجل الكسرى فى القمر هو أن يبحث عن كهف يعيش فيه تحت سطح القمر .. لأن سطح القمر منتهب نهاراً . وبارد ليلاً
أى أن الرجل سيعاود الحياة فى الكهوف تحت سطح القمر .. أى حياة الكهوف المكيفة الهواء والضغط والضوء ..

أى أنه (آدم الحديد) سيصعد من الأرض إلى السماء
ولا بد له من حواء ..

ولا بد لحواء أن تحب وأن يكون لها أطفال ويكون لها بيت ولا بد أن تعار على الروح حتى من ذكرياته على الأرض . إذالم تكن هناك ساء أحربات على سطح القمر ..

وأول ما تحتاج اليه المرأة فى الكهف الحديد هو المرأة .. لترى نفسها .. لترى كيف تبدو فى عين زوجها ..

وعلى الرغم من أن حواء الحديدية ستكتشف أن القمر مثل الأرض . بل أسوأ من الأرض .. فإنها ستطلب إلى آدم أن يقول لها أنت كالقمر ..

أى كالقمر من بعيد .. أى كالقمر كما نراه من سطح الأرض .. المهم أن يقول لها إنها مثل القمر ..

فالمرأة لا تشع من المدح ..

مهما كانت حقيقة هذا المدح ..

وسوف يحل الرجل على سطح القمر مشاكل كثيرة كما بجهلها على سطح الأرض ..

ولكن من المؤكد أن مشكلة المرأة لن يحد لها حلا .. لأنها أصعب من أى حل ..

فالمرأة إنسان شديد التعقيد وشديد الحساسية ..

وقد خلقها الله لسببين :

ليزداد عدد سكان الأرض ..

وليزداد عدد الرجل .. ذلك الكائن الضعيف الذى امتلأ رأسه بأفكار أعظم منه ، وأبقى منه ..

والرجل (الفانى) .. يفكر فى الأبدية ..

والرجل (الضعيف) يعمل على تطوير أشكال القوة .

والرجل الذى يقهر جاذبية الأرض ، تقهره جاذبية المرأة ..

والرجل الذى يربط الكواكب والسحوم فى قابوس رياضى واحد دقيق يفقد عقله ومنطقه وينسى جدول الصرب أمام المرأة ..

أن آلهة الأعريق عندما خلقوا أول حواء أطلقوا عليها اسم (سدورا) - أى حاملة كل الصفات- وأعطوا لبندورا صندوقا به كل الفضائل والردائل الإنسانية .

وعندما انفتح منها هذا الصندوق خرجت منه كل الشرور :

المرض والجهل والمقر والظلم والكراهية والموت .

وهى آخر لحظة أقفلت (سدورا) صندوقها . على شىء واحد هو . الأمل .. أى

الأمل فى التخلص من المرض والجهل والمقر والظلم والكراهية والموت .

ولكن لا أمل فى التخلص من المرأة ..

وعلى الرغم من أن الرجل يعلم هذه الحقيقة إلا إنه يحاول . .
ومن ضمن محاولات الرجل في أن يتخلص من المرأة وعذاب المرأة وقيود امرأة :
أن يكتب عنها وأن يصربها بالألفاظ الجارحة وأن يشقها في المواقف الصعبة في
مسرحياته وقصصه . .

ولكن المرأة تقتلها الكلمات . .

فهذه الكلمات قد عاش بها الرجل . لأنها هي جوهر الفن .
حتى عندما يموت الرجل ، فإن الفن يعيش بعده . . فالنفس أطول عمراً من
الفنان . ومحاولة الخلاص من المرأة أطول عمراً من المرأة؟

وعلى الرغم من أن هذه المحاولات تصابق المرأة . فإن المرأة لا تدين بحياتها
وتطورها للدين أحوها وإنما تدين بتطورها للدين لم يحبوها . . وللدين كرهوها أكثر .

والمرأة لم تمل حريتها واستقلالها لأنها كافحت وبعثت . . وإنما بسبب إيمان
الرجل بالمساواة بين كل الأجناس كل الألوان . . المساواة بين الأبيض والأسود
والأصفر . . بين الغنى والفقر . وبين الرجل والمرأة .

فليس حباً في المرأة أن أعطاها الرجل حريتها .

ولكنه تقديس الحرية وتقديس المساواة ونهديس العدالة . هي التي أعطت
للمرأة حريتها في أن تتعلم وأن تعمل وفي أن تختار أسلوب حياتها وفي أن تختار
شريك حياتها ، وفي أن تختار الأب المناسب لطفلها .

والرجل لا يدين للمرأة شيء . . إلا بالتدريج العظيمة التي ترتب على مقوماته
لها وتحرره منها : أي بأعماله الفنية .

ولكن لرجل يعلم ما هو أقصى من هذا يعلم أنه لاجلاص من المرأة .

أو على الأصح يعلم أنه لاجلاص له من رعبته في أن تكون له امرأة . . أي لا
جلاص له من طبيعته . أن الرجل يشبه الطفل (سيريف) الذي حكمت عليه
الآلهة بأن يرفع حجر إلى أعلى الجبل فإذا بلغ أعلى الجبل تدحرج الحجر إلى
السفح فيرفعه من جديد . . وإلى الأبد .

فهو يعلم أن هذا هو مصيره . .

ويعلم أنه لا نهاية لرفع الحجر ولا نهاية لسقوطه .

ومع ذلك يرفعه ولا يتوقف .

إن التاريخ لم يسجل لنا مالمدي قاله سيريف وهو يصعد ويهبط .

ولا كلمة من كلماته . .

ولكن من المؤكد أنه كان يلعب الحجر ويعب القدر ويلعب طبيعته هو التي
نعابد القدر وفي نفس الوقت تستسلم له .

ولا أسعد أن تكون كلمات (سيريف) مثل هذه الكلمات التي جاءت في
كتابي «قالوا» . . إنني لم أسمعها منه . . ولا سمعها أحد .

ولكنني أحسست . . وعانيت . . وعبرت . . وشكراً لصحرة سيريف . . للمرأة . .
فأننى أدير لها «أحياناً» كراهيتي لهذه الحياة على الأرض !



يدي على خدي

الفن

نوع من العدوى ..

هذه نظرية لكاتب روسيا تولستوى ..

فهو يقول لو أن طفلاً صغيراً رأى ثوراً مصلاً عليه ، وهرب الطفل ثم راح يروى لأهله كيف هجم عليه الثور وكيف أن عسى الثور كانت محببتين وكيف أن قربي الثور كاد يقتلانه . ثم كيف استطاع أن يصعد إحدى الأشجار هرباً وأعرب هذا الطفل عن سعادته التي انتقلت إلى والديه . لو نَحْج هذا الطفل في أن ينقل هذه المشاعر إلى والديه لدرجة أنهما تأثرا به وتأثرا له فهذا الطفل قد قام بعمل فني لأنه استطاع أن ينقل مشاعره إلى والديه وأن يؤثر فيهما لدرجة لإشفاق عليه والفرحة بنجاته ..

ولو أن طفلاً حراً أو نفس الطفل تخيل أن ثوراً أو دئاً أو كلباً هاجمه وقد يقتله ثم راح يصرح ويكفي لدرجة التأثير على ولديه فلا شك أن هذا عمر فني لأن الفن هو القدرة على نقل المشاعر إلى الآخرين . صورة معدية كأنها مرض ..

وقد حرب كل الأطفال هذه معامرات والحوادث التي يعنون بها ويبالعون فيها أو يخترعونها ..

وبعض الآباء والأمهات يحدون متعة في أن يستمعوا إلى معامرات أبنائهم الصغار . وبعض الآباء لا صبر لهم على ذلك .

وبعض الأمهات يسارعن صرب الطفل ليكف عن هذا الكذب .

أما أنا فقد ضربتني أمي كثيراً .

أذكر أسي رويت لها قصة حريق في أحد المحلات التجارية بكل تفاصيلها وكيف
نُها أشعلت صفائح الجاز وكيف تكسرت صفائح الجبن واحترقت علب الشاي
وكيف اختلط الصابون بالبيض . . ولا أنذكر الآن إن كان هذا كله قد حدث
بالضبط كما رويته لأمي وأنا صغير . ولكن الذي أتذكره بوضوح الآن أنني
ستشهدت على أقوالي بصلان وعلان من رملاني في المدرسة . وكيف أن أمي
ستدعتهم يعلنوا جميعاً أنني كاذب وأن شيئاً من ذلك لم يحدث .

ولا أذكر إلا أنني صرخت في تلك الليلة ونمت ودموعي على خدي وبين الحين
والحين أصحو من نومي وأعلم أنهم جميعاً كاذبون وأن احريقة قد وقعت وتشاء
الصدفة البهجة أن يحترق هذا المحل بعد ذلك بأسبوع .

ولم أستطع طبعاً في ذلك الوقت أن أقول أنني كنت صادقاً وأن رملاني كانوا
كاذبين . أو بعبارة أخرى أد أمي لم يكن لها الحق في أن تصرني بهذه الصورة
الموجعة . .

ولدهشتي لاحظت أن أسي يروي هذه القصة كدليل على أنني «مكشوف عني
الحجاب» ونسي تسأت بحريقة هذا المحل قبل أن يحدث ذلك بأسبوع .

ومن المؤكد أن القصة التي رويتها كانت نوع من الفن ، في رأي نولستوي . وكل طفل
قد تعرض لهذه التحربة عشرات المرات . وتعرض لسحرة الأم والأب . وكثيراً ما أفلح
الصرير في قطع هذا الخيال والقضاء على الأكاذيب البضاء . أو لأكاذيب الفية

وكثيراً ما صيطسي أمي بعد ذلك أقف على المقاعد وأطاهر بأسي أحطب وأسي
أدفع عن قصاي وهمية أو أروي قصصاً لا وجود لها . . وكثيراً ما تلقيت نصيبي من
الضرب على هذا الخنون .

بعد ذلك حاولت أن أحد عويصاً محترماً عن هذه الإهانات المتكررة في البيت ،
فتمسلت إلى فريق المدرسة للتمثيل فقد حدث أن تألفت جمعية للتمثيل في
المدرسة ولم أكن عضواً في هذا الفريق وحرصت على أن أتسلل إلى هذا الفريق
لأكون صمس امثيين . ولم أحد مقومة من أحد وكنت أتصور أن هناك مقاومة
عميقة تنهي آخر الأمر «علاقة» من المدرسين أو من الساطر . . فأنأ أرى العصا التي
تمسكها أمي في يد كل إنسان !

وكانت المسرحية عن شخصية عربية اسمها «معن بن رائدة» وهو رجل مشهور
طيبة القلب والحلم وبهدوء الأعصاب وموضوع المسرحية أن رجلاً من البادية قد
تفق مع آخرين على أغصاب هذا الرجل الحليم مقابل دفع مبلغ من المال - إذا نجح
في أغصابه طبعاً .

ولم يكن دورى في هذه المسرحية مهما . . فلم أكر الرجل الحليم ولم أكر الذي
يشير أعصابه . وإما كنت أحد الحراس على باب معن بن رائدة . وكان دورى نافهاً
حداً ولم أناقش دورى . ولكن كل الذى يهمنى هو فقط أن أمثل . أن أظهر . أن
أقف على مسرح أفتح فمى وأقول كلاماً كما كنت أفعل وحدى فى البيت . . وكان
أملى . لا أعرف أن كان هذا أملى . إلا أتلقى ضربات من أحد . أو بعبارة أخرى
كنت أحاول أن أحعل من وقوفى على المقاعد وتحريك شفتى عملاً مشروعاً .
محترماً . . أو هكذا توهمت .

والآن دعنى أصف لك كيف ظهرت هذه المسرحية فى إحدى حفلات مدرسة
ننى حمص الابتدائية . الصالة طويلة نظيفة . وقد كانت مخصصة لمباصد البنح
بونج . . وفى هذا اليوم رفعت المباصد ووضعت بدلاً منها المقاعد . . وأصبحت الأنوار
العادية جداً .

وانعشت من الصالة رائحة الصيكة . وواضح جداً من الرطوبة الشديدة الموحدة
أن أرضية الصالة قد عسيت بالماء عدة مرات ، وأن الأرض لا تزال مبللة وترامت
لمقاعد فى موحهة المسرح . أو الشئ المفروض أن يكون مسرحاً . أما هذا المسرح ،
ولا أظن أن تسميته كانت كذلك فى ذلك الوقت ، ولو كانوا يسمونه كذلك فمن
لمستحيل أن أفهم معناه . أو يفهمه أحد من أساء هذه المدينة الصغيرة . . لم يكن
لمسرح مرتفع عن الأرض . وإنما كانت نفس الأرض . وكانت تفصلها عن المقاعد
قصارى الورد . صف من قصارى الورد . . وبعدها توحيد دكة خشبية مغطاة بأحد
لمقارن . وعلى هذه الدكة جلس معن بن رائدة . تقسيم وينظون . فقد كان
معن هذا رميلاً لى فى السنة الثانية الابتدائية . ولم يكن معن هذا إلا إنساناً
هريلاً منخفض الصوت . أما الطالب الذى سيشير أعصاب معن بن رائدة فقد كان
فى السنة الثالثة الابتدائية ، أم أنا فقد وفقت بالتميم والسنظون أيضاً وعنى
كتفى سيف من الخشب .

ومن المفروض أن أسمع هذا الرجل وأوقفه في مكانه وأتركه لاستأذن من معن ابن رثلة . إن كان يسمح له بالدخول . وطبعاً سيسمح له ، وفي هذه الحالة أتوجه إلى الرجل وأدعوه لمقابلة الأمير وأتركه وأظل واقفاً في مواجهة الجمهور طول هذه المسرحية . أما اجمهور فقد كان من أولياء أمور الطلبة . ولم تكن هناك سيدات . وفي نهاية المسرحية شعرت بشيء من الارتياح . .

ولكن هذا الشعور لم استطع أن أنقله إلى أحد . لم أستطع أن أعيظ به أحداً . . لا والدي ولا والدتي . ولكن شعرت بشيء من الانتقام ، فقد مثلت ووقعت وفلت كلاماً لأول مرة ولآخر مرة

ولا أعرف بالضبط ما الذي دفعني إلى أن اتجه إلى الغناء . لقد كنت مفسوماً بكل صوت حميل . وكنت انتزع الملاحين في الحقول . وكانت وطيفة والدي هي ذلك الوقت تمكني من استدعاء أي عامل في الحقل وأطلب إليه أن يعنى لا أعرف ما الذي يقوله بوصوح ولا أعرف كيف أردده ولكني كنت أحد سعادة لا أحد لها . وحفظت عدداً من المواويل الريفية وأغاني الأفراح في محافظات البحيرة والدقهلية والغربية وقد أمصيت فيها جميعاً كل سبواب طمولتي

وبدأت أعنى بصوت مرتفع . وشجعتني أنى على أن أعنى أمامه . وعييت أمامه وعيب معه . وكان صوت أنى جميلاً ، وكان شاعراً . وقد حفظت كل قصائده وأنا طفل . وكان أبى لا يتق كثيراً في قيمه الشعر الذي ينظمه وكان يرى أن الشعر ينظمه لسر إلا نوعاً من (اللعب) . وكان يصور أن هذه شيمة . ولم يكن يعرف أن وصف المصون كلها بأنها لعب ليس إلا حفيظة أو جابياً من الحفيظة

وكان لى حال يحب الغناء ، وكان هو أيضاً يعنى . . كان صوته جميلاً وكنت أحب لاستماع إليه . وكان حالى هذا سترجح إلى صحبتى . كان زوجاً وأنا لأطفال وكنت لا أرل طفلاً . وكنت أذهب مع حانى هذا إلى بيت فيه سيدة حميدة . ولا أعرف لماذا كان يحرص على أن تكون هذه التيارات ليللاً . لا أعرف . ولماذا يبعث بى فأدق الباب وأدخل أن أولاً ، وبعد حظات بحىء هو . وغلس بحر الثلاثة في عرفة واحدة وظل حالى هذا يعنى يا حاره الوادى . ومريب على بيت الخنايب حتى أنام .

وزاد تعلقى بالغناء لدرجة أنى اشعلت عن دروسى واصطمرت فى كثير من الأحيان إلى إحماء الحيز ولأرر والسكر فى ملاسى لكى أعطيها لرحل شحد كان يعنى وكان هذا الشحد مشوها . . كان أقرع وكان يعطى رأسه بصورة تحصى ذنيه ولكنى كنت لا أره ، وبما فقط أسمع صوته الجميل ، وهو يغنى يا جارة الوادى طربت . . وخايف أقول اللى فى قلبى لمحمد عبد الوهاب .

وكان لا بد أن يكشف أمرى . وانكشف وتلفت ما يستحقه طفل يسرق الخمر والسكر ويعطيها لرجل مريض من الممكن أن تستغل إليه عدواه . ولم أكن أعرف كلمة العدوى هذه ولم أعرف معنى العدوى التى تحدث عنها تولستوى . والا تمنيت أن تنتقل عدوى حجرة هد الشحد لأطل أردد ليلاً ونهاراً هذه الأغنيات الساحرة .

ولم تكن لى دراية تامة فى تلك السن ولا أعرف معنى البروة الحاصة . ولم يكن لى أى شىء خاص . . الا هذا الحب الجوى للغناء .

ولا أعرف إن كانت هذه الرغبة الشديدة هى التى «شحذت» سمعى . . فأنا استمتع بحاسة سمع مرهمة جد . . وكنت أتيارى مع زملائى فى الاستماع إلى الأصوات البعيدة وتفسيرها . ولا أعرف إن كان حبى للغناء هو الذى جعل لأذنى هذه الحساسية الشديدة أو كان هو الخوف . فكل الحيوانات الخائفة الضعيفة قوية السمع . .

على كل حال لقد عرفت الخوف فى تلك السن . الخوف من الليل ومن الناس ومن الزمن ومن الموت ومن المرض ومن الفقر . وعرفت هذه المخاوف بدرجات عنيفة . .

وحدث فى إحدى المرات أن كنت أركب «الورج» وكان يجلس إلى جوارى هذا الشحد . وظل يعنى ويعنى وأنا مهوور به حتى سقطت أنا تحت عجالات الورج ، صرخت فتوقفت الأنقار الرهقة عن الحركة وهرب الشحد خوفاً من والدى ومن أهل القرية . وتمزقت ملاسى وسألت الدماء من رفتى . .

وفى استطاعتك أن تتصور ما لذى يصيب طفلاً أهمل أو «تشافى» . . لقد كان نصيبى الضرب الشديد من أمى . أما السبب فهو أسى أستحق العقاب عن

الشقاوة . ولم يشمع عند أبى وأمى أننى سقطت تحت عجلات السورح وأنسى أيضاً جرحى وتمرقب ملابسى وبشرتى ولكن العقاب الذى تلقيته من والدى هو سبب خوفهما على وسبب أسى أروعتهما طبعاً . . . وسبب هذا الشحاذ الذى دفعنى إلى اسرقة من أجل صوته «القبيح» وهذا رأيهما فى صوت الشحاذ . . وكان اسمه حسن .

وانتهت لا شعورياً إلى القرآن . .

وحفظت القرآن وأنا طفل صغير قبل أن أدخل أية مدرسة وانتهت إلى ترتيل القرآن . كنت أرتل القرآن بصوت مرتفع . وكنت اختار أوقاتاً غير مناسبة لترتيل القرآن . وكنت أحتفى فى عظمة القرآن فلا أحد يستطيع أن يطلب إلى أن أسكت ، ولا أحد يستطيع أن يتهمى بأننى أحدث صوصاء غير مستحبة . ولا بأننى أضيع وقتى .

وفى حماية القرآن بدأت أتردد على المآثم استمع إلى هؤلاء القارئى الذين يجلسون فى الصدارة . ويتميلون فى كسرياء والبس من حولهم يصرحون وينسى الناس هؤلاء لقارئى ، كل ما أصابهم . وكنت أحلس إلى حوار القراء . ولا أنعب من التطلع إليهم ، ولا أتع من الهمس عما يقولون . فقد كنت أصع يدى على حدى أقلدهم وأحياء «أندمج» وأرتل القرآن بصوت مرتفع يبعث على الصحك فى هذا الموقف الجليل .

وتشجعنى انتسامات الناس على التمدادى فى هذا الموقف ولكن أبى منعنى برفق . ولأول مرة ارتكبت خطأ فيكون العقاب مجرد السحب من اليد مع بتسامة وعارة رفيقة كنت انتظرها دائماً . الله يفتح عليك يا ابنى .

ولم تكن قد عرفت الراديو بعد . . ولا سمعته ولا حتى سمعت به ولكن عندما نسافر إلى المنصورة كنت أستمع إليه . الصوت قوى حميل . . وكنت أشعر بشوة لا حد لها . وكنت أمتنع عن الطعام بهائياً . وكان يتصور أبى أننى مريض وبعد ذلك كان يرفض أن أذهب معه إلى المدينة بحجة أننى ضعيف وأن السفر يرهقنى وتوسلت إليه . وكنت أكل وأشرب وأسرف فى ذلك . الحقيقة أننى كنت أتعمد ذلك رغم قرفى من الأكل والشرب لكى ستمع إلى هذه الأصوات الباهرة التى لا

أعرفها ولا أحرؤ أن أتساءل عنها . يكفى أن أسمعها فقط . يكفى أن أعطي لها
اذنى المفتوحتين اللتين لا تشبعان ، ولا ترتويان . وعندما كنت اعود إلى البيت
أحس كأننى فى حالة تنويم مغناطيسى فأظل طول الليل بين اليقظة والنوم . ويحذر
أبى وتحتار أمى . . وأحاول أن أغمض عيني بالقوة حتى لا أشرب كل هذه
الكميات من الحلبة والنعناع والقرفة التى هى علاج لهذا الأرق والدوخة التى
أصابتى . ولم أتحدث إلى أحد عن هذا الذى أصابنى !

وإن كنت لا أعرف ما هو هذا «الهذا» وما الذى أقصده بهذا .

وبدأ عنصر الخوف يتلاشى من حياتى ، لقد دخلت المدرسة الابتدائية وكنت
طالباً متموقاً . وكبرت . ولا أذكر أن يداً امتدت إلى وجهى أو عصا نزلت على
ظهري . اختفى انضرب . اختفى الخوف من حياتى وصارحتنى أمى برغبتها فى أن
أكون شيئاً مهماً . أن أكون رجلاً ذا شأن اكسب المال وافق على أبى وأمى وأחותى
ولم أكن أدري طبعاً أى معنى واضح لما تقوله أمى . ولكن الذى أحسست به هو
هذا التغيير فى لهجتها معى . لقد كبرت فى عينيها وفى استطاعتى الآن ، مادمت
أنجح أن ألعب وأن أغنى وأن استمع إلى الغناء
وبدأت أغنى بصورة علنية .

وبدأت أدافع عن صوتى . . وأقارن بين صوتى وأصوات الآخرين ولم أجد من
أمى أو أبى أى اعتراض على أقول . .

وفى هذه الأثناء تعرفت على صديق فى المدرسة الثانوية . كان صوته جميلاً حقاً .
وتوقفت عن الغناء لنفسى أو لغيرى وانصرفت إلى الاستماع إليه . ولقد كنت أرافقه
ليلاً ونهاراً . وأنا مأخوذ بصورة مضحكة وتشجعت أكثر فاتفقت مع أصدقاء لى على
الغناء فى الأفراح والليالى الملاح وشجعنا الناس أحياناً وسدوا نفوسنا أحياناً أخرى
وتعلق بصوت محمد عبد الوهاب . كما تعلق كثيرون بغيرى .

ولم اكنشف إلا فيما بعد أن حبيبى لعبد الوهاب . كان اعجاباً «بأسلوبه»
فى التعبير . ومقدرته على البلاغة فى الأداء . كان عبد الوهاب يصور أملاً من
آمالى فى أن يجىء يوم أكون فيه صاحب أسلوب بسيط واضح مفهوم مسموع -
أو هكذا تصورت . . أو هكذا تصورت . .

وحفظت معظم أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم .

وعرفت الموسيقى الكلاسيكية . واستمعت وأطلت الاستماع . . «وتدروشت»
فى الموسيقى الغربية . . وفكرت فى أن أتعلم العزف . . وبدأت أعزف على البيانو
وعلى الكمان وعلى العود وتغيرت الآلات الموسيقية فى يدي وتحيرت . وانتقلت
«عدوى» قلقى إلى أدوات التعبير فى يدي . . فهى مرة قلم ، ومرة فرشاة وتارة بيانو
وتارة مضرب التنس .

وحاءت الجامعة فابتلعتنى تماماً .

لم أعد أفكر فى شيء . . لا الراديو ولا الغناء ولا الموسيقى .

وفى كلية الآداب كنت ضمن أعضاء جمعية «الحرامفون» التى يشرف عليها
دكتور لويس عوض مدرس الأدب الإنجليزى . . وكان من أعصائها فى ذلك الوقت
الأدباء محمود أمين العالم وعباس أحمد ويوسف الشاروى وبهيج نصار ومصطفى
سويف وبدر الديب وكلنا زملاء فى قسم الفلسفة .

ولكن لم يكن الاستماع الى الموسيقى الا ساعات كل أسبوع . . وبعد ذلك أعود
إلى النسيان . . إلى نسيان كل شيء حولى والإعراق تماماً فى الكتب الفلسفية .

ولا أزال أعتبر الصوت الجميل كالعضو الجميل ، كالعين والشفيتين والساقين .

ويمكن فى اللغة العامية أن نقول عن الصوت أنه «الحس» فنقول فلان «حسه»
جميل - أى صوته جميل .

وفعلا الصوت هو الحس ، هو كل الإحساسات ، بل إنه يشير ويمتد كل الإحساسات .
وقد ألصقت أذننى طويلاً جداً بالأسطوانات والأشرطة النى يبعث منها الصوت
الجميل .

بل إننى أحتفظ بأسطوانة ليس فيها غناء ولا موسيقى . وإنما فقط صوت سيدة
فى مجلة «ريدزر دايجست» الأمريكية تعلن عن إحدى المقالات

ولو عرفت لماذا أحتفظ بهذه الأسطوانة لاندعشت . إنها عن هذه المحررة واسمها
«هيزل ماركل» تضحك . فقط تضحك أن صحتكها أعجبتنى وأمتعتنى فى كل
مرة أسمع هذه الضحكة .

ومازلت أحب الصوت الجميل ، فى الكلام والسلام والغناء والأداء والتمثيل .
فمعظم حواسى فى أذنى !

ولم أدخل سينما قبل أن أخرج فى الجامعة . ولم أر فيلماً واحداً . ولم أعرف
باب سينما . ولا فكرت فيما يعجرى داخلها .

وفى يوم قررت بصفة سرية - أى بيسى وبين نفسى أن تسلل إلى إحدى دور
السينم دون أن أخبر أحداً بذلك حتى لا يتكشف أمرى . . ويعرف الناس أسى
داهب إلى السينما لأول مرة فى حياتى . وفى ذلك الوقت كنت محرراً فى حريدة
«الأساس» وذهبت إلى سينما ستراند الصيهى وكان الفيلم هو «غراميات كارمن»
بطولة ريتاهيوارث وجلين فورد .

ومهما وصفت لك دهشتى وفرحتى وشونى فأنا عاجز عن الإحاطة بما أصابى
فى تلك الليلة . يكفى أن أقول لك أسى ظلمت أكتب عن هذا الفيلم بحماس
شديد . وكيف أستخلصت منه معنى فلسفة لا أول لها ولا آخر حتى مل الناس
كلامى ولكن لم أحد فيما أقوله مللاً! فقد كان كل شىء جديد «رائعاً» كل
شىء . الأصواء والأصوات والناس وريتاهيوارث . تلك الفجرية التى جعلتنى
أقرر بعد ذلك بخمس سنوات أن أرور كهوف الفجر فى أسانيا فقط لأرى كيف
كانوا يعيشون .

ومن السينما تسللت إلى صناديق الليل فى القاهرة . كل ليلة أذهب إلى
مكان . ويعلم الله أننى كنت مبهوراً وكنت حائماً أن يراى أحد . وكنت حائماً
من الدين يروسى . وكنت أجس فى الكباريهات فى المقاعد الأمامية لا أشرب
ولا أكل . ولا أتصور أبداً أن الناس يدهون إلى هذه الأماكن لشىء آخر غير
الفرحة . وكم كنت من القصص وكم بطمت من القصائد . وكم تحيلت من
المواقف المسرحية . وكم تأثرت وبكى أيضاً على أشياء لا يبكى عليها أحد .

وكلما أطر إلى راقصة ، وأرى الأصواء تتوى على جسمها وأنظر إلى عينيها
أجد شيئاً آخر غير الذى يراه الناس . . ربما كان جسمها مثيراً ، ولكن من المؤكد أن
فى عينيها دموعاً . أنها تؤدى دوراً فقط . . انها لا تجد متعة فى هذا العمل الا
الذى تقوم به كل ليلة . وحتى لو كان هذا المعنى ناعاً من إحساسى أنا ، فقد كنت

أزكده لنفسى كل ليلة .. كل ليلة أقول لنفسى : هذا كذب .. هؤلاء الناس
يكذبون ليعيشوا .. هؤلاء الناس يتعرون ويتعذبون بالثمن .. هذه اللحوم الملونة
ستصبح صفراء باهتة آخر الليل .. وستأكلها أفواه مخمورة ، ولأنها مخمورة فهي لا
تعرف طعم اللحم ولا لونه وهي لا ترى هذه العيون الساكية المتسولة .
لم تسعدنى هذه الكباريهات . وإنما ملأت نفسى بالحزن والأسى والمرارة
وشعرت أن هذه أسواق علنية للرقيق الأبيض .

وتوقفت عن التردد عليها بسبب هذا القرف .. ولا أعرف إن كان هذا الذى
شعرت به هو نوع من القرف ، أو هو نوع من الشعور بالذنب أو الشعور بالخطيئة
الدفين ، فقد تحول الى شيء مر على لسانى .. لا أعرف بالضبط .. فقد كنت
صفلاً مخنوقاً «مكبوتاً» حائفاً «دائماً» ولا بد أن هذا الخوف نفسه هو الذى منعنى
من أن أشعر بمتعة فيما أتفرج عليه ، كنت أحاول أن أبرر لنفسى ولغيرى أنتى على
الرغم من وجودى فى الكباريه ، نادم على ذلك .. إلا أنتى قرفان بما أرى ومشفق
على كل فتاة أراها .

وترددت على المسارح وأدمنت مسرح الأوبرا وعرفت هناك سليمان نجيب
وصلاح ذهنى .. والصدى عبد الرحمن صدقى فتح لى الأبواب والبنائير لكى
أشاهد كل المسرحيات والأوبرات سنوات طويلة . وعرفت الصديق شكرى راغب
وجلست معه فى الكواليس ساعات وسنوات ورأيت وراء الكواليس ما لم يره
المتفرجون .. رأيت انمثلي الكبار وهم فى حالة من الخوف من مواجهة الجمهور .
رأيت الدموع فى عيونهم ورأيتهم وهم يرتجفون من الخوف . رأيت أجسامهم
الضعيفة ، رغم أنهم على المسرح يقومون بأدوار العمالقة .

وأحسست أنهم قريبون من نفسى .. وأحسست أنتى أنا أيضاً عندما أكون
وحدى فإننى ألث وأخاف وأتعذب وأرتجف ولا يراى الناس وأنا أحترق وألعن
القلم الذى أمسكه . وأحس أسى عاجز عن الكلام . وعن التعبير .. وعن الكتابة .
ولكن القارئ - كالمترجم - لا يهمه كثيراً كيف ومتى وكم ساعة تعذب الكاتب
أو الممثل . وإنما يهمه أن يقرأ أو يتفرج ويستمتع . والكاتب يستمد متعته من متعة
القارئ والممثل يجد لذته من تصفيق المتفرجين .

الكاتب يجد لذته من لحظة في عين القارئ والممثل يجد منعته من أصوات الأيدي وهي تصفق .

وسافرت الى أوروبا ورأيت مسارح الأغريق في أثينا . . ورأيت مسارح الرومان في روم . ووقفت ساعات في مسرح كراكالا . . ورأيت مسرح الأوبرا في باريس . . وقاعة البورت في لندن . . وتفرجت على مهرجانات الموسيقى في سالربورج بالنمسا وتفرجت على مهرجانات الموسيقى في ميونخ وهمبورج وبرلين في ألمانيا .

وأضيت أياماً في كهوف وحيام الغجر في أشبيلية وطليلة ومدريد بأسبانيا . ورأيت المسرح الصيني في كاجرتا . . ورأيت مسرح الكوكوساى في طوكيو . ورأيت مسرح السوق الدولية في هوبولولو ورأيت هوليود مدينة السينما . وأصبحت المسارح جزءاً من حياتي الفكرية .

لا بد أن أقرأها وأن أترجم بعضها ، وأن أفرج عليها .

وانتقلت من العرجة إلى الكتابة عن المسرح وللمسرح وعن الأفلام والموسيقى والغناء وأصبح من أصدقائي معظم نجوم الفن في مصر ، وفي العالم العربي . وكثيرون من أوروبا وأمريكا . وتعودت أن أدخل المسارح وفي يدي ورقة وقلم وفي الطلام أحفى رأسى في الورق لأكتب شيئاً .

واعتدت بعد ذلك أن أخفى القلم ، والورقة في رأسى . وأن أعود إلى البيت بعد ذلك فأسجل ملاحظاتي عما رأيت .

وكنيت أول الأمر أسجل انطباعي بالمسرحية والفيلم . ولم أكن أهتم كثيراً بواقع المسرحية . أى بظروفها ، ومجهودات الممثلين والمخرج والمؤلف . كأن الذى يرصيص هو الذى يجب أن يتجه إليه المخرج . وعرفت أن هذه وجهة نظر خاصة . وهى لذلك ناقصة جداً . وتعلمت بعد ذلك أن أقيم ورماً كبيراً للآخرين . . وأن يكون انطباعى هو واحد من الانطباعات ووجهة نظرى هى إحدى وجهات النظر .

وأهم من ذلك تعودت أن أبحث عن عذر لكل إنسان . لا بد أن يكون له عذر . لا بد أن يكون هناك سبب ما أدى إلى خطأ فى الأداء أو فى الحوار لا بد أن يكون هناك عذر لكل إنسان . ومادام إنساناً فهو معرض لأن يتأثر وأن ينكسر وأن يخطئ . وقد عرفت الكثير من الأعذار والمبررات وراء الكواليس .

وأصبحت أرى وأنا جالس على مقعدي فى الصالة مالا يراه أحد غيرى ومالا يدرى به أحد سواى . فأنا أعرف «أعذار» الممثلين . . وأعرف ظروفهم .

أذكر أننى عندما رأيت فيلم «أعظم استعراض فى العالم» من إخراج سيسيل دى ميل بكيت كثيراً لم تظهر دموعى على خدى ، وهى غالباً لا تظهر . وإنما كانت دموعى فى قلبى فقد رأيت هؤلاء الذين يظهرون أمام الناس وهم فى غاية الشجاعة ، هم فى الحقيقة فى غاية الضعف . ولكن «الصنعة» تحتم عليهم أن يبدوا فى منتهى القوة . وفى غاية المرح والسعادة . . وهم فى الحقيقة مرضى وتعباء وفاشلون . . فى الحب وفى الحياة وفى العمل .

وعرفت أعذار هؤلاء الأبطال ، أو المروص أنهم أبطال .

رأيت وراء الكواليس أناساً يبكون بدموع حقيقية وأدوارهم مصحكة . ورأيت ممثلين وممثلات بينهم دماء جارية ، ويظهرون بالأحضان والقبلات أمام الناس .

وأصحت أحد متعة لاحد لها فى رؤية الروفات - أى المسرحية بلا جمهور - رأيت الممثلين بملابسهم العادية . ومتاعهم العادية . والمخرج يشخط وينظر فيهم ويظهر عليهم التأثر . ويروى كل واحد كيف أنه لم ينم . ولم يأكل . وكيف أن زوجته مريضة . . وكيف . . وكيف . . كل ذلك بلا جمهور .

واعتدت أن رتبط نفسياً بهؤلاء الفنانين . . وأن أدافع عنهم . . فأنا مثلهم ، وكل فنان مثل أى فنان . فهو مطالب بأن يكون فى أحسن حالاته النفسية أمام الناس . ولكن عندما يخلو إلى نفسه ، فإنه وحده يشكو متاعبه ، وهو وحده يمسح عرقه . . بل إنه يضرب كفه الأيمن بيده اليمنى ويواسى حده الأيسر بيده اليسرى وحده . . والفنان يعيش وحده ويتعذب وحده . ويتلوى وحده ، وعندما يتعذب فعذابه فردى شخصى . . عذابه لا يتجاوز هذه المسافة الصغيرة بينه وبين الورق . بينه وبين القلم . وأحسست بأن الفنان «علسان» . . الفنان الذى يكتب والذى يرسم والذى يؤلف . إنه مطالب دائماً بأن يكون حديداً . وألا ينسى بأن يكون مسلماً أيضاً . فلا يكفى أن يفهمه القارئ أو المتفرج ، وإنما يجب أن يصحكه أن نسعده . . لا يهم أن كان الفنان سعيداً أو ليس كذلك !

وكتبت الكثير من المقالات فى النقد الأدبى والفنى والمسرحى بصفة خاصة ..
مثات المقالات . أو ألوف المقالات .. فقد استغرق حياتى الأدبية والفنية
والعلمية ، اشتغلت فيها فى كل الصحف والمجلات التى صدرت فى مصر ، فيها
جميعاً بلا استثناء !

ولا أنسى كيف استمتعت بمشاهدة مسرحية «الأيدي الناعمة» لتوفيق الحكيم ،
وكنت جالساً إلى جوار طه حسين واستمتعت بملاحظات طه حسين . والحقيقة
أتنى انشغلت بملاحظاته عن المسرحية نفسها .

ولا أنسى كيف تفرجت مع توفيق الحكيم على مسرحية «يا طالع الشجرة»
لتوفيق الحكيم وانشغلت مره أخرى بالمؤلف عن المسرحية

ومررت بتجربة أن أكون مؤلفاً يتفرج على إحدى مسرحياته على البروفات ثم
على المسرحية نفسها بين الجمهور . إنه شعور غريب . مثير ولذيذ . ولكنه مؤلم أيضاً .
فالمؤلف عندما يقرأ أحد أعماله أو يتفرج عليه فإنه يشعر بشيء من القرف .
وهذا القرف هو مزيج من الحجل والملل . فهو يحجل من أنه معروض هكذا أمام
الناس وأن الناس لابد أنهم قالوا عنه كذا وكذا . ويشعر بأن الذى كتبه ليس
جميلاً ، فقد كان فى استطاعته أن يكتبه أحسن وأفضل . فهو فى حالة خجل بما
فعل وفى حالة خجل من كلام الناس ورأى الناس .. ثم هو فى حالة ملل ، لأنه
قد تعب فى هذا العمل الفنى . وشبع منه ورهق . ولا يريد أن يمر فى هذه التجربة
من جديد .. ومشاهدته للمسرحية معاناة جديدة للتجربة الأولى .. وهى تجربة
التأليف !

ورغم هذا القرف ، فإنه عندما يرى أثر هذا العمل الفنى أو الأدبى فى الناس
يستمد من هذا الأثر الجماهيرى حياة جديدة .. ومنعة جديدة .. هذه المتعة تجعله
ينسى القرف .. ينسى الحجل وينسى الملل .. ويتجه نحو شيء جديد ..
وأحدث التفتت إلى النقاد الآخرين ، وباهتمام شديد .. النقاد المصريين
والأجانب .

وأصبح من أصدقائى نقاد القمم مثل آدموند ويلسون فى أمريكا . وكينيث
تاينان فى إنجلترا وأندريه بيلى فى فرنسا .. وجعلت أتابع كل ما يكتبون وباهتمام
شديد .

وبصراحة أحسست كأنتى أحد الأقمار الصناعية الضالة . فأنا قد انطلقت
وابتعدت عن الأرض وكل ما ينقصنى هو أن أجد لى مداراً محدداً واضحاً . وهؤلاء
النقاد وغيرهم وتجاربى قد وصغتنى جميعاً فى المدار السليم .

ولم تنته متعتى مع المسرح والمسرحيات ، بل أننى رأيتها قد انجذبت إلى ناحية
عملية أكثر .. إلى ناحية القراءة والممارسة .. إلى ناحية الاطلاع على التجارب
الحديثة للشان من الأداء . وناحية أن أكون أيضاً صاحب تجربة وممارسة .

ما المانع ؟ .. إليهم يحاولون . وأنا أيضاً أحاول . وحياة أى إنسان هى محاولة
مستمرة لأن يحقق الصورة التى فى رأسه ، أو الصور الكثيرة التى فى رأسه .

وما أكثر الصور فى رأسى ، وما أكثر الصور التى أراها فى رؤوس الآخرين .. وما
أسهل الصور وهى فى رأسى ، وما أصعبها عندما أحاول أن أنقلها إلى رؤوس
الآخرين . ولكن ما أمتعها أيضاً عندما تتشابه الصور أو تتطابق الصور التى فى
رأسى والتى استقرت فى رؤوس الآخرين .

وعندما أصبحت عضواً فى اللجنة الفنية للمسرح الكوميدي قرأت عشرات من
المسرحيات التى قدمها الأدباء الناشئون . وعرفت الصعوبات التى يعاينها الأديب
الناشئ فى إضحاك الناس .

ولاحظت أن من الإضحاك ليس سهلاً ... فمن الممكن الإضحاك بالحركة .
والإضحاك بالكلمة .. ومن الصعب الإضحاك بالموقف . والإضحاك عندما صعب ،
وليس أسهل من أسالة دموع أى إنسان يكفى أن تشكه بدبوس .

وجربت المسرح .

لقد قرأت مسرحيات كثيرة لكل المدارس الأدبية فى كل العصور .

وظهرت لى مسرحيات مؤلفة ومترجمة :

مسرحية : الأحياء المخاورة وقد قام ببطولتها اثنان فقط من أعلام المسرح العربى :
سناء جميل وحمدى عيث وأخرجها جلال الشرفاوى وكانت تجربة مثيرة ناجحة .

ومسرحية : حلمك يا شيخ علام .. وقد قام ببطولتها أمين الهنيدى وعقيلة
راتب ، وأخرجها عبد المتعم مدبولى .

ومسرحية «مير قبل مير» قام بطولتها أمين الهندي . .
وترجمت مسرحية «العرشة» عن تنيسى وليمز .
وترجمت مسرحية «بعد السقوط» لأرثر ميللر .
وترجمت مسرحية «رومولوس العظيم» لهريدرش ديرمات .
وترجمت مسرحية «الملاك في بابل» لديرغات أيضا .
وترجمت مسرحية «الشهاب» لديرغات .
وترجمت مسرحية «أمير الأراضي البور» لماكس فريش .
وترجمت مسرحية «الاستاذ تاران» لأداموف .
ومسرحيات : ياسيدى ازبك ، والعربة الشقراء وعريس لابنتى «ليوسكو» .
ومسرحية «دعاء» لاربال .
وكانت أول مسرحية ترجمتها هى «الإمبراطور حوثر» ليوجين أونيل .
وأداع الراديو سلسلة علمية بوليسية أسمها «ش ٣» . . بطولة محمد رضا
وسعد أردش وعبد السلام محمد وصبرى عبد العزيز ورحاء حسن . وإخراج
مصطفى صادق .
وهذه المسلسلة تحولت إلى مسلسلة تليفزيونية ناجحة جدا ، بعنوان «العقري»
بطولة يوسف وهبى ومحمد رضا ومحمود المليجى .
ولدى مسرحيات أخرى من تأليفى ومن ترجمنى وأرجو أن تظهر عندما أشعر
بالارتياح لها .
وكتبى التى تصاعفت ، لا يحلو أحدهم من كلام عن المسرح والمسرحيات
وفى كل حياتى الأدبية أذهب إلى المسارح وإلى دور السينما بانتظام تام . .
أحتر لى مقعداً على الشمال . وأجلس تلميذاً فى مدرسة لها عشرات الأساتذة من
المؤلفين وكتابى الساريو والخرجين والممثلين والمصورين ومهندسى الصوت . .
وانفعالات الجماهير أمامى وخلفى وحولى
إنها متعة متجددة لا تنتهى : فن وصاعه .

ولكن الكرسي الذى اختاره على الشمال فى المسرح . . هو الذى يسعدنى فأنا
أرى أساساً حقيقيين على المسرح . وأرى قطرات عرق صادقة . . وأرى خوفاً وفزعاً
وأرى وحوهاً تتوارى وراء الكواليس أعرفها . . أعرف مخاوفها أعرف عذابها .
أشفق عليها من الناس . . أشفق عليها من الخشونة والنعومة فى خشبة المسرح .
أعرف أن هذه الوجوه التى تبدو مريحة لكى تسعد الناس ، ليست كذلك بعيداً عن
عيون الناس . . إننى أضحك مع الناس ولكن طعم المرارة لا يفارق فمى . . مرارة
التعب والعرق والخوف والحرص على الاستمرار . . إنه لشيء رهيب أن يظهر الممثل
على المسرح ولا يجد أحداً يتفرج عليه . . وشيء رهيب أن يظهر ويجد الألوف
تتفرج عليه فالنجاح مخيف والفشل أيضاً .

إننى لا أنسى ذلك اليوم الذى ذهبت فيه إلى مدينة الملاهى فشاهدت شيئاً
نادراً : لقد سقط حصان فى الحوض فمات !

حادث عادى جداً من الممكن أن يقع . ولكن لا أعرف إن كان هناك أحد قد
رأى هذا الحادث أكثر من مرة فى حياته .

فى تلك الليلة ، فى أول ليلة أشاهد فيها مدينة الملاهى فى حياتى وكان ذلك
بعد أن تخرجت فى الجامعة وأصبحت باقداً أديباً لجريدة «الأساس» ومحرراً فى
«روز اليوسف» رأيت هذا الحصان الفخم يصعد سلماً عالياً وكان هادئ الخطوات
شامخاً وكان الناس ينظرون إليه فى خوف واضح . وكنت أشد الناس خوفاً .
وجاءت البطلة الإنجليزية وامتطت الحصان ووقعت بالحصان فى نهاية السلم . ثم
هبطت وهى فوق الحصان فى الحوض المائى الكبير . . وقفزت السيدة وفى يدها
الكرباج إلى خارج الحوض أما الحصان فلم ينهض . لقد طل نائماً فى الحوض بثن
ويتوجع وأنا أبكى . مع أننى لم أكن أعرف أن الحصان قد مات . ولم أكن أعرف أن
هذه «الومة» غير طبيعية . ولكن بإحساس مباشر غريب بكيت عليه . على شبابه
على فخامته على بطولة هذا الممثل الذى يصعد السلالم كل يوم ويقفز فى الهواء .
ليصفق الناس للبطلة التى ركبته ويعود هو إلى الاصطبل مبللاً مرهقاً .

كأى ممثل ، كأى كاتب . . كأى إنسان يراه الناس فى موقف بطولى . . هذه
الدموع على الحصان قد اختفت من عينى .

ولكنها انتقلت إلى أعماقي .. بين الحين والحين أنقلها إلى قلبي لأدرفها على أحد .. وعلى نفسي كثيراً جداً .. فأنا كل يوم أصعد هذه السلالم وأعمص عيني ، وأسد أذني . حتى لا أرى حوص الماء وحتى لا أسمع ما يقوله الناس .. وأجعل المرارة بعد ذلك صمغاً لشفتي !

ولا أزال أجلس في نفس الكرسي الذي على الشمال .. أو في كرسي قريب منه . أحياناً أحس أنني أتمد على كرسي من القراء الناعم المريح . وأحياناً أحس كأنني الفقير الهندي أنقلب على المسامير .. وأحياناً يعلبنى النوم . وكثيراً ما تميت أن تطول جلستي ، وكثيراً ما تميت أن تبلعني الأرض أنا ومقعدى وكل الكراسي التي على الشمال والتي على اليمين .

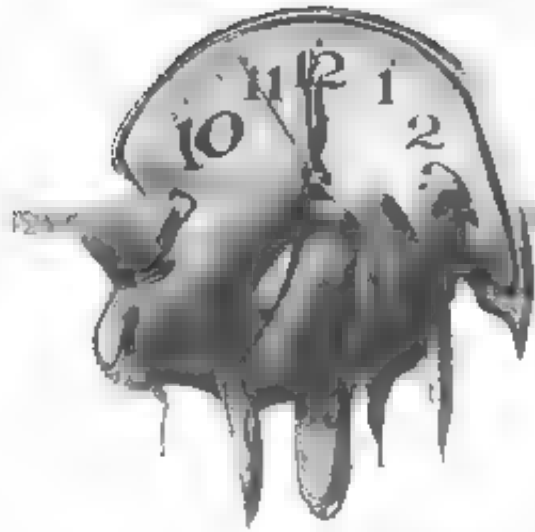
ولا أزال - وبتسعة - أحرص على أن أذهب لأتفرج على المسرح والسينما . ففيها مجموعة من الفنون .. أرقى الفنون التي ابتدعها الإنسان . الكلام والأداء والإخراج والصوت والموسيقى ، وفي الاستماع والنقد الذي يصيء ، والنقد الذي يصلل .

وفي كل ما أكتبه أحاول أن أحتفظ بمقعدى ، أحاول ألا أبرحه ، وأن أنقل مشاعري إلى الذين مثلوا وكتبوا وأضاءوا وعسروا ، وإلى الذين تفرجوا ، وإلى الذين سيتفرجون .

ولا أقول إنني لم أتناوب . ولا أقول أنني لم أشعر بالملل . لقد قاومت الملل مللي أنا ، وأحاول ألا يشغلك عن متابعة هذه السطور .. وهذه الصفحات . وعن قراءة الصفحة الواحدة أكثر من مرة . فأنا كثيراً ما عدت إلى مطالعة ومشاهدة المسرحية الواحدة عدة مرات .. والفكير فيها من جوانب عديدة .. إنني أحمد الله على ذلك .. فهذا دليل على أنني لم أعرف الملل من البحث عن الحقيقة .. من بحثي عن الحقيقة !

وربما كان هذا التكرار هي عادة «المطرب» الذي في داخلي .. فأنا أردد الدحن الذي يعجبني كأنني أسمع من يقول لي : الله .. أعد .. أعد ..

مع أنني لا أسمع أحداً يقولها . وإنما فقط أريد أن أطمئن على حالي الصوتية !



حوادث بين الناس

أن ترى أو تموت !

أما

هذه العبارة لخص الأب بيير دي شاردان فلسفته في الحياة . لأن حياة الانسان هي أن يرى ، أكثر وأوضح وقد ظل الإنسان ألوفا السنين يرى ويحاول أن يرى ، وأن يوسع مجاله البصرى ، وأن يجد له أبعاداً تحت الأرض أو تحت الماء أو فى الفضاء ..

وأهم من ذلك حاول أن يرى أبعاده هو وأعماقه هو . وقد طالت نظرات الإنسان إلى نفسه حتى لم يعد يرى غيره فى الدنيا . لقد تحول العالم حوله إلى مرايا .. يرى فيها الإنسان نفسه . أو تحول العالم كله إلى صور وتماثيل للإنسان . فهو لا يرى إلى صورته وإلا همومه هو . وإلا طموحه هو .

فالإنسان هو اخهار الوحيد لرصد حركات الإنسان . ولرصد حركات الحيوانات والحشرات والكواكب والنجوم .

فالإنسان هو الذى يرى غيره ويرى نفسه ..

ولا توجد عندما حتى الآن وسيلة أخرى لمعرفة العالم حولنا ، أو العالم فى داخلنا ، إلا عن عن طريق الإنسان .

وكل محاولة لخلق مجتمع إنسانى أكثر تماسكاً ، هى محاولة لريادة المعرفة الإنسانية ، وتعميق العلاقات الإنسانية .

والمعرفة معناها أن ترى .. وتعميق المعرفة معناها أن ترى أعماق .

فالمعرفة هى الرؤية ، والعلم هو المعرفة المنتظمة ، أى الرؤية ذات الأبعاد المتناسكة الأطراف .

ولكى ترى أوضح يحب أن تصبب العدسة . . يحب أن تتأكد من سلامة بؤرة العين التى ترى بها . .

والعلم الحديث يسر إلا تطويراً فى صناعة العيون .
فالعَدَسَات عيون . . العدسات المقرّبة والعدسات المكبرة
وقد انشغل الإنسان بالنظر إلى الخارج عن النظر إلى نفسه . . لأنه تعب من
النظر إلى نفسه . .

ومعرفة الإنسان بالعالم البعيد الذى حوله ، جعله يشعر بأنه ضئيل بالقياس إلى
العوالم الأخرى . . عوالم النجوم والكواكب وعوالم الحشرات والنبات . .
وجعله أيضاً يشعر بأنه رغم ضآلته فهو قادر على أن يعرف . على أن يرى أبعد
بملايين السنين الضوئية . . وأن يرى أصغر أحسام تقس بحزء على عشرات الملايين
من المليمتر . !

واتجه الإنسان إلى أن يرى العالم كأن الإنسان غير موحود .
أى العالم فى غيباب الإنسان نفسه .
أى العالم دون تدخل من عين إنسانية ، كان كل شىء فى مكانه ، هادىء هادىء
الجبال مضطرب كالبحر ، ملتهب كالنجوم . . سواء أكان هناك إنسان أم لم يكن !
وهذا هو العالم كما يراه الإنسان بالعين «المجردة» عن إنسانيته . . عن محاولته
ومطامعته وغروره .

وعندما أصبحت للإنسان هذه العين المجردة ، تقدم فى العلوم . .
ولكن بعينه غير المجردة ، أى بعينه المرتبطة بهواه ، ارتاد مجالات الفن والدين . .
والفارق بين الإنسان والحيوان هو : أن الحيوان ينظر ، ولكن الإنسان يرى . .
وعن طريق الرؤية يعرف الألوان والأشكال .
والإنسان عن طريق الرؤية أصبح يتحكم فى الحيوان وفى الإنسان أيضاً .
وعن طريق الرؤية إلى داخله أصبح فناً . .
وعن طريق الرؤية إلى خارجه أصبح عالماً . .

أن غمائل الإغريق كانت بها عيون من زجاج .. عيون بلا حدقات . كأنها عيون مقلوبة تنظر إلى داخل النفس الإنسانية .

مقلوبة .. سوادها فى الداخل وبياضها فى الخارج . ولذلك كانت عيون فلاسفة وشعراء ..

وغمائل الرومان كانت لها عيون بلا حدقات وفى داخل الحدقة يوجد ثقب .. كأنه عين أخرى ..

هذا الثقب هو «إنسان» العين .. هو «الننى» .

لقد كانت عيون الرومان مفتوحة على العالم الخارجى .. مرتين .. لأنها عين فى داخلها عين !

وقد انتقل هذا الثقب الصغير فى العين إلى كل شىء حول الإنسان .. لقد أصبح كل شىء مثقوبا .. كل شىء له عمق . له أبعاد ..

وكانت هذه المحاولات لثقب العالم الخارجى ، هى بداية الحصار الإنسانية بداية العلوم الوضعية .. أى العلوم التى تهتم بالأشياء الموضوعة هناك .. أى الموضوعة بعيدا عن الإنسان . كأن الإنسان لا يراها .. أو كأنه يراها ولا يستطيع أن يغيرها أو التدخل فى حركتها ونموها .. وإنما هو «يصفها» فقط .. يصممها كما هى «موضوعة» أمام عينيه ..

والعين هى وسيلة الإنسان لأن يفكر وأن يعيش ، فهى المصباح وهى الضوء

وهى اللغة - وكل لغة - تقول : رأى .. رؤية .. رؤيا .. وتراءى .. وارتأى ..

ونقول أيضا : نظر .. نظرية .. وانتظر .. واستنظر .. ومناظره .. وبظارة .

ونظير ..

ونقول : عين .. وأعيان .. وعاین . وتعین . وتعین عليه .

وكلمات أخرى كثيرة كلها مأخوذة من العين والرؤية والبطرة

والفيلسوف اشبىجلر يرى أن الإنسان تطور على بقية الحيوانات الأخرى بيديه .

أو بحاسة اللمس . لأن أصابعه تختلف عن مناقير الطيور ومخالب الحيوانات

وزعاف السمك .. ونخلف عن أصابع يدي وقدمي القرد فأصابع الإنسان من الممكن أن تتثنى وأن تتقارب .

وعن طريق هذه الأصابع «تأول» الإنسان كل شيء حوله .. تناوله وتداوله .
وإذا كانت العين - كما يقول اشبنحلو - هي التي كشفت لنا العالم المنظور ..
أو العالم النظري ..

فإن اليد ، وأصابع اليد ، وقدرة اليد على اللمس واللماسة ، قد كشفت لنا العالم اليدوي .. أو العالم العملي ..

وبالعين واليد معاً ، تكتمل الصورة النظرية واليدوية للإنسان ..
والإنسان لأنه قادر على أن يحرك أصابعه ، استطاع أن يصنع أدوات حياته
فالإنسان هو الحيوان القادر على أن يصنع أدوات الحياة
ليس لأنه قادر على تحريك أصابعه ..

ولكن لأنه قادر على أن يحرك أصابعه في نور عينيه .

وبغير العين تصبح حركاته في الظلام ..

فإن كانت اليد تصنع السفينة ، فإن صناعة السفينة شيء وعلم الملاحة
شيء آخر ..

وصناعة أدوات الموسيقى شيء ، والعزف والتأليف الموسيقى شيء آخر ..

وصناعة الأدوات عمل يدوي .

والملاحة والموسيقى علم نظري ..

ولا علم بغير معرفة ولا معرفه بغير رؤية .. ولا رؤية بغير عين !

وأحسن نموذج لتصوير العين المحرّدة هي قصة «أخوات ليبيا» التي تحدثت عنها
الأساطير الإغريقية ، فهي أسطورة ولكنها مليئة بالحقائق .

أخوات ليبيا لهن اسم آخر هو . أخوات الجورحون .. ثلاث أخوات لهن منظر
قبيح جداً الوجوه مستديرة والشعر على شكل حيات والأسنان بارزة . واللسان
يتدلى إلى الأمام .

ويقال أن لهن عينا واحدة يتداولنها ويرين بها ..

ويقال أيضا أن لهن عيونا عادية وأنيابا عادية ..

ويقال أيضا أن إحدى بنات ليبيا واسمها ميدوزا قد صبغتها الآلهة مينرنا في حفن رحن في أحد معابدها . وثارت مينرنا على هذه الإهانة . فحكمت على ميدوزا بالموت . بينما أختاها خالدتان . وجعلت كل من تنظر إليه ميدوزا هذه يتحول إلى حجر .

كل ما تقع عليه عينها يتحول إلى حجر ..

وبذلك تصبح حياة ميدوزا صخرية جافة جامدة .

فكل ما يقع عليه عينها هو تماثيل من بشر . أو حيوانات من حجر .. وبذلك تصبح وحيدة . في مقبرة حجرية ليس فيها إنسان ولا حيوان .

ولم تكتف مينرنا بهذا بل قدرت أن تقضى على ميدورا فأرسلت لها أحد الأبطال ليقتلها . وحدرته من أن تقع عينا ميدوزا عليه ..

وسلحته عرأة أو بدرع شديد اللمعان . فإذا اتجهت إليه ميدورا رأت نفسها في المرأة فسوف تتحول إلى حجر !

وذهب صاحب المرأة ليقتل ميدوزا فوجدها نائمة وحولها جثث حجرية لكل من وقعت عيناها عليه ، وقطع عنق ميدوزا . وحمل هذا العنق إلى الآلهة ..

وحتى بعد أن ماتت ميدوزا فإن كل من ينظر إلى عينها يتحول إلى حجر .

وعندما تساقطت دماء ميدوزا تحولت هذه الدماء إلى ثعابين امتلأت بها صحراء ليبيا وكل أفريقيا . ثعابين تعيش في الرمال وبين الصخور . حيوانات تزحف على الحجر .

ميدوزا هذه هي نموذج للعين المجردة ..

للعين التي لم بعد لصاحبها قلب ولا عاصفة . ككل عين في رأس إنسان ليس فتناً ..

إنسان مجرد من العواطف الإنسانية .

إنسان عالم ..

فالعلماء ينظرون إلى كل ما حولهم على أنها أشياء جامدة .. لحيوانات
أشياء .. والناس أشياء ..

إن نظرة العلماء هي نظرة ميدوزا التى تحول كل شىء إلى حجر . إلى جثث .
إنها نظرة بقصد «تشيين» العالم الخارجى ..

وبعد ذلك وزنه وقياس طوله وعرضه ودرجة حرارته ، ومعرفة ذبذبته ونوع الدرة
التي يتكون منها ، وحساب طاقته .. إنه مجرد شىء !

وإذا كانت الأساطير تصف الجرحون بأنها ليست ثلاث أخوات فقط ، وإنما هي
جنس آخر من النساء ، فإن كل العلماء يتسبون إلى هذا الجنس !

ولا يمكن أيضا أن تكتمل صورة الإنسان إذا كان يرى بعين واحدة .

أو إذا كان الناس جميعاً يرون بعين واحدة هي عين العلماء ..

أو بعين واحدة هي عين الفنانين

ولكن بالاثنتين معاً .. بالعين والعلم ..

وقد صور الأديب الألماني هوفمان في «أقاصيصه» أن ساحراً إيطالياً كان يضع
مظاراً سحرياً على عين شاب .. فلا يكذب يلتفت الشاب حوله حتى يجد كل
شىء جميلاً رائعاً .. لقد استطاع الساحر الإيطالى أن يجعله يراقص دمية من
قماش وخشب على أنها أجمل فتاة فى الدنيا ..

أما السبب فهو المطار الذى يضعه على عيبيه وعندما حلع المطار بدت الدمية
على حقيقتها ..

وهذا المنظار هو الفن والخيال ..

أما العين المجردة عن المطار ، فهى عين العلم .. عين الجرجون ..

والصورة الكاملة ، هي عين من فن وعين من علم !

والعدالة عندما تضع عصاية على عينيها ، فإنها ترمز إلى أن القاضى يجب أن
يكون مثل الجرحون .. كل ما يراه يتحول إلى شىء .. إلى حجر . أى كأنه لم
يعد إنساناً .. لا هو إنسان ، ولا الذى يحاكمه إنسان ..

فالعدالة لا ترى أحداً من الناس . أى لا تفرق بين أحد من الناس

والحقيقة أن العصاة الموضوعة فوق عيني العدالة ليست إلا حلاً شنت به
إنسانية القاضي ، وإنسانية المتهمين أيضاً ..

فليست هذه العصاة فوق العين ، وإنما هي رمز لعصاة أخرى شنت القلب
وصلبت العواطف .. وأعدمت الإنسانية ..

ولم يكن غريباً من الرئيس لنكولن أن يقول في خطابه الافتتاحي للبرلمان : أننى
لا أرى أحداً .. إننى أرى بعيون الدستور .. أى إننى لا أرى أحداً !

فهو قد وضع العصاة حول عينيه هو ، وترك العدالة هي التي ترى والعدالة لا
تري ولا تفرق بين أحد من الناس !

إنه الجرجون أيضاً يرتدى ملابس رجال القضاء ورجال العلم !

ومع ذلك فمن الصعب على القاضي أن يكون جرجونا إلى الأبد .

فالجرجون شكّل للوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها ..

وشكّل لوظيفة العلماء أيضاً ..

وكثيراً ما ترك القاضي نصوص القانون وحكم بعين غير محردة .. بعين

إنسانية ..

وكثيراً ما أدرك العلماء أن علمهم صد الإنسانية ، فنزعوا عيون الجرجون ونظروا

إلى أنفسهم وإلى الإنسانية بعيون غير محردة . بعيون إنسانية .

وإذا كانت الراهة العلمية معها أن يتبره الإنسان عن العرض . فليس من

النزاهة أن يتنزه الإنسان عن إنسانيته .

وبذلك يصح حراً يتحكم في الإنسان .. ويصبح حيواناً متوحشاً ، لا يحاكم

الإنسان وإنما يقضى عليه !

لقد كان سارتر أروع من شرح « النظرية » ..

فأنا عندما أمشي في حديقة ، أشعر بحرية لا نهائية . كل شيء حولي أراه

بوصوح الأزهار والأشجار ، والرمل والطلط ، ولون الخشب والعصافير وهي حائرة

بين الأعصاب .. وأحياناً أعمص عيني ثم أعاود فتحهما من جديد كأنى أريد أن أطمئن على العالم الذى حولى وعلى إن كان كل شىء فى مكانه .

إننى أرى الألوان والأبعاد وأعرف القريب والبعيد . والقصير ولطويل والأوراق الدابلة والأوراق المضرة . وأميز بين العصافير والغربان والحمام .. عالم هائل للصفات والأشكال والأحجام والأبعاد ..

عالم كل ما يربطى به أنى أنظر إليه . أنى أراه . أن كل شىء منظور . كل شىء مرئى ..

أنا أنظر إذن فأنا موجود ..

فوجودى هو حريتى فى النظر إلى ما حولى ..

ولكن عندما يظهر إنسان فى هذه الخديقة . مجرد ظهور إنسان معناه تحديد لحررتى . لم أعد حراً . لم أعد أنا الحر الوحيد . لم أعد أنا لحرية .. فهناك إنسان آخر يستطيع أن ينظر ناحيتى . أن ينظر إلى .. وأن أتحول أمام ناظريه إلى شىء . إلى شجرة إلى حجرة .. إنه ينظر ناحيتى .. ينظر إلى ملابسى إلى وجهى . إلى شعرى .. إلى جلستى ويحكم على بما يشاء . وأنا لا أعرف ما الذى يقوله ، ولا أعرف أن كان يحكم لى أو يحكم على . ولكن أحساسى بأننى لا أعرف ماذا يدور فى رأسه يقلقنى . يصيبى بالحرج . إنه قد سرق منى عالمى .. سرق منى حريتى .

لقد تحولت أنا أيضاً إلى شىء .

وأصبحت كأية شجرة عاجزاً عن الدفاع عن نفسى ..

وفى قصة «وقف التنفيذ» لسارتر يقول دانييل :

ماذا يقول عن . جبار .. يائس . كأن الليل هو الآخر ينظر لى .. كأن السحوم عيون الليل . أننى لم أعد أنظر إلى شىء . إننى منظور . كل شىء ينظر لى .. إننى شفاف . إننى مشفوف . ما الذى شفى ، ما الذى جعلنى شفافاً ، لأننى لم أعد وحدى .. لم أعد وحدى .

ويقول أيضاً : أريد أن أطفىء العين التى فى داخلى ، لا أريد أن أرى نفسى أن

عيني توجعنى .. تلهبنى ..

وفى مسرحية «الذباب» لسارتر يقول الملك اجيست :

منذ توليت العرش وكل ما قلت وما فعلت كان بقصد أن أجعل لنفسى صورة .
وأن يصع كل رعاياى هذه الصورة فى رؤوسهم تحت جلودهم ، وأن يشعروا دائماً
أسى أنظر إليهم . أراقبهم . أحاكمهم . وألا يشعر أى واحد منهم أنه بمفرده . بل
أننى معه دائماً . أحاكمه على كل أفكاره على أكثر أفكاره خصوصية وسرية ،
ولكى وقعت فى المصيدة التى نصبتها للشعب . لقد أصبحت أرى نفسى تماماً كما
يرانى الشعب ، إسى عندما أنظر فى أعماقهم القائمة ، لا أجد إلا صورتى التى
رسمتها بنفسى ، إننى ارتجف ، ولكنى لا أستطيع أن أرفع عينى عن هذه الصورة . .
يا إلهى من أنا ؟ إننى لم أعد سوى خوف الناس منى !»

ويقول سارتر أيضاً فى كتابة عن الشاعر «بودلير» إنه كان يجد العيون تنظر إليه .
كل العيون فى كل مكان . كل هذه العيون تحاكمه . ولكنه لا يعرف على أى أساس
يحاكمونه . بمقتضى أى قانون . كل هذه العيون أداته دون محاكمة وحاكمته دون
قانون ولعنته ولم يعرف ما الذى قالوه . إنه كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه!
وعيون الآخرين . . ونظرات الآخرين هى أقسى درحات العذاب . .

إن مسرحية سارتر «جلسة سرية» ليست إلا جحيماً من نوع خاص . .
فأشخاصها أساس فتحوا عيونهم ، بعضهم على بعض . . أصبحوا فى غاية
الشفافية . . عراة الجسم والنفس . . فهم جميعاً سجناء . كل واحد منهم سجن
الآخر بين رموش عينيه . سجنه فى عييه . لقد تناولوا النظرات . وتبادلوا السجن .
وتحولوا جميعاً إلى أحجار بلا حياة . بلا إنسانية . . بلا حرية . .

كل واحد منهم أصبح مثل الجرجون . . النظرة الواحدة هى سلب للحرية أى
سلب للوجود . .

ويقول سارتر أيضاً : مجرد النظرة معناه أن ثقباً كبيراً فى هذا العالم قد انفتح وأن
هذا العالم بدأ يتسرب من هذا الثقب . .
والسبب هو أن الآخرين ينظرون لنا .

والنظرة تنطوى على الخوف . . أى أن نظرات الآخرين تهددنا . تحيئنا وفى نفس الوقت تجعلنا نشعر بالخجل كأد الآخرين ضبطونا متلبسين بفعل شىء . .
والدى يرانى أنظر من ثقب الباب ، يصيبى بالخجل . فقد ضبطنى أفعلى شيئاً ،
ضبطنى متلبساً . نظر إلى . وحكم على . وقال كلاماً كثيراً لم أسمع .
فلا أملك إلا أن أجرى . . أتوارى . .

ولكى أذافع عن نفسى من عيون الآخرين . . ونظرات الآخرين يحب أن أنظر إليهم .
أن أقاوم النظرة بنظرة أخرى . أن أقاوم تهديد حرى تهديد لحرى الآخرين .
إن الجورجون عندما كانوا يسلطون عليها المرايا ، كانوا يحاولون أن يطلوا
مفعولها . . فهم ينظرون إليها قبل أن تنظر إليهم . . يحجرونها قبل أن تحجرهم
ينزعون منها حرىتها . قبل أن تقضى على حرىتهم . .

وحواء عندما تغطت بورقة التوت . كانت تضع درعاً لوقايتها من عىنى آدم . .
فقد أحست حواء فجأة أن رجلاً ينظر إليها . .

فنتغطت . وأحس آدم أن حواء تنظر إليه فتغطى هو الآخر . .

لقد شعرت بالعار من ارتكاب خطيئة . .

وشعر هو أيضاً بالعار نفسه . .

ولكن عار الاثنين أبدى بالنسبة إلى الله . فهما لا يستطيعان أن ينظرا إلى الله ،
كما نظر إليهما . لا يستطيعان أن يتغلبا على شعورهما بالعار والحزى أمامه .

لقد ارتكبا حماقة فى الجنة . . وكان لابد من العقاب . وجاء العقاب هو
شعورهما بالعار كل أمام الآخر . . ثم شعورهما بالعار الأبدى أمام الله . .

تماماً كما حدث لميدوزا بعد ذلك ، عندما ارتكبت حماقتها المعروفة فى المعبد
فكان لابد أن تلقى أقسى درجات العقاب وكان عقابها هو النفى . أى أن تصح
وحيدة فى العالم . . وأن تتأكد وحدتها طرة بعد نظرة فكلما رآها أحد من الناس
مات فوراً . . أن تعيش وحدها وسط مقابر لا نهاية لها . . تقوم فيها بدور القاتل . .
والخاطوى معاً ! بل أنها حانطى العالم كله !

ونحن عندما ننظر إلى ما حولنا ، فإن هذه النظرة تتلون باهتمامنا نفسه . فأنت عندما تكون على موعد مع صديق . ويتأخر هذا الصديق فأنت تتطلع إلى وجوه الناس ، إلى الوجوه الشبيهة به . ولا يلفت نظرك إلا الملامح القريبة من ملامح الصديق . فكأنك قد طبعت صورته على عينيك . ولم تعد ترى سواها . . . وتصبح كل هذه الوجوه بلا معنى بلا دلالة . . . فقط يصبح لها معنى خاص عندما تقرب من ملامح هذا الصديق . . . فكأنك بهذه النظرة «تجمد» كل الوجوه في وجه واحد ، وكأنك أنت أيضاً تجعل العالم كله بلا معنى من أجل معنى واحد . وكأنك تريد أن تصنع صورة الصديق على العالم كله فلا ترى سواه . . . أو تراه في كل مكان . . . والعلماء ينظرون إلى الدنيا نظرة خاصة . . .

والفنان ورجل الدين والجندي والجاسوس والسياسي والتاجر والموسم والزنجي واليهودي . . .

كل واحد يضع على عيه إطاراً واحداً . يرى الدنيا من خلاله . أو يرى الدنيا فيه . أو يراه هو الدنيا . بعض الوقت أو كل الوقت !

أن الكاتب الأمريكي لويس ممفورد في كتابه «عن نشأة المدينة الحديثة» يتحدث عن قصص «الديكاميرون» لبو كاتشيرو . وهي عبارة عن مائة قصة قصيرة ترويها سبع ساء وثلاثة رجال في عشرة أيام أمضوها في ضواحي نابلي هرباً من الطاعون . وكان ذلك في منتصف القرن الرابع عشر .

وهذه القصص تعتبر من أروع الأعمال الأدبية في العالم وتعتبر البدايات الحقيقية للقصة القصيرة المثيرة .

وكل ما لفت نظر الكاتب ممفورد هو أن الناس في القرن الرابع عشر كانوا عندما يشعرون بالتعب ، فإنهم يهربون إلى الضواحي ومن هنا ظهرت ضرورة الضاحية بالنسبة لسكان المدن !

هذا هو الذي استتجه الكاتب من مائة قصة قصيرة . ولم يدرك أهمية هذه القصص وخطورة هذا العمل الفني العظيم . ولكن اشغاله بالبحث عن نشأة الضواحي ، هذا الاشغال هو الذي جعله يرى فقط هذه العبارة ضمن عشرات

الألوف من العبارات! فقط هذه الحملة ، وكأن يوكاتشو لم يكتب حرفاً واحداً ، وكأنه لم يكتب شعراً ولا نثراً ولا حب ولا فشل فى حب ، ولا عاش ولا مات . فقط هذه العبارة !

وجاء فى كتاب «الطب المصرى القديم» للدكتور حسن كمال أن هوميرو فى «الإلياذة» وصف ١٤٧ جرحاً من بينها ١٠٦ جرحاً من الحرايب كانت نسبة الوفيات فيها ٨٠٪ و ١٧ جرحاً بالسيف انتهت كلها بالوفاة و ١٢ جرحاً من المنحنيق بلغت نسبة وفياتها ٦٦,٧٪ ولهذا أصبحت نسبة الوفيات من كل الإصابات ٧٧,٦٪

ومن المؤكد أن أحداً من الذين قرأوا الإلياذة أو الأوديسه لم يحظر على باله أن هناك أمراضاً أو جروحاً أو حتى يفكر فى أنواع الإصابات أو سستها المثوية ! ولكن هذه الأمراض هى التى تلفت عين الطبيب . وهى التى تجعله يمسك الورقة والقلم ويحسبها .

والنكتة التى تقال عن رجل رأى سفينة الفصاء التى ركبها جاحارين أول رائد فصاء فى التاريخ ، فقال : يا بختك .. أنت تعيش فى غرفة بمفردك !

مثل هذا الرجل لم يدرك بوضوح الانتصار العلمى العظيم الذى حققه العلماء . ولم يدرك الشجاعة النادرة التى يتصف بها جاحارين . وإنما كل الذى أثار اهتمامه هو أن إنساناً يعيش بمفرده فى سفينة أو فى غرفة! مثل هذا الرجل لا بد أنه مشغول بالبحث عن مسكن! وهو يرى الدنيا كلها من خلال هذا الاهتمام !

فالدنيا كلها عنده نوعان : أناس يجدون مسكناً وأناس لا يجدونه ..

وجاحارين هو أحد السعداء الذين حصلوا على مسكن خاص !

إنها النظرة الخاصة .. وهى أيضاً تجمد العالم كله .. فلا تجعلنا ندرك منه إلا ما يثير اهتمامنا ..

فكل إنسان له جانب خاص من العالم ينظر منه .. وينظر إليه . وهو فى نفس الوقت يجعلنا ننظر إليه من زاويته هو ..

فالذى يهتم بالفلك لا ينظر إلا إلى النجوم والكواكب .. ولا يهتم إلا بها وهو فى نفس الوقت يجعلنا ننظر إليه فى هذا الجانب أو من هذا الجانب .

وكلما حرص الإنسان على أن يرى الناس ، حرص فى نفس الوقت على أن يراه الناس . .

وكلما حرص الإنسان على أن ينظر أبعد وأعمق ، حرص أيضاً على أن يطر إليه الناس أبعد وأعمق . .



والكاتب الفرنسى هنرى باريس فى قصة «الجحيم» بصور لنا شخصاً لا نعرف اسمه من أول القصة إلى آخرها . نزل فى أحد الفنادق . وهذا الشخص لا هو سعيد ولا هو حزين . لا أحد يسعد به ولا أحد يحزن عليه . انه فى حالة . وحاله هذا ليس لا وجوده فى غرفة . وإلى حوار هذه الغرفة غرفة أخرى كل يوم تستقل نزيلاً جديداً . وقد ذهبت به رغبته فى الاستطلاع إلى درجة أن يقف فوق سريره وينظر من ثقب فى أعلى الحائط إلى ما يحرى فى داخل الغرفة المجاورة . إنه ينظر دون أن يراه أحد . إنه يمارس حريته دون أن يتهدده أحد بالنظر إليه . وفى إحدى المرات رأى حادمة سوى الفراش وتقلب فى خطاب وتقرأ الخطاب . وتقبله . لا بد أن يكون هذا الخطاب من صديق . ويستحيل أن يكون هذا الخطاب من أحد أقاربها ، فالأقارب لا يعثون عادة بحطابات تستحق القنلات . . وبعد ذلك يرى النساء والرجال من فوق السرير . . وأحياناً يتخيل كأنه يراهم ويعاقبهم . أى أنه يتخيل أن يراهم . . كأى واحداً آخر ينظر إليه . . وتنتهى قصة عذاب هذا الشخص الوحيد الحزين الذى يعمره الدم والوحدة فى كل مكان بأن يلتقى بأديب معروف مشغول بقصة طويلة . ويسأله الناس عن هذه القصة . وتكون المفاجأة أن هذا الأديب يقرأ على الحاضرين قصة رجل كان ينظر من فوق سرير إلى الغرفة المجاورة عن طريق فتحة فى الحائط !

ليس بطل قصة «الجحيم» فقط هو الذى ينظر من خلال فتحة فى الحائط فكل إنسان له حائط . أمامه . وحائط وراءه . وكل إنسان يحرص على أن يجعل فتحة للحائط . ضيقة أو واسعة قريبة أو بعيدة . كل الوقت أو بعض الوقت . . أو يحاول أن يتسلق الحائط . . أو يهدم الحائط . . أو يبسى حائطاً آخر . . أو يتفرج من فتحة فى حائط على شخص آخر يتفرج على فتحة من حائط آخر . . !



وهي الجزء السادس من كتاب سارتر «مواقف» يتحدث عن الصين . ويسخر من فهم الفرنسيين للصين . فهم لا يعرفون الصين إلا عن طريق المعلومات التي يرويها التجار والبحارة ثم السياح . والبومات الصور المشهورة . فماذا يقول هؤلاء الناس عن أهل الصين . . إنهم يتحدثون عن ألوانهم الصفراء وعيونهم المحرقة وأطعمتهم وعن البيض الفاسد الذي يأكلونه وعن طريقة حلاقة الشعر عندهم .

ومعلومات أخرى عن الصين . . لا علاقة لها بالصين . وإنما هي «صورة» عن الصين . وليست هي الصين ولا الشعب الصيني فالفرنسيون يختلفون عن أبناء الصين . ولكن هل اختلاف أربعين مليون فرنسي عن ٧٠٠ مليون صيني يعنى أن الحق إلى جانب الفرنسيين . هل يعنى هذا أن أسلوب الفرنسيين في حياتهم وفي أفكارهم هو الأسلوب السوى ، وأن الصينيين منحرفون كعيونهم !

إن الفرنسيين لا يعرفون الصين وإنما فقط يعرفون «صورة» عن الصين . صورة عابرة مهروزة . وهم يتصرفون مع أبناء الصين ، لا وفقاً للحقيقة ولكن وفقاً لهذه الصورة . ثم هم يطلبون من أبناء الصين أن يقربوا من الصورة . أن يطابقوا الصورة بدلاً من أن يتعب الفرنسيون - وغيرهم - ولو قليلاً في الاقتراب من أصل الصورة . . من الصينى ومن الصين !

فالناس لا يرون ، وإذا رأوا فهم يرون من خلال اهتمامات . . من خلال عيون الآخرين . .

إنها مرة أخرى عيون الجورجون . .

ثلاث أحوات يربى بعين واحدة . تبادلن العين . . تماماً كما يتبادل الفرنسيون عيناً واحدة لرجل سافر إلى الصين ويضطرون بعينه . .



ولقد حاول الكاتب السويسرى ماكس فريش فى قصته الأخيرة التى عنوانها «ليكر اسمى جانتبين» أن يصور هذا المعنى فجعل بطل قصته وهو جانتبين رجلاً يدعى بأنه أعمى ويعيش فى عالم كله يره ويفهمه ، ولكنه مصر على أن يكون أعمى لكى يرى بحرية . وتروح هذا الرجل من مثلة حسناء على علاقة بعدد كبير من الرجال ، وأحببت له طفلاً وهذا الطفل مشكوك فيه طبعاً . وتردد مع زوجته فى

كل الأماكن التي تذهب إليها السيدات .. محلات التجميل وصالونات الحلاقة ..
ورأى ساء عاريات .. ولم يشعر أحد بحرج أمامه لأنه أعمى . ورأى الرجال وهم
يعاكسون زوجته .. رأى عالماً آخر لأنه أعمى !

فلأنه أعمى يفتح له المجتمع كل الأبواب .. فالأبواب مفتوحة للعميان .. ولكن
هذا الأعمى استطاع أن يرى ما لا يراه غيره من المصرين .

لأن المصرين يرون من خلال صور . من خلال صور جاهرة .. ومن ضمن هذه
الصور : أن الأعمى لا يرى أى شيء .. وأنه لا صبر من أن يكون الأعمى فى كل
مكان .. وأن المبصرين يرون كل شيء ..

وقد استطاع شخص واحد أن يخدع عشرات الأشخاص . أن يجعلهم جميعاً
من العميان ، وأن يكون هو وحده المبصر ..

وقبل ذلك حاول ماكس فريش أن يناقش «الصور» الجاهرة التي يتداولها
المجتمع . أو النظرات الثابتة التي تتجمد عنده عيون الناس فتناول فى مسرحية له
اسمها «أندورا» وهو اسم استعارة من أمانة صغيرة على حدود أسبانيا وفرنسا .
ولكن لا علاقة لها بالمسرحية .

وفى هذه المسرحية رأينا شخصاً اسمه اندرى . وهذا الشخص يقال أنه لقيط
ويهودى وأن أحد المدرسين قد تبناه . ويعامله المجتمع على أنه لقيط - مثلاً - أى أنه
إنسان لا خير فيه . إنسان يحب الفلوس .. إنسان بلا قيم .. إنسان حائن بطبعه ..
انتهارى . وكل هذه صفات جاهزة موجودة فى المجتمع وفى انتظار أى لقيط ، فلا
يكاد يظهر حتى تلتصق به هذه الصفات . ويحب هذا الشاب ابنة المدرس الذى
تبناه ويتفقان على الزواج ويحدث عدوان على دولة أندورا وتجري محاكمات
لأمثال هذا الشاب . وفى هذه الأثناء تجيء أم هذا الشاب وتؤكد للناس أنه ابنها .
أى أنه ابن المدرس وأخو الفتاة التي يحبها ويجيء القسيس ويؤكد له أنه ابن شرعى
وأنه مسيحي .. ولكن هذا الشاب يرفض إلا أن يكون كما يراه الناس : لقد رأوه
لقيطاً . وقد حرموه من دخول الكنيسة فسيكون كما يراه الناس لن يكون جباناً
كوالده الذى لم يعترف به أول الأمر والذى لم يستطيع أن يصارح الناس بأنه ابنه ..

وتنتهى المسرحية بإصرار هذا الشاب على أن يكون تماماً كما أرادته الناس أى تطبق عليه كل الصفات الجامدة . كل القوالب الجامدة . . كل الصور التى تعلقت على جدران المجتمع . ورغم أن الناس قد اعتذروا له اواحد بعد الآخر على سوء فهمهم له . إلا أنه أصر على أن يظل دليلاً قاطعاً على سحافة الناس . . وعلى ضيق أفاق الناس . وعلى أن الناس لا يرون بوضوح . وإنما يرون من خلال فتحات ضيقة . . هذه الفتحات قد توارثوها . . وطلوا ملتصقين بها . ولم يحاولوا أن يسدوها أو يوسعوها أو يعيروها أو يناقشوها . . لم يحاولوا . . وإنما ظل الناس ضحايا نظراتهم الجامدة نظراتهم الجرجونية . .



إن الكاتب الأمريكى «فانس باكار» فى كتابه «الأقناع لخصى» وهو من أحمل الكتب التى تكشف عقلية المواطن العادى فى أمريكا ، يصور لنا كيف يفكر المواطن الأمريكى . . أو بعبارة أصح كيف يفكر «المستهلك» الأمريكى وهو يهتم بالمواطن الأمريكى باعتباره مستهلكاً . ان المستهلك الأمريكى حاصع لحمولات من الدعاية القوية الذكية والشريرة أيضاً . .

أن الشركات فى أمريكا تستخدم كل الوسائل للتأثير على المستهلك بالسينما والتلفزيون والإذاعة والصحف . . إن هذه الشركات تختار له كل الوسائل التى تؤثر عليه . . والتى تجعله فى نفس الوقت عاجزاً عن الاختيار . . إن كل الشركات تستخدم علماء النفس وعلماء النفس الجبانى ، والخبراء فى الألوان والأذواق ، وعلماء فى دراسة الشعوب ، وعلماء فى الاجتماع . كل هؤلاء العلماء لهم مهمة واحدة هى أن يمسخوا السوق ، وأن يتصلوا بالمستهلكين وأن يعرفوا أذواقهم وأن يعرفوا رغباتهم . وبعد ذلك يفكرون فى أحسن الوسائل للتسلل إلى المستهلكين .

وكل سلعة لها شعار خاص . . وهذا الشعار على شكل حكمة . أو على شكل نكتة . ومكتوب بشكل خاص .

والإعلانات فى التلفزيون وفى السينما وفى الصحف وفى الشوارع وفى صناديق البريد وفى كل ورقة يلمسها أى مستهلك ، وعلى سيارته وعلى القلم الذى يمسكه كلها لا تترك له فرصة لكى يفكر . . بل تجعله عاجزاً عن التفكير . فلا يملك إلا أن

يترك غيره يفكر له .. غيره يرى له - أى أن مهمة هذه الشركات هى أن تصنع العيون التى تريدها . وتثبتها فى مكانها من رأس المستهلكين ..

إنها نفس لعبة أحوات الجورجون .. تبادل العين الواحدة .. واحدة فقط ترى والباقيات ينتظرن ليسجىء دورهن فى الرؤية .. فإذا حاء الدور كانت العين صناعية . عيناً من نوع خاص . لا ترى إلا ما يعجب الشركات ..

تماماً كما حدث عندما كنا نشاهد الأفلام البارزة . كان لا بد أن يوزعوا علينا نظارات من نوع خاص على باب السينما . وتضع هذه النظارات على العين . وبها وحدها نستطيع أن نرى الشاشة ذات أبعاد . نرى الكرة على الشاشة وهى تكاد تسقط فى صالة السينما ..

فإذا نزعنا النظار الذى وزعوه علينا .. أصبحت المناظر المعروضة أمامنا عادية جداً ..

ويقول «فانس باكار» فى كتابه عن الإعلانات والشعارات التى تستخدمها شركات السيارات مثلاً لا تسأل كل هذه الصفات الخاصة بالسيارات ، هى فى نفس الوقت صفات خاصة من يشتريها قبل أن يشتريها وبعد أن يشتريها وهذه الصفات قد اختارها الخبراء .. حصر العيون انصاعية التى يصنعونها فى رؤوس المستهلكين دون أن يشعر مستهلك واحد بذلك فإذا شعر فلا وقت عنده لتفكير! مثلاً .. مثلاً ..

كديلاك : متكبرة .. باهرة .. لرحل الأعمال الذى فى منتصف العمر .. أبهة .. وتدل على أنه من دوى الدخل الكبير . تدل على المسئولية فورد : سرعة شيطانية .. لذوى الدخل الممتاز .. للشباب وهى واثقة من نفسها .. لكل الطبقات .. عملية .

دى سوتو : محافظة .. مسئولية .. تدل على السيادة .. الطبقة المتوسطة .. معتدة بنفسها .. وتدل على صاحب الدخل الممتاز ..

ستوديبكر : نظيفة .. مدللة . مثقفة . رشيقة .. للمحترفين والشباب . بونتياك : تدل على الاستقرار النفسى .. فى منتصف الطريق .. للمتزوجة .. والأم والوفاء .. ومحافظة .. ومشغولة ..

مر كورى : تاجر .. واثق من نفسه .. مودرن .. أب .. سريع .. متفائل .. وكل إنسان يلمس فى نفسه أية رغبة فى أن يكون مسئولاً .. أو هو بالفعل . مسئول فإنه يختار السيارة التى تناسبه .. والشاب يختار السيارة التى تناسبه والمرأة والأم كذلك .. إن هذه الشركات قد اختارت الصفات التى تعجب الناس .. ثم أطلقت هذه الصفات على السيارة نفسها .. فالسيارة هى التى تختار الزبون .. والسيارة هى التى تختار طمقته ومركره وحالته النفسية ..

وشركات السيارات وغيرها هى التى اختارت النظرة . هى التى اختارت الزاوية .. واختارت العين التى ينظر بها المستهلك الى العالم الخارجى . وافنعت هؤلاء للمستهلكين بأنه لا شىء يدل على شخصيتهم قدر اختيارهم لهذه السيارات وغيرها من السلع الموجودة فى الأسواق :

ويقول المؤلف الأمريكى أيضاً . أن الخبراء لاحظوا أن أكثر الناس تعصباً لنوع معين من السجائر لا يستطيع أن يفرق بين سيجارته هذه وبين أية سيجارة من أى صنف آخر .. لو أعطيت له سيجارة فى الظلام . أو أعطيت له مادة سجائر أخرى غير التى يدخنها ..

ومع ذلك يتمسك بسيجارته رغم أنه لا يفرق بينها وبين أى نوع آخر ! أنها النافذة التى وضعته أمامه شركات السجائر والسيارات .. إنها العين التى ركبت له دون أن يدري .. إنها القوالب التى انحشرت فيها أفكاره سراً !

وعندما يشعر المستهلك بعجزه أمام هذه الإعلانات الكثيرة ، وأمام هذا السيل الهائل من الكلام والصور والإدعاءات والصرخات ، فإنه يتوقف عن التفكير .. يستسلم ويبحث عن الشىء الذى يريحه .. يختار أسهل شىء .. أو يختار أكثر الأشياء إقناعاً له ..

ولما كان عاجزاً عن المناقشة ، فإنه يتعكز على أية عبارة .. فإنه يختار أية نظارة .. أية عين ينظر بها ومنها .

فالإنسان مهما يكن عاجزاً فإنه لا بد أن يرى . لا بد أن يرى نفسه أو غيره بعينه أو بعيون الآخرين !

وشىء غريب حدث فى المسرح أيضاً ..

ثغوب عديدة واسعة حدثت فى الحائط الرابع للمسرح . فمر المفروض أن الممثلين يظهرون أمامنا وكأنهم لا يشعرون بوحودنا .. مفروض أن هناك حائطاً فاصلاً . هذا الحائط من تصوريا ومن افترض الممثلين نحن اتفقنا قبل أن ندخل المسرح . وعندما جلسنا فيه ، على أن هناك حائطاً فاصلاً بيننا وبين الممثلين .. كأننا نتفرج على أساس سرأ . وكأنهم منعزلون عما لا يدرون بنا ..

حائط من البلاستيك .. حائط فاصل وفى نفس الوقت ليس فاصلاً .. حائط نايلون .. يفصل ولا يفصل ..

ومضى على المسرح ألوف السنين والحائط فى مكانه .. بين الممثلين والمتفرجين . نحن نراهم ومفروض أنهم لا يروننا . نحن لنا عيون وهم بلا عيون . تماماً كالتماثيل الإغريقية ذات العيون الزجاجية .. فقط عيون ولكن بلا حركات .

ولكن مع الرؤية الحديثة . ومع توسيع مجالات الرؤية فى العلوم والآداب والصود . ومع إشاعة البلاستيك فى الباء والنايلون فى الأرياء كان لابد أن نضع للممثلين عيوناً يرون بها .. يرون بها ألوف الناس الذين يتفرجون عليهم ..

لم يعد المثلون يتلصصون على المتفرجين ..

لم يعد المتفرجون فى مأمن من نظرات الممثلين ..

فمر الممكن أن ينظر الممثل إلى المتفرجين وهم جالسون .. وينابع دخولهم وحلوسهم . ثم يتخذ موقفه التقليدى « ويمثل » . أى وينعزل ويقف مستنداً على الحائط الشفاف بيننا وبينه ، إنه فى أول الأمر يقف أمام الحائط أو يحترقه . ويحرص على ذلك ، ثم يعود إلى الاختفاء وراءه .

لقد انتقلت العيون إلى الممثلين ..

أن مسرحية «ست شخصيات تبحث عن مؤلف» لسرايدنلو قد مزقت الحائط الفاصل بين الممثلين والمتفرجين . لقد دخل المثلون من الصالة وكأنهم ليسوا ممثلين . وإنما كأنهم أساساً حطأوا طريقهم إلى مكان آخر غير المسرح .. ولكن ظهورهم على المسرح واندهاشهم فى الدور ، وتحريكهم فى الإطار الذى وضعه

المؤلف يجعلنا ندرك فوراً أنهم عادوا من حديد إلى الوقوف وراء الحائط الفاصل بين الممثلين والمتفرجين .

إن مسرحية «بلدتنا» لثورنتون وايلدر التى ظهرت من أربعين عاماً يتحدث فيها الممثل للجمهور . بل إنه يقف أمام المسرح ينتظر المتفرجين حتى يجلس آخر واحد منهم . وينظر إليه ويتابعه . كأنه ليس مثلاً . وكأن الحائط لا وجود له .
أن الممثل يرى . .

هذا شيء جديد . . فى حين أن الممثل عادة يرى داخل المسرح فقط ولكنه لا يرى الصالة .

ثم يعاود الحديث إلى الجمهور . . أى يعاود النظر إليهم . .
ومسرحية «اللعب الزجاجية» لتسى وليامز يقف فيها الممثل يتحدث أيضاً إلى الجمهور . ثم يدخل ضمن الممثلين . . أى أنه يرى . . يراى . . ثم يعمض عيه عن المتفرجين . .

وفى مسرحية «الزئوج» للكاتب الفرنسى جان جنييه يؤكد أن هذه لمسرحية ليست إلا محاكمة للرجل الأبيض . ويجب أن يشعر المخرج الأبيض بأنه فى محكمة . فالمسرحية كتبها رجل أبيض للبيض . فإذا فرضنا أن المتفرجين لم يكن من بينهم رجل أبيض واحد . . يجب أن يأتى المخرج برجل أبيض وأن يستقبله بحفاوة خاصة . وأن يسلط الضوء عليه أثناء فرص المسرحية . لأن الممثلين جميعاً يمثلون له وأمامه وضده . فإذا رفض أى إنسان أبيض أن يقوم بهذا الدور ، فعلى المخرج أن يأتى برجل أسود وأن يضع على وجهه قناعاً أبيض وأن يتلقاه بالحفاوة وأن تركز عليه الأضواء . فإذا رفض رجل أسود أن يقوم بهذا الدور ، فعلى المخرج أن يأتى بدمية بيضاء وأن يحمى بها وأن يسلط عليها الأضواء . .

ومعنى ذلك أن الحائط الرابع لم يسقط فقط وإنما انتقل الممثلون إلى الصالة . .
أو أن الحائط الرابع قد إلتف حول المسرح كله .

فالممثلون ليست لهم عيون فقط يرون بها المتفرجين بل إن الممثل له عين يرى بها الممثلين أيضاً ويرى بها المتفرجين وهم يتفرحون على الممثلين ويرى الممثلين وهم يتفرحون على المتفرجين . وفى استطاعة هذا الأبيض الخالس فى الصالة أن

يدحن هو وحده .. وأن يقلب فى صحيفة .. وأن يشرب القهوة .. وأن يظهر كل أنواع عدم الاكتراث للمحاكمة التى تجرى أمامه .. وتحرى عنه ..

ومسرحية «ست شخصيات تبحث عن مؤلف» .. بلا ستارة .. لا ستارة ترتفع ولا ستارة تهبط .. وإنما الجمهور يدخل فيجد نفسه أمام مسرح مفتوح .. أو يجد نفسه مباشرة وقد اهتم بالمرح .. وقد رأى .. أو وهو «منطور» من الممثلين فليس هو الناظر الوحيد .. وإنما الممثلون هم المتفرجون ..

ومسرحية «بلدتنا» بلا ستارة ..

ومسرحية «بعد السقوط» لأرثر ميللر بلا ستارة ..

قد سقط الحائط الرابع .. بين الممثل والمتفرج .. أو بين المؤلف وبين المتفرج .. إنه المؤلف يقترب من القارئ والمتفرج ..

فالمؤلف يكتب للناس عن الناس يكتب للناس عن أنفسهم وهو ليس فى حاجة إلى أن يكون أبعد ليكون أوضح .. وإنما هو فى حاجة لأن يكون أقرب .. فهو قريب إلى نفسه .. وهو قريب إليهم .. فهو صادق مع نفسه ، ولذلك فهو صادق مع الناس ..



وكل محاولة للاقترب من إنسان ، هى محاولة للتسلل وراء «حائطه الرابع» محاولة لرؤيته بلا تمثيل .. لرؤيته على حقيقته ..

وكل لقاء مع كاتب .. مع فنان عن طريق الحياة معه أو فى أعماله الفنية ، هى محاولة لتوسيع فتحة فى الحائط الرابع .. وهى تحويل للحائط الرابع إلى جدار شفاف ..

والمرسلس إلا نوعاً من الاعتراف .. أى نوعاً من إزالة الحائط الرابع بين الفنان وبين الناس ، فيحدثهم عن نفسه .. بلا تحفظ .. بلا حواجز .. سواء نشر الفنان اعترافاته وهو حى .. أو نشرها بعد وفاته ..

فإذا نشر الفنان اعترافاته وهو حى ، كان معنى ذلك أنه لا يخشى أن يصارح الناس .. فإذا نظر إليه الناس ، نظر إليهم أيضاً ..

وإذا رآه الناس عارياً ، واجههم .. فهو قد استعد لهذه اللحظة ولهذه المواجهة ..

وإذا نشر اعترافاته بعد وفاته ، فمعنى ذلك أنه لم يقو على مواجهة الناس .. لم يقو على نظراب الناس ، إنه فصل أن يعقأ عليه حتى لا يراهم أن يموت ومعنى موت الفنان قبل أن ينشر اعترافاته ، أنه قرر أن يحرم الناس من متعة إلصاق العار به .. إنه فوت على الناس لذة بعذيبه ..

فنشر اعترافاته بعد موته ..

وأنا قد نشرت عترفات في عدة كتب البقية في حياتي .. شارع الشهداء .. عذاب هذا الكاتب .. إلا قليلاً . وفي عشرات الكتب أيضاً .

والفيلسوف سارتر نشر كتابه «كلمات» وهي اعترافات أو ترجمة حياته ونشرت «سيمون دي بوفوار» عترافاتها في «مذكرات فتاة متربة» وفي «قوة الأشياء» وفي «قوة العمر» وفي «وفاة هادئة جداً» ..

ونشر أندريه مالرو الجزء الأول من ذكرياته بعنوان «لاذكريات» . أما لأحرار الثلاثة الباقية فسوف تنشر بعد وفاته!

نشر العقاد (في بيتي) .

وطه حسين (لأيام) ..

ونشر توفيق الحكيم «سجن العمر» ..

ونشر زكي نجيب محمود «قصة نفس» ..

وقبل ذلك نشر أندريه جيد «يومياته» ..

ونشرت ماريا بشكرتشيف «مذكراتها» ..

وروسو نشر «اعترافات» ..

والقديس أغسطين نشر «اعترافات»

وأن قد نشرت اعترافاتي في عدة كتب هي . البقية في حياتي . وشارع الشهداء . ولا قليلاً وأحرار هذا الكتاب وفي عشرات الكتب غيرها .

ولكنه محاولات لرفع الحائط الربع بين الكاتب والقارىء . وبين الكاتب وبسه .

ولا يرال أمل المدن أن يرفع الحائط الفاصل بينه وبين الناس . وبينه وبين

لأشياء . ليرى أوصح وأعفق وأبعد . ولحارب أن يربط بين معرذاب الكون كله

وهم من ذلك كله وتضعف هو أن يحاول الإنسان أن يرى بفسه أوصح فلا

يرال هو مركز الرؤية ومصدر الرؤيه ، ووسيلة الرؤية ولعابة من لرؤية

أن يرى الإنسان غيره وأن يرى نفسه هـ هو كل العلم وكل الفن . والعاية
من كل علم ومن كل فن ..

والإنسان يحاول أن مسح لعدسة التي يرى بها وأن يصططها . وأن يعيرها .
فليس العلم أحدث أو العلم في كل عصر إلا تصويراً لصناعة العدسات
أو لصاعات العيون التي سطر بها إلى غيرها . وإلى أنفسنا

ولا تزال أعز آمال الإنسان أن تسقط كل الحوائط ..

بين الناس ..

وبين الأشياء ..

لا حائط ريع ولا ثالث ولا أي حائط ولا أي عائق

انه أمل يتراءى للإنسان ..

ويحاول أن يراه أوضح وأصدق وأعمق ..

هـا في هذه الصفحات ، أو في أية صفحات أخرى طهرت أو سوف تظهر



ليس وداعاً ياملل

أن يولد العفن في تفاحه ؟

ما معنى

معناه أن يولد الموت في أحلى كفر ، وفي أحمل بعث .. ومعناه أبا
يحمل الموت معنا في كل حلاينا . فكل حلبة هي نقط انطلاق
العرر ثيل فما أكثر ملايين النقط التي يحفى فيها الموت في أجسامنا ، وفي حياتنا كلها !
ولكن في حياتنا شيء آخر ، ليس هو الموت ، ولكنه نوع من عدم الشعور
بالموت .. ولا بالحياة أيضاً !

شيء ناعم المنس يسرى في أحسامنا كأنه حذر .. كأنه ملايين النمل
به يحول أدينا وأرحلنا إلى أكياس من السيلون محشوة بملايين الملايين من
ذرات الرمل .. أو النمل .
وهذا لشعور « بالتسميل » أو « بالترمل » أي لدى يجعلنا كالنمل أو كالرمل ،
هو الذي نسميه بالملل ..

والذي يشعر بالملل ليس هو الذي لا يرغب في الحياة ..

وليس هو الذي لا يرغب في الموت .

لأن لدى لا يرغب في الحياة ، يرغب في الموت . ولدى لا يرغب في الموت
يرغب في الحياة . فكلاهما يرغب في شيء . ولكن الذي يمل أو الذي تتعلمل
هو انسد لا يرغب حتى في الرعة .

والذي عنده مثل يشعر أنه ليس على صلة بالواقع إنه معزل إنه معزول
به مقطوع إنه مقطوع . إنه لا توجد لديه وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي

كأن هذا الإنسان المملول - إذا صح التعبير - بلا يدين ولا رحلين . لا توجد عنده أطراف للاتصال بالدنيا حوله .

أو عبارة أخرى : إنه يشعر بأن الواقع نفسه بعيد عنه . كأنه ينظر إليه من العدسة الصغيرة في النظارة المعظمة . . فكل شيء على مسافة منه . والمسافة بعيدة ووسيلة المواصلات صعبة . . أو لا توجد وسيلة للمواصلات

فالإنسان إنسان في حالة عجز عن الاتصال بالغير أو أنه إنسان عنده إحساس بأن الآخرين عاجزون عن الاتصال به ، ومعنى ذلك أن هناك نقصاً فيه هو ، أو نقصاً في الواقع وأن هذا النقص جعله «قعيداً» جعله حامداً في مكانه ، ربطه بمقعده ومسمر مقعده في الأرض ، كلما اقتربنا من الواقع ابتعد عنا ، وكلما اقتربنا من الواقع منا ابتعدنا عنه ، أو شعرنا بأننا بعيدون عنه .

أن تنتالوس السطل اليوناني هو أحسن نموذج لحالة العجز . فقد حكمت عليه آلهة اليونان بأن يتعذب إلى الأبد . . فقد وضعوه في بحيرة من الماء لعذب . وكلما ارتفع الماء إلى شفتيه ، وحول الأحياء وهو تحت أشعة الشمس انحسر الماء إلى قدميه ، فإذا اعتدل في وقعته ارتفع الماء مرة أخرى ، فإذا حاول أن يبلل شفتيه انحسر الماء . . وهكذا إلى الأبد .

وحكمت عليه الآلهة أيضاً أن يتعلق بشجرة نفاح ، وكلما مد يده إلى تفاحة ، ابتعدت التفاحة . . فإذا عادت ذرعة اقترت التفاحة ، وإذا حاول أن يحتطف التفاحة تباعدت عنه . . وهكذا إلى الأبد . .

وحكمت عليه لآلهة بأن يجلس عند مدخل أحد الكهوف . . وفي لحظة ينهار حجر فوقه ويمس شعره دون أن يصيبه فإذا وقف ارتفع الحجر فإذا جلس هبط الحجر . . وهكذا ، يبقى تنتالوس في حالة خوف أبدي .

ولكن تنتالوس لم يمل ، إنه كان يعلم أن هذا الحكم أبدي ، ولكنه لم يستسلم لهذا الحكم ، فقد ظل يعلو ويهبط ، ويمد شفتيه ويمد يديه ويرفع عنقه . . كأن هناك دسئس أمل أن يدوم الماء أو يندوف التصاح أو يروول الخوف

إن عيب تنتالوس إنه لا يعرف الملل . لقد كان عاجزاً ولكنه لم يكن عاجزاً تماماً . فالتكرار لم يحطم إرادته ولم يحول أعصابه إلى عصابات ، لم يحول

عصلاه إلى ملايين لسم ، إلى ذرات رمل ، لم يكن هو كيسا من النابلون ملقى على الأرض .

إن تنتالوس بطل لأن جسمه لم يعرف العجز ، ولأن نفسه لم تعرف الملل
إن الشاعر الإنجليزي مارلو قد كتب لنا في مسرحية «الدكتور فوستوس» هذا
الحوار بين الطبيب فاوست وبين الشيطان مفيستوفليس :

فاوستوس : قل لى من هو إبليس ؟

مفيستوفليس : إنه قائد الأرواح .

لم يكن ملاكاً قبل ذلك ؟

- بل كان أحب الملائكة إلى الله .

- إذن كيف أصبح بعد ذلك أميراً للأشرار ؟

- بالغرور والوقاحة .

- وأنتم تعيشون معه ؟

- نحن الأرواح الشقية التى سقطت معه وأمرنا على الله معه . فلعبنا إلى
الأبد .

- وأين تعيشون ؟

- فى جهنم .

- ولكيك لست فى جهنم ؟!

- هل الذى أحس برحمة الله وعرف السعادة الأبدية فى السماء ، ثم هو الآن
محروم منها . . ألا ترى أن هذا أسوأ من جهنم ألف مرة !

إن هذا الشيطان عبي حق ، فهو يعانى عذاباً أفسى من عذاب جهنم ولكن هذا
الشيطان لم يفقد الأمل . إنه لا يزال يدرك الفارق بين النعيم والحجم : إنه لا يزال
يتحسر على هذا الذى راح ، إنه لا يزال يشعر بأنه «خطأ» وأنه يادم على ما فعل

ولذلك رأينا لكاتب الإيطالى نابيسى فى كتابه عن «الشيطان» يعتقد أن إبليس
والشياطين جميعاً سيدخلون الجنة يوم القيامة ، لأنهم يدموا بما فيه لكفاية ، ولأنهم

تعذبوا بما فيه الكفاية . ولأن لديهم أملاً في رحمة الله ، فلا يمكن أن يصف رحمة الله دون الشياطين ورحمة الله لا حدود لها ، وهي لذلك للإنسان وللشيطان

فهو يرى أن الشياطين ، هم تفقد الأمل ، وهي لم تفقد الأمل ، لأنها لم تعرف الملل . لأنها لم تمل من اليأس لم تمل الجحيم لأن الجحيم المستمر لم يفقدها الشعور به ، والشعور بغيره . . أى الشعور بالسار وبالخنة !

والإنسان «المملون» هو الإنسان الذى مل الأمل ومل اليأس وهو قد من كل شيء ، لأن كل شيء لا يصل إليه ، لأن كل شيء أقصر من أن يمله وهو أقصر من أن يبال أى شيء . . وكل شيء أقصر من أن يتناول إليه !

تماماً كما يصع على أحسامنا لحافاً قصيراً إذا سحبناه على أقدامنا نعت رءوسنا ، وإذا غطينا به رءوسنا نعت أقدامنا .

فالواقع لا يعطى لا يكفى . ولذلك فحين نمل نحس مررتنا على شفاهنا ، أو نحس به كالصمم على أحسامنا . إنه يعرفنا لنك لا نعد أبدياً إليه . أو نحس الذين نقره ، فهو لا يتد إلينا !

والفيلسوف الوحدى بأسرر يقول . إن العلاقة التى تربطنى عن حولى هى أننى على صلة ما بالدين حولى . ولأنه أن يكون هناك صلة والإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده

ولذلك فالذى يعيش بمفرده أى بعيد أن تكون له صلة بالآخرين هو إما إله . . أو حيوان . .

فإنه ليس فى حاجة إلى أحد . ولذلك ليس على صلة بأحد لأنه قائم بنفسه وحيوان يستطيع أن يعيش بمفرده لأنه عاجز عن الإحساس بغيره أو حتى الإحساس بنفسه . ولكن الإنسان يستطيع أن يعيش أيضاً بمفرده عندما يكون فى حالة ملل .

فهو يصحح معرولاً عن غيره ، كنه ليس فى حاجة إلى أحد . كأنه إله . أو كأنه لا يشعر لا بغيره ولا بنفسه كأنه حيوان !

وسل يتسبه بى حد كسر انقطاع سبار الكهرسى . فبقصع انور الكهرسى
يجعنا برى الديق التى حولنا فى حالتين متناقضتين . فعد ما يصى العرفة مثلاً ،
برى كل شئ بوضوح . مكتب والمصباح ، المعاعد . وفى الاطلام نغرق هذه
اموحدت فى حدة من عدم المؤقت . كل شئ فى مكانه ولونه وبحجمه
وعندما بظلمى المصباح يحتفى . فالملل يتسبه حداثا عدم يظفى النور . إن
مئل ليس هو اطلام الديق يسلع كل ما فى العرفة ، ولكنه الشعور باحتفاء كل ما
فى العرفة . المئل ليس هو الاحتفاء نفسه ، ولكنه شعور باحتفاء شئ .

والمئل يشبه أيضاً انقطاع الماء الساحن وبحر بسحم . . فصل بقطع اناء شعر
بالدفء ولا نتعاش ونحس كد الماء يقوم بتدليث عضلاتنا وأعصاننا ، يعمل
متاعنا . ويلقى بها مع الصابون فى البالوعة فلا يكون بهذا كله ألا صوت عريب
صوت الماء وهو يتمشى فى البالوعة .

وعندما ينقطع الماء نشعر بضيق الدفء ، ونشعر بالبرودة . .

فبقصع اناء ليس هو المئل لكن شعورنا بأن الدفء قد قطع . بأن البالوعة
أخرى قد انفتحت وابتلعت شيئاً حاراً مريحاً كان بعمرنا ، هذا هو المئل .

وهذا المئل أيضاً الديق يصيينا بجعنا أقل تدوا لالدي . . يجعل طعمها على
السان عريباً . ويجعل ألوانها فى العين غريبة ، ورينها فى الأذن عريباً ، ولمسها
فى اليد غريبة أيضاً .

فالمئل هو الديق يجعل ما حولنا عريباً . أو يجعنا بحس عرباء فى هذا العالم . .

فالشعور بالفراة ، والشعور بالعرية ، الشعور بالاعتراب هو بديلة المئل

فالمئل يجعل العين تأف من الرؤية ، ويجعل لأذن تعاف الاستماع ويجعل
أيدينا فى حالة غثيان من لمس كل ما حولنا .

ويحس الإنسان كأن مرضاً أصاب الديق . . إنها بدأت تدوى وتحف وتتساقط .

أن المئل هو إعلان خطير ببديلة لحريف والشتاء فى عر الربيع

هذا المرض الذى أصابى و تنقلت عدواه إلى كل ما حولى هو المئل .

فأنا فى حالة الملل ، لا أعرف بالضبط إن كنت أنا الممرض أو أنا المريض . ولا أعرف إن كنت المريض الذى انتقلت عدواه إلى غيره أو أنا الضحية لمرض الآخرين ! والملل كالمريض ، من الممكن أن يصيبى دون أن أشعر به . . وليس معنى عدم شعورى بالملل ، إسى لست فى حالة ملل فمن الممكن أن يشكو الإنسان من أوجاع فى ركبته دون أن يعرف أن سبب هذه الشكوى هو تسويس فى أسنانه . أو يشكو من الصداع دون أن يعرف أن سبب الصداع هو ضغط الدم . أو إلتهاب فى المصران الغليظ .

إن الكثيرين من متاعب الأطفال والمراهقين سببها أنهم يشكون من السأم أو الرهق . فالذى يشكو منه الطفل الصغير عندما يحطم أدوات البيت ولا يقع بالتوحه من أمه أو أبيه ليس مللاً ، ولكنه نوع من الملل إنه الرهق . فهو ليس أكثر من رغبة فى تعبير شىء . ليس أكثر من رغبة فى أن يجدد صلاته السيطة بالعالم الذى حوله .

أما الذى بصيب الكبار ، الذين تعددت صلاتهم بالعالم ، وتعبوا من حياتهم ، واتعبوا حياتهم أيضاً ، فليس زهقا ، ولكنه شىء أعمق : به الملل .

هذا الإحساس الذى يجعلنا نحد صعوبة فى أن نتصل بغيرنا . وأن تصل إلى غيرنا أطارنا ، لأن وسيلة المواصلات أو الاتصال بالغير هى الدعة ، هذا الإحساس هو الملل فى أعلى درجاته . فاللغة عاجزة واللغة مربوطة بسلاسل اسمها المطلق ، أو قواعد العقل . حتى هذه السلاسل لا تربط اللغة ، إنها تحيقها . إذن والعقل هو خائق اللغة . . وعلى ذلك فأية لغة عقلية هى لغة محبقة وأى معنى تنقله هو جثة معنى .

ولذلك فوسائل الاتصال بالغير ميتة فالإنسان حى ، ولكن موصلاته ميتة . إنها جثث ألقاط ، وقبور معان ، وعفن فكرى .

ومن هنا ظهرت كل الاتحاهات الأدبية والعصية التى تقول : إن كل شىء عمل . كل شىء سخيف لا معنى له . وإذا كان له معنى فللعنى تافه . فلا معنى لشىء ، ولا طعم ولا فائدة من الكلام عن شىء .

ولم يقل أدباء اللامعقول أو أدباء العث غير أن الحياة نملة ، وإنها عث أى بلا عقل ، أى أنها موحودة بلا مرر فلا مرر لوحودى أو لوحودك . أو لوحود كله !

وعندما صدرت قصة « الملل » لأديب إيطاليا البرتو مورافيا استقبلها الناس بشيء من الفتور واعتبر المؤلف أن هذا الاستقبال هو أعظم تحية له ولقصته الصولة . فكان الناس قد قابلوا الملل بالملل .

كأنهم وضعوا على وجوههم الأقعة المملة ، التي تناسب رواية تتحدث بمتعة عن حياة لا متعة فيها .

وبعد هذه الرواية ظهرت في إيطاليا أفلام تتحدث عن الملل . عن مدينة روما - وكل عاصمة أخرى - التي تتشاء وتتلوى في كسل . إنها تتشاءب فيفتح الناس بيوتهم ، ويخرجون كأنهم مغص تتلوى به شوارع روما . إنها تلفظ ساكنيها في قرف يومي مسنهر .

وكل العواصم تتشاء وكل سكان العواصم في قرف . ومعظم المدن أصبحت تقلد العواصم ولذلك فالعالم يعيش في عصر الملل .

وقد حاول مورافيا في قصته « الملل » أن يفسر لنا فلسفة الملل . وكيف أن هذه الفكرة قد ملأت حياته . وكيف أنه حاول التخلص منها بالتفكير فيها . أي بالنظر إليها من بعيد . . أي بالتسامي عليها .

ومورافيا يؤكد لنا أن هذه مجرد فكرة حطرت به ، وأن وقته لم يتسع لدراستها . أو أن وقته يتسع ولكنه مل التفكير في الملل .

فهو يقول لنا أن أول آية في الكتاب المقدس تنص على : أنه في البدء خلق الله السماوات والأرض . .

وأنه شعر بالملل .

وبعد ذلك خلق آدم وحواء .

وادم وحواء شعرا بالملل في الجنة فارتكبا أول خطيئة . ثم أنهما قد ملأ الحياه على الأرض ، فارتكبا أحد أسائهما أول جريمة . ففصل قابيل أحياه هابيل

وبنوح عندما برل إلى الأرض مل لحية عليها فاحتزع السيد . وحاءت الإمبراطوريات القديمة الواحدة بعد الأخرى . إمبراطورية مصر ، وبابل ، والإغريق ، والرومان

ومن الوثنية حرحت المسيحية . ومن الكاثوليكية حرحت البروتستانتية

ومن الملل من أوروبا ظهرت أمريكا .

ومن الملل من الكرة الأرضية ظهرت الأقمار الصناعية .

ومن الملل من الإقطاع اشتعلت الثورة الفرنسية . .

والملل من الرأسمالية أدى إلى قيام الثورة الروسية . .

ومن الملل من المثالية ظهرت الشيوعية . .

ومن الملل من الشيوعية ظهرت الوجودية

ومن الملل من المثالية والوجودية صهرت الحداثات اللامعقول في مسرح وهي
اشعر وهي لرسم في نوا وفي نيريك وأحمر في العالم معرسي

ولابد أن تسهي موحدة الاعمور شيء حديد معقول جداً أو أكثر تطرف في
نفس ومفرد في لابد أن يصهر شيء معقول حد شكر غير معقول في لابد أن
يعقل - أي يربط - العقل بنفسه

ونسب جرائم لأورد إلا بسبب ذلك في أصاب مجتمع

وليست الحروب إلا بسبب الملل الذي أصاب الشعوب

فكما أن مجتمع يريد أن يسبي . يريد أن يفيق من ملله فهو يستدرج أفراده إلى
إصلاق النار ، وسيلة التدمير ، فمجمع ينضم بنفسه لشيء لكني يصحو

نقد كان نشأ عن الأمل في شئ عسما يعمله يوم من تعب ، يصنع مصباح قريباً
من وجهه فكما عنه اليوم قرب رأسه من النار فصحو فهو يوقظ نفسه بالنار

وكذلك الشعوب توقظ نفسها بالنار توقظ نفسها بأن تحرق أفرادها ، مثب
الألوف من أفرادها ، حتى لا يروح أساقب صحبة اسل صحبة شعور يأكل كل
شعور آخر صحبة سوس بسس إلب وبأكب من دخلنا صحبة شيء عرب
يدخلنا فيحولنا إلى قور له

فكر ميكروب ينسلل في جسمي ، في دمي ، يصيبني مرض وهو في
لوقت نفسه يعمل على تحويلي من كائن حي إلى مقبرة لكائن حي إلى مقبرة
في . إلى إنسان لا يحمل ملأسه وإنما يحمل كفه . إلى إنسان يمشي في حجرة
بفسه إلى إنسان هو الميت وهو النعش وهو المشعور وهو المقبرة أيضاً .

هذا الخوان العريب ، الذي يتسلل إلى داخله هو الملل . والشعوب بدلاً من أن
نفس الملل تقتل الأنوف من أنفائها . تقطع رجليها بيدها ، تقطع رفاها بعقبها .
تغرق الملل بالنار . . وتغرقه في الدم .

وقد كان الرومان يطلقون الوحوش على المساحين . . ويتفرحون عليهم بنفس
الحماس لدى يتفرح به لأسان على مصارعة الثيران . ويتفرح به أساء أندونيسيا
على مصارعة الديوك . ويتفرح به اليابانيون على المصارعة اليابانية . لقد كان
الرومان يعانون من الملل .

ولابد أن يقتلو الملل . ولابد أن تكون هناك دماء حبة . دماء حيوانات أو دماء بشر
والملك شهريار في «ألف ليلة وليلة» كانت تروى له شهرزاد قصة كل يوم .
وكانت قصصها مسلية .

فقط مائة وعشرون قصة على مدى ألف ليلة وليلة . ولكنها لا تستطيع أن تروى كل يوم
قصة . وحتى لو استطاعت فكيف تستطيع بسا و حد أن يسمع من امرأة واحدة ألف
قصة . إن القصة قد تكون مثيرة . ولكن كيف تكون امرأة واحدة منمره دائما .
وإذا كانت المرء مثيرة ، فكيف تكون لرحل هو نفسه مستمتعاً طول لوقت ؟ .
كيف لا يملها ؟ كيف لا تمل ! .

ولذلك أنا لا أعتمد أن ألف ليلة وليلة بدأت عندما فشل الملك شهريار روحته
لأنه وجدها في حضن أحد عبيده
أنا أعتمد أن شهريار كان يجب أن يقتل شهرزاد . . بعد أن أكملت القصة
الأولى بعد الألف .

فمصل شهرزاد . بعد أن أكملت القصة الأولى بعد الألف هو لداية الحقيقية
لقصة ألف ليلة وليلة . فليس من المعقول أن يفصل رجل واحد قصة واحدة
مسلسلة من امرأة واحدة .

وإذا كان الملك شهريار لم يقتل شهرزاد في النهاية . . ولم تقتله شهرزاد في
النهاية . . فسبب ذلك إنها لم يعرفا الملل

بل إن مؤلفي ألف ليلة وليلة لم يعرفوا الملل . . ولو عرف المؤلفون الملل ، قتلوا
شهريار أو شهرزاد .

أم حتى الدين يعانى الملل ، ولابد من أن تبدأ قصة شهر راد بأن يقتلها الملك فى النهاية .

وأنا أعتقد أن شهر راد عندما كانت تتشاءب فى نهاية كل ليلة ، لم يكن هذا التناوب نفسياً . أو فلسفياً . . . إنه تناوب حسدى . . . إنها متعة فقط . هي متعة أو المؤلف هو الذى تعب .

ولابد من إنهاء هذه الحلقة واستئنافها فى اليوم التالى

فالتناوب فى الف ليلة مضبوط مع صياح الديك .

حتى الديك لم يعرف الملل !

ولكن ألا توجد وسيلة للخلاص من الملل ؟

هل الملل قد أصبح كلون البشرية ، لا يمكن أن يروى إلا بروى صاحب الشجرة !

هل الملل أصبح كالقبع الموحودة فى حلد السمر لا أمل فى غسلها ؟

أبوجد هناك أمل ؟

هد الملل يدل على أننا لم نعمل بما فيه الكفاية . و على أن هناك نوعاً من

لمسام من الفتحت الصغيره فى الكيس البايلون الذى اسمه الملل

حتى السرنومورافيا عندما صدق بالملل ، راح يفكر . . تماماً كما فعل نوح قبل أن

تغرق الدنيا . لقد صنع سفينة من الخشب . والسفينة عباره عن ألواح خشبية هذه

الألواح موصوعة بعضها إلى حوار بعض أن هناك فكرة فى رأس نوح ، وهذه الفكرة

تجسدت على شكل سفينة .

وهذه السفينة ، أو هذه الفكرة الخشبية ، هي التى أنقذت نوح من الطوفان

والطوفان الحديث اسمه الملل . .

ونوح الجديد اسمه الحب . .

فالحب هو الذى يصنع السفينة . .

هو الذى يصمم غصناً خافاً إلى حوار عصى جاف ويسى فوقها بيتاً هذا البيت

العائم هو السفينة .

وقد كانت سفينة نوح تصم كل أنواع الحيوانات والدور . لقد كانت السفينة دنيا صغيرة .

وفى مواجهة الطوفان والضياع ، يجب أن يصنع ديب صغيرة . . هذه الدنيا يجب أن نحيطها بأنفسنا . . أو نحمل هذه الدنيا هي أنفسنا . فبحر الدنيا . نحن دنيا أنفسنا . نحن غاة لأنفسنا . نحن الوسيلة الوحيدة لأسعاد أنفسنا ونعاش أنفسنا أيضاً فكما نبني السفينة ، تكون رحلتنا عبر الطوفان .

إن الطريقة الوحيدة للهرب من الملل ، أن نتخلص من مللنا هي أن نحب . هي أن نحدد صلاتنا بالعالم الخارجي . هي أن نحس أن هناك صلة . وأن كل شيء في مناوئنا . وأن كل ما في الدنيا هو عبارة عن يد ممدودة لتصفحنا . إن كل ما في الدنيا شعاه في انتظار تقبلنا لها . فالمرار من ملل هو أن نفكر في الملل . والتفكير في الملل هو محاولة للتسلل في داخل جدرانه لناعمة . وإذا تسللنا في داخل جدرانه لناعمة . وإذا تسللنا إلى أعماق الملل ووسعنا هذه الفتحة وأصحت هذه الفتحة هي لبالوعة لى يتسرب منها لرمز والتمل . من داخل الكيس السيلون الذى هو أجسامنا ونفوسنا . إن أروع ما قاله إسماعيل في علاج الملل ، هو ما أشده الشاعر الأمايى ريلكه فهو يتغنى بقوله :

- قل لى يا شاعر ما الذى تفعله فى هذه الدنيا ؟

- إننى أحبها !

وهذه الأشياء الكريهة الشريرة ، كيف تحتمها ، وكيف تقبلها ؟

- إننى أحبها ؟

- وهذه الأشياء التى لا اسم لها ولا معنى لها ، كيف تحتار أسمائها ومدلولاتها ؟

- إننى أحبها !

وهذه النجوم البعيدة الهائلة وهذه القوى الصامتة الخفية فى هذا الكون كيف تعرف طريقها إليك ؟

- إننى أحبها ! . .

لأنه يحبها ..

لأنه يجدد الصلة بها ..

لأنه يجعل الصلة تتحول إلى وشائج حارة خفاقة ..

لأنه جعل للديب قلبي حصفان في وقت واحد . لأيهما يؤديان حُناً واحداً
ورغم أنه متكرر .. إلا أنه تكرر لا يولد الملل .

إيه كدمعان الحجوم متكرر . كدفات القلب مسكررة ولكن عن طريق هذه
الدفات المتكررة تسع أكثر العواطف احتلافاً وأكثر العواصف بهتاناً وهدرة على
إنتاح أجمل وأعمق وأبقى ما صنع للإنسان ! .

فأنا أحب . وأنت تحب . وشهريار الملث يحب إذن لا أنا ولا أنت ولا هو
سنعرف الملل ! .

ولكن هل الحب وحده يكفي ؟

ربما ...



توفيق الحكيم شاعراً

من

أربعين سنة كان توفيق حكيم في باريس عسى في الشوارع
ولا أحد يعرفه. كان داغلاً مدهلاً كما يفعل لأن صغره
كان له عيب ولا في في قفنه كرائيه من حشد شعراء ولا في
حيه فلم يصيبه مات ولا يعتمد على سيرة أحد لا يصله إلى نسب ولم يكن
معروف عند أحد أو أحد كان يدعى مساف في باريس يرى بوفر وعجرح
بلا معنى وضح من مشهده توحات بيكسو وورك ولم يكن موسيقى
استر فيسكي أي معنى عنه وكان عديم يعود إلى ستة يكتك كدمات متفاهة ثم
يمر بوقت بصفيين ويجعل من كل نصف ساعة ستاً ومن هذه الأصف
قصيدة ولا يستطع أن يعرضها على أحد ولا يستطيع أن يعبرها إلى القاصدين
فقد كانت القاصه مشعوبه بعركة شعر المعروفة من شعبي والعماد أو شعر
للفلندي ونسعر الروماني ولكلام لمصوم أو ستر المورون الذي كان يكتبه توفيق
الحكيم نفسه لا يمكن أن يسميه شعر ولا يستطيع في حين كانت أوروبا
تسميه شعراً وتنشره وتقوم المظاهرات من أجله ..

نفذت مظاهرات في السور من أجل الشاعر أندريه بريتيون وفي المظاهرات
استخدم الأدباء لبيص والطماصم وفي إحدى السوات صرخوا لشعراء بلحم الأبقار
وكان من حكمة توفيق حكيم أن تحتفظ بالقصائد التي نظمها فيما بين سنتي
١٩٢٦ و ١٩٢٧ سر ولم يشرها إلا هذه الأيام ثم نشر توفيق الحكيم على حكمة

لنشرها . فقد رأى فيها الدور الأولى للمسرحيات اللامعقولة التى نشرها بعد ذلك
ياطالع الشجرة . . ورحلة صيد . . ورحلة قطار . . والطعام لكل فم

ومعنى ذلك أن هذه الدور التى أسقطتها فى أعماقه الاتحافات السريالية فى
الآداب والفن والموسيقى ، ظلت فى مكابها . . ولم تنته هذه البذور وتثمر إلا بعد
أربعين عاماً . .

فهى بدور فى ربيع العمر ، ولم ترهر وتثمر إلا فى خريف العمر
وقد وضع توفيق الحكيم هذه القصائد وهو برقص أن يسمى نفسه شاعراً - مع
مسرحيتى رحلة صيد ورحلة قطار فى كتاب واحد بعنوان : رحلة الربيع والخريف
وقد أثار توفيق الحكيم الأدب الحديث مسرحياته اللامعقولة . وهو حريص
على أن يحتفظ لها باسم «اللامعقول» وإن كان بعد مشاهدته لها على المسرح وفى
التلفزيون يؤكد أنها معقولة . ويحشى الحكيم أن يسميها مسرحيات «عشية» .
لأن مسرحيات العث أساسها أن الوجود لا معنى له وأن الحياة بلا قيمة . فكل
شئ عث . لا معنى ولا هدف وإنما صياح فى صياح والحكيم يرى أن فى
مسرحياته معانى عميقة . وإنه ليس من الضروري أن تفهم هذه المعانى .
وأن يفهمها هو فهو يعبر تلقائياً عن مشاعر فى أعماقه وهى كما تخرج من
نفسه يضعها فى الإطار المسرحى . ولابد من الإطار التقليدى مهما كتب هذه
المسرحيات لاتقليدية !

وبهذه القصائد التى استلهم شكلها من القرآن حيث الآيات منطومة ومثورة .
تكتمل كل شئ لتوفيق الحكيم فهو قد كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية
التقليدية والمسرحيات اللامعقولة . والشعر السريالى أو هذه البقع الشعورية
واللاشعورية .

وتوفيق الحكيم يربط بين معماراته وهو شاب ومعمارته وهو شيخ . فهو فى شبابه
معمار شجاع يريد أن يعرف . وهو شيخ يريد أن يتحرك . يحشى أن يحمده . به
لا يريد أن يكتب فى إطار واحد لا يخرج منه . إنه يحشى أن يعتد على شكل
واحد فهو هارب من هذا الحمود ولذلك يحدد نفسه بطوره

والذى يتصور توفيق الحكيم وقد ارتدى قمصان رعاة البقر . وعلى القميص بقرة وشجرة . والبقرة فوق الشجرة . وفى قم البقرة مدعقة . ثم يجد فى عنق البقرة ورقة مكتوباً عليها . ولدت فى مكان كذا وهدية إلى حديقة الحيوان من فلان . ثم يجد لمشجرة رقماً . كما يفعلون فى الهند . . ثم يندهش لهذه الشجرة وهذه الألوان لقمصان رعاة البقر التى اختارها توفيق الحكيم لنفسه . إنه إذن لا يعرف توفيق الحكيم !

فتوفيق الحكيم بتجدد ويسبق كل من حوله من شأن الفن وشيوجه . وسرعة يرتبط بالإطارات الفنية الجديدة . .

والحقيقة أن توفيق الحكيم مشغول بفنه . . يريد أن يطره أن يحدده . وتوفيق الحكيم أكثر الأدباء تطوراً وتحداً وهو يجدد نفسه . . ويغامر ويعرف . وهو يفتح الطريق أمام غيره من الأدباء . ويوسع الأفاق . ولكنه فى الوقت نفسه يحشى عليهم من العسة ومن الصباغ ومن أن يكون ارتداء لقمصان الملونة هو كل هدفهم . كما حدث عندما ظهرت أعمال فية لبعض الشبان . أما توفيق الحكيم فيرفض أن يسمى المسرحيات أو الأعمال الأدبية التى حرقها التيار .

فتوفيق الحكيم لم يلبس القميص ذا الأنقر حياً فى التقاليع فعنده عشرين ليدل والقمصان لمحرمة ولوقورة أيضاً : فأعماله الأدبية جادة وعميقة . وهى أعمال فية فالمسرح اللامعقول هو تجديد فى مسرحه التقليدى لدى عرفه . فهو فنان وقادر . وهو يحدد نفسه بعقل . ولذلك فعقله يسكه الآن . ويعيده إلى الخط القديم الذى سار به وسر عليه . فلن يكتب توفيق الحكيم مسرحيات لا معقولة ويرى من واحده أن يحول السار الأدبى لدى حرف انشاد إلى مهاوى اللامعقول وغياهب العث !

وتوفيق الحكيم مدفع بعقل وصال بهدف . ولا معقول بحساب . . ولذلك وفى درج مكتبته دراسة واضحة خطواته . وبينان دقيق لتاريخ حياته . ومسرات ومسوغات وحشيات الحكم لصالح توفيق الحكيم . .

وَأَنْ تَقْلُ ثَلْ هَذِهِ سَمْعَ سَعُورِيَّةٍ وَالْأَشْعُورِيَّةِ وَأَنْتَ حُرٌّ فِي تَسْمِيَّتِهَا شَعْرٌ
أَوْ نَثْرًا وَأَنْ تَخْتَارَ لَهَا الْمَعْنَى وَالْعَوَانِ الَّذِي يَعْجَلُكَ

«عملة صفراء من ذهب ذهبت ..

في مثل برق العين هوت

وعلى رخام الأرض الأحمر تدرجت بصوت حلو الرنين

وفي ثقب اختفت

فأب حادته بوقحه بالتسمة صفراء لا من دعوى أمسح برخام ثم حعب

تطلعي بالأحمر شفقتها»

وَأَنْ لَا تُعْجَلْ بِمَقْصُودٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِمَا تَوْفَّقُ الْحَكِيمُ قَدْ عَظَمَهَا أَوْ شَرَّهَا
وَتَرَكَهَا كَمَا هِيَ أَرْعِيئَ عَدَمًا سَعْدَ بَرْدٍ أَوْ عَظَمَهَا يَوْمَ بَشَرٍ بِصَحْفِ بَرَسِيَّةٍ
قَصِيدَةُ الشَّاعِرِ الْيَوَارِ يَقُولُ فِيهَا :

مَرْءٌ عَنَتَ مَعَهَا مَرْءٌ عَاشَ مَعَهَا ، مَرْءٌ سَاعَشَ مَعَهَا بِنَسِ الْخِيَاةِ لَا
أَحْجَرَ دَاءٌ مِنْ حَبِّهَا أَحْمَرُ وَقَفَرًا أَحْمَرُ وَقَفَعَتْ أَحْمَرُ ، وَحُورِيكَ
سُودَاءَ .. أَنْ صَدْرَهَا هُوَ قَلْبِي !

ويوم نشر الشاعر بريتون قصيدة أخرى يقول فيها :

«دَيْتُ لُصُحُو تَحُولُ إِلَى كَرَسَاتٍ بِرَمَادِ الْفُوسْفُورِيَّةِ هِيَ سَاعِدُهُ مُنْأَخِرُهُ فِي
بَصْفِ الْمَيْمَنِ بَيْنَ أَحْصَابِ امْرَأَةٍ مُسْبِيَّةٍ وَ سَمَمِ قَلْبِ مُرْقٍ عَنِ الْتَامِي وَعَلَى
الْمُخَدِّ الْمُسْدُودِ وَالْعَارِ وَ حُجُوعِ تَحْتَ قَدَمِي بَقَرُهُ مَسْرُوقَةٌ »

ولكني أساعدك على فهم قصيدته بوفيق الحكيم أطلب إليك أن تلاحظ الألوان
والسمع ، التوبيخ في الذهب و لا تسمة و برحمة ثم عيبك أن تحذر المعنى لدى حسن
به فهي مجموعة من الانطباع بالاشعورية سجدتها ، الفصل خاصة احساسه به
أما لا أعرف أي عنوان حنانه لها ولا توفيق الحكيم ، اختارها عنواناً وعندما
سأله عن معناه وعن عنوانها فكر طويلاً واسترجع ما در في عقله أو في أعماق
لأشعوره ورجح نصب بدورها في صمته ، ثم جعل عنوانها قبة

القاف مصمومة طبعاً . وعنى ذلك فالرحام الأحمر هو الشفاء . والساقى ليس
من الصعب عليك أن تهتدى إلى معناه . وإن كان توفيق الحكيم لا يرى أن لا هتداء
إلى معنى واحد ليس شيئاً مهماً !

وم منظومة أو منشورة أخرى لتوفيق الحكيم تقول :

تنفس صبح من أنوف خيول

تركض لاهثة فى وهاد نفسى

أسمع فى أعماق الصهيل

امعوها من لحاق بنفسى

والمعنى الذى يقصده توفيق الحكيم لا يمكن أن نهتدى إليه بسهولة ولكن فهمت
من توفيق الحكيم أن هذه القصيدة يمكن أن يكون عنوانها .

ومعناه أصباً هو محاولة تسيير أو «محاولة لدخول الماصى» وقصائد أخرى
أوضح وربما أجمل ..

وفى مسرحيتى «رحلة صيد» و «رحلة قطار» يؤكد توفيق الحكيم أن الألوان
والسقع البوابة التى قد طفت على المسرحيتين لدرحة أنه يمكن أن نقول عن
الدرجات اللونية ، إنها هى لليلة حقيقة لكل من المسرحيتين

وفى حنام مهدمة «رحلة الربيع والخريف» يقول فمهم بكر من أمر ، فإن المهم
هنا الآن ، إنما هو مجرد أن حقتين فصل بينهما أعوام طول ، تتعرف إلى أى حد
تحسب السيرة فيما وسام ثم يصحو وتظهر فى أعماق وأشكال مختلفة على مدى
العمر ومراحل الفكر .

والخليفة أن السيرة لا تصحو ولا سام وما الذى سام وبصحو ويهتض فى سرية
وشباب ومعارمة هو توفيق الحكيم نفسه أكثر الأدباء تحدد وأكثرهم تطلعاً
واطلافاً وأثبتهم قدماً على كل طريق جديد .

أن القميص الأحمر المطروح نون النمر ليس شيئاً يرتديه الحكيم على حده
إنه هو شره . إنه هو الذى يسمو ويتطور وهو الذى يسحب التيار الأدبى ويحول

وبعد أن حول محرقى الأدب الحديث ، يريد الحكيم أن يعود به إلى مجراه القديم
إن توفيق الحكيم قد مل الغرفة الصيقة المظلمة التي يعتقل فيها كل إنسان
فدراته وخياله . قد مل الحكيم نفسه . مل توفيق الحكيم . فهو فتح طاقة في
نفسه . . وأطل برأسه وابهر ورأى وفهم وفكر وكتب . والذى رآه مثير ، والذى
كتبه مثير . وبعد ذلك ، وبعد أن بلغ حريف العمر ، يعود الحكيم إلى عرفته
القديمة المليئة بلوحاته وأدواته الفسفة ويستطر لعله يكتب أى شيء جديد
ونجربة حديده بتوفيق الحكيم نشرها فى كتابه «قالما الحديد» . وفى الكتاب
يعيد حكاية المسرحيات العالمية على أنسه ثلاث شخصيات قديمة الحكاواتى
والمقلداتى والمداح . .

إنه شكل «السامر» القديم . . أى المسرح اللامسرحى . .
وهى فعلاً خطوة جديدة وجريئة . .

إن توفيق الحكيم أكثر شباهاً من الأدباء شبان ، وأكثر معاصرة وأكثر جرأة .
وقدر منهم سعياً لحل شيء حطر هو إحساسه بالملل والتخلص من الملل
بالعمل . . وبالعامل الحديد !



مسرحية لحاطع العسل

كما

يحمل عصمور سرة في مقفله ، ثم يقيسها على الأرض
ويختفى . كما تسقط سحابة قطرات من الماء فوق بحيرة ، ثم
تتلاشى هذه السحابة .

كما ترمى موحة عذبة حثة إلى لشاطئ ، وتعود ابوجة تعتسل في البحر .
بهذه المعاني تبدأ مسرحية «صعم لعسل» لأديبة إكلتر الشاة شايلا ديلاسي
والمسرحية تبدأ بأن نرى أم وابنتها وقد حملت كل منهما ملابسها وذهبت إلى
شقة جديدة . وكلمة «حديده» معها شقة أخرى ، شقة ثانية ، محتلمة عن الشقة
الأولى فقط فلا شيء حديد . لا الأم حديده عن اعتمع ولا لعدب الذي تعديه
الاسه حديد والشقة نفسها باردة مظلمة ومصححها لوحيد يتدلى من السقف
كأنه قطعة من السار تسع العبر وتكوى الطلام ويوجع استها
والأم إحدى بنات الليل . .

وهي اتخذت هذه الشقة مسكنا ومنجأ .

ومن اللحظة الأولى يجد الاسه كارهة لهذه الشقة وكارهة للأم أكثر الأم
مركومة . ولاسه تكره أن تبين معها في مكان واحد وفي سرير واحد . وكل
شيء يدل على أن المعركة بين الأم وبين الاسه قديمة وأن لاسه تقاوم هذه
لعدوى ولكن الذي تراه ابنتها مرضا . تراه الأم حياه وأن الإثم - إذا صح أن هذا
مرض هو مصدر حياة الاسه . وهو المسئول عن ذهابها إلى مدرسة . فالأم لا
تريد أن تكون استها عذبة وأن تعيش على أهواء الرحال . وأن تظل طول عمرها

معروضة للبيع ولماومه كل سله . إنه تستنكر هذا الوضع المهيئ للأم . ولكن
الاسه لا تعرف إذا توفقت أمها عن محاربتها فما الذى يمكن أن تفعله بعد ذلك . إن
أمها لا تعرف أية صناعه . إن أمها تحسب أقدم تحارة فى التريح . تحارة أن يبيع
الإنسان نفسه . وهى فى نفس الوقت أحرق قيد تحريره للإنسان .

أن الابنة ساخطة فقط . وليس عندها حل . ليس عندها دليل ولا برنامج
والابنة فى حيرتها تتفلسف ..

ربما لم تكن هذه فلسفة وإنما هى تساؤلات مرهقة .. فتسألها من يكون أبوها
والأم لا تعرف ولكن ما قيمة هذا الأب إنه واحد ككل واحد رجل له نظرات
عريضة هذه الطراب هى التى أخرجها عن وفائها كروحة لرجل مهندس وفى لحظة
حدث كل شئ . وبعد هذه اللحظة كان لابد أن تكون أما بعد تسعة شهور

وتسأل الاسه كيف كان هذا الأب كيف كان لونه شكله عقده والأم صعباً
لا تعرف . وإن يؤكد لها فقط أن ستهل لها نفس عسى الأب

وسأل الابنة : وأبى هو هذا الأب ؟ والسؤال لا جواب له أيضاً .. وأنه لا قيمة
له . لا السؤال له قيمة ولا اجواب له قيمة فالأب حى أو ميت لا يهم فلم يكن
نأ ولا صديقاً ولا حبيباً . أنه عصور ألقى بذرة واحتفى

ومن اسقف تتساقط قطرات ماء . فالتبت قديم . والبرطوبة قاسية والنصوء
حفت والحر حار والأم مركومة . والعصاة لا تريد أن تتحرك فى هذه شقة أو هذه
المقبرة . ولا تريد أن تؤدى لامها أى عمل . فهى لا تكرر لها أدنى احترام ولكن
ليس لديها طريق آخر تسلكه ..

وتعاجز الأم برجل بدخل الشقة .

إنه صديق قديم . اهتدى إليها ثم جاء يعيد ما كان بينهما وهو الآخر لا يطبق
النقاء خطة فى هذه الشقة الباردة . ولا يجد ما يدمىء جسمه . فلا توجد حاجة
حمر أو قدح شاي أو فهوة ولا يوجد فرش ولا مدفأة . وليس أمامه غير الأم
ويعاسفها ويطلب إليها أن تهصص من الفراش وأن يدها إلى أى مكان . أن يتروحا
مثلاً . ما المانع ؟ وفكره الروح لا تراه تسعد أية امرأة . وسرعة برىدى ملابسها
وتخرج مع هذا الرجل لكى يتروحا فوراً فالأم لا ترال تحشى نفسها وتحشى من

غيره استنها وتحاول الأنتة أن تعرف ما إذا كان هذا الرجل حاداً في رواجه من أمها ونفسه في حافضة مفردة فتحد فيه صبوراً لأطفال ولروحة ولأم . وتحاول أن تنبه أمها إلى أن هذا الرجل مسروح بالفعل وأنه سحر منها وسكن الأم بسبب هذا إلى عيرة ابنتها .

وسارع لأم إلى الرجل لدى سيقها إلى عالم آخر إلى الرجل الذي سيطقوا بها فوق المجمع ، لدى سيرفعها من الحصى اسارد إلى الرصيف إلى بيت به دور وفيه أكثر من غرفة ، وفيه مساحات وحول الست حديقة وفيه مدقة وفيه سرير واسع وهذا سرير سبلد سرير بطش بهو ولعب ، ويحب الأم . ولا يكرهها ولا يحدد عليها ولا يسألها عن شيء ، لأنه يعرف من هو نوره . إلى آخر أحلام بنت من بنات الليل ..

وتحصى لأم شهوراً وترتئنت تنبه تنمسه في ممرسه القبول يعمل في أحد مضاعف وتكسب فونها بنفسه وفي عذاب لأم تعرف لفظة بحر موبد نسو . به يعمل بحرص في إحدى حواجر ويصدر حجب ناخب وتعرف به بأنها تحبه وسرعة يتحابان . أو هكذا يبدو لكل منهما أنه يحب الآخر ..

أهى الرعية في الهرب من الأم ؟

أهى الرعية في الانتقام من الأم ؟

أهو حرص القادة أن يربط بأحد ، أن يسمى إلى رجل فيرفعها من تحت يمين فوق ؟

ودهب اشترى الأسود وأتى بها بحاتم وحاء اختتم أكبر من أصعها وبلا من أن نصعها في أصعها ، وصعت حمام في مدين ، ولعب اسديل حول عبقها - فقد ارتطبت به على أى حال .. أحسته .. وأحبها .

واحتفى النجار في رحلة طويلة ..

وضهر في السفة السدعة صديق محيد محاييد بين احسين فلا هو فتاة ولا هو رجل وسلك شعرب غفلة بسعادة لأن تكون في شقة واحدة مع رجل مفروض أنه رجل - لا يظن منها شيئاً لا يظن منها أى مفاسد لكن ما يؤده من خدمات لفتاة حامل في الشهر الثامن ..

وحتى عندما حاول أن يكون رقيقاً معها ، طلست إليه أن يتمرن على العلاقات العاطفية في مكان آخر . وعندما طلب إليها أن تتروحه رفضت أن يكون لها أية صلة بأي رجل بعد ذلك . كرهت الرجال كلهم . . كرهت الرجل الأسود الذي هو أب لطفلها . . فهي لم تكن تحبه . كرهت الرجل الذي لا تعرفه وكان أباهما . كرهت الرجال الذين يعرفون أمها ، كرهت المسافة التي بينها وبين أمها على السرير . . وهذه المسافة تفوح منها رائحة السجائر . . رائحة الرجال . .

وعندما تعود الأم فحاة تلتقى بهذا الشاب المحيد وتعرف منه ما أصاب انتها .
وتعود الأم بأمتعة حديدية ولهجة حديدية . لقد تحولت الأم إلى إنسان آخر أكثر
رقة وحناناً ..

وعريرة المرأة تعرف الامة أن أمها لم تتروح وأن الرجل قد عررها فلا يوب ولا حدائق ولا كنيسة ولا قسيس ولا احترم ولا حب .. ولا فوق وإنما تحت تحت ..

وَحَاوَرِ الْأُمَّ أَنْ تَنْكَرَ، وَلَكِنَّهَا فِي الْنَهَاءِ تَعْتَرِفُ لَاسْتِهَا الَّتِي أَصْحَبَتْ فِي وَضْعِ مَآثِرِهَا فَكَّرَ مِنْهُمَا بِعَرَفِ مَعْنَى الْأُمُومَةِ وَيَعْرِفُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَصْحَحَ الْمَرْأَةُ أَمَّا مَنْ غَيْرَ أَنْ نَحْتَفِظَ لِلرَّجُلِ بِأَيِّ احْتِرَامٍ إِنَّمَا لِلْأُمُومَةِ فَقَطْ هِيَ الَّتِي تَسْتَدْرِجُ الْمَرْأَةَ إِلَى أَنْ تَحِبَّ الرَّجُلَ لِحُطَّةٍ وَتَكْرَهُهُ طَوْلَ عُمُرِهَا بَعْدَ ذَلِكَ ..

ونعرف الأم أن ستمها لم تتروح وأن الحاتم الذى فى أصعها واسع عليها .. والأم تعرف هذه الخيل وتعرف أن الرجل يتقل من امرأة إلى امرأة بنفس السرعة التى يتقل بها الحاتم من إصع إلى إصع وتعرف بتحريتها أن الخواتم التى يحتمها هذا السوء من الرجال واسعة عاده فارجل يثبت حسر بيته بأن يحتم حتما ويضعه فى إصع أية فتاة .. ثم يسترده بعد ذلك لأنه واسع فليس هذا حتما إنما هو طوق نحاة لكل رجل .. وحبل مشقة لأية امرأة !

وكن الامة ترى فيها قد بلغت الس اتى لا تقبل فيها بصالح أمها وهي
نعمل وهي تكسب . وهي نسي في حاجة إلى أمها أو فلوس أمها
وتؤكد لها الأم أنها اعتادت أن تعطيها ما تحتاج إليه . .

غير أن الابنة ليست في حاجة إلى المال . أنها في حاجة إلى مسسئفى
أو إلى (حكيمة) ..

وتحس الأم بعدد استنها . فهي الأخرى قد عنت هذه لأومة . والاسة قد تجاوزت المرحلة التي يمكن التخلص فيها من الجنين . وكل تصرفات الأم نذل على أنها قررت أن تبحث لها عن عمل آخر فهي لن يعمر لنفسها أبداً أن يحدث لاستنها ما حدث لها . . والأم في سخريتها الريرة لا تعرف ما هو هذا القانون الذي يطبق عليها وعلى انتنها والذي لم يرحمها عندما أحببت هذه الابنة . ولم يرحم هذه الابنة عندما حملت .

وبدور حوار بين الابنة وأمها :

الابنة : ماما

الأم : نعم .

الابنة : ابى سيكون أسود

الأم : ماذا تقولين يا حبيبتي ؟

الابنة : اننى سيكون أسود

الأم : لا داعى لهذا الهزار السحيق كهانا أحلاماً مرعجة ،

الابنة : ولكن هذه هي الحقيقة . لقد كان أسود .

الأم : من ؟

الابنة : هو

الأم : قصدك أن . المحار . كان أسود ؟ ياساير يارب لا يمكن أن يكون

هناك ما هو أسوأ من هذا . تصورى إسى أدفع أمامى عربية صغيرة وبها طفل أسود .

لا بد ان أخرج . . لا بد أن أشرب كأس من الخمر . .

الابنة : ماذا ستعملين ؟

الأم : لا أعرف . يجب أن نعرفه فى الشهر لن يعرف ذلك أحد .

الابنة : ولكن صديقنا هذا سيعرف

لأم . والدادة ماذا ستقول ؟ . هذه صدمة عيعة لها ، ولا شئ !

الابنة : ولكنها هي الأخرى سوداء !

الأم : إذن من الأفضل أن تنسى هي هذا نطفل يارب رحمتك !

لاسة : إراده بكر هذا، يعجبت و تحرقى من هذا :سى به أصبت إلبت العجى،
اخرحى !

الأم : أين قبعتى ؟

الابنة : فوق رأسك ..

الأم : صحیح بها فدى رأسى أنا لا أعرف ما لدى يجب أن أفعله معك
حقيقة لا أعرف ثم تنحه إلى الجمهور .. أسئلكم جميعاً لو كنتم مدس ،
فما الذى يجب أن تفعلوه .

الابنة : هل ستخرجين ؟

الأم : نعم .

الابنة : فقط لكى تشربى كأساً من الخمر ؟

الأم : نعم .

الابنة : ماذا ستفعلين بعد ذلك ؟

الأم : لا شئ سأصع الطفل على المسرح وأصق عليه اسم الليل .. وأنتم ماذا
تفعلون لو كنتم مكانى ؟

وتنطلق إلى الشارع

وتنظر إليها الابنة ثم تطلع إلى حواب العرفة وتنتسم وتتذكر أعية .. وتروح
تردها عندما ينزل الستار .

والسؤال الذى وجهته الأم إلى الجمهور سؤال لا يحتاج إلى جواب فهذه الأم
مهما كان وضعها الاجتماعى ، وهى أم سواء كان أبو لطفل أبيض أو أسود . فليس
الأب لانيهم ولكن الذى بهم هو أن استها حامل ، وأنها ستكون أمّاً وأن هذا
الطفل ليس مسئولاً عن خطأ أمه . فهو كائن حقيقى وميلاده حقيقة وقبل أن
يولد تعبرت أوضاع اجتماعية استعداداً لظهوره . فأمه ستتوقف عن الدراسة نهائياً
لكى تعمل من أجله وحدته ستتولى العدية به ، ولابد أنها ستبحث عن عمل آخر
يمكسها من تربية طفل حاء هو الآخر كما حاءت سته ، وكما حاءت هى

وهذا لطفل يشبه لدنوس الذى ربط بين امرأتين .. وإد كان هذا لطفل بدرة
ألفاه عصمور وهرب . فيحب أن تنمو البدرة فى حبات امرأة بادمة ، وامرأة مصرة
على ألا تندم ..

لقد دأقت لأم طعم العسل عندما تروحت لأول مرة رجلاً متديماً
عصفاً ، فقد عرفت ارواح ولم تعرف العسل .. وعندما خاتته مع رحن ، حر عرفت
لعسل لأول مرة . ولم يعد لهذا العسل طعم بعد ذلك .. فالعسل يغنا يداق مرة
واحدة ، وبعد ذلك فلا عسل ولا طعم له أو لأى شىء آخر . وهذه هى بصيحة
الأم لايتها ..

وعندما أحبت استها ، وعاشت على أمل الرواح ، دقت طعم العسل ، ولم تعرف
الرواح .. وكان لعسل أسود . وكان أكدونه . وكان حلماً . ولكن الذى ليس
أكدونه وليس حلماً هو بها حمل ، وبها ستكون أمماً . وأن هذه الأمومة ليست
سبب العدوى التى انتقلت إليها من أمها . وإى هذه العدوى سببها أنها لا تريد أن
تكون كأمتها . ولكن بالرغم منها سقطت . ولكن لا توحد «سقطه» لا يمكن الهوص
مها . لا توحد بقعة فى قماش لا يمكن إحماؤها . وحتى إذا لم يكن من السهل
غسلها . فإن تمزيقها هو نوع من إحفائها ..

ولذلك فهذه الفتاة تحاول أن تجعل لعمل هو لوسيلة لوحيدته لرفعها من تحت
إلى فوق . إلى أن تتحمل مسئولية لوجود عن ميلاد طفل لا يعرف ما الذى جرى
بين أمه وبين أمه فى لحظة .. لحظة عسل !

وفى المسرحية عبارات ساحرة مريرة ولكنها صورة حميلة للحضض
الإكليرى أو للحضض فى العواصم الكرى المحله .. صورة فيه «لطح لبحر»
الاحتماعى صورة شفاه «الأعص» لسحائر التى تتساقط فى ليل فنقى
مشتعلة بجوار الأرضه ..

وعندما يحدث لأديبة شابلاً ديلاسى عن اللون لأسود عرست موقفاً اجتماعياً
دقيقاً فالبيض بكرهون لسود حتى هذه النساء التى يعاملها لبيض أحقر
أنواع المعاملة يعاملونها كأنها سود ، كأنها رغبة بضاء لا كرامة ولا
حقوق ولا إنسانية حتى هذه النساء بكره الرجل الأسود

ولكن عندما يكون هناك حب ، عندما يكون هناك رباط إنسانى ، عندما يوضع
الرجل الأسود فى إطار عالمى ، عندما يصبح أبا - مثلاً - فإنه سيصبح كائناً آخر ،
يصبح رجلاً أبيض أو كالأبيض . فالإطار لدى يوضع فيه هو الذى يجعله عالمياً ،
يجعله ككل الناس . . ككل الناس البيض . .

فحين ننسى لون كل المطربين الروح والأداء الروح والرياضيين الروح . . لأنهم
اتخذوا إطاراً عاماً هو الفن والبراعة الفنية . .

فهذه الأم حتى لو كرهت الأب الأسود . وأحبت صقلها ، فإنها ستكون قد
أحبت الأب ضمناً . .

أى أنها إذا كرهت ازواج الأسود ، فإنها لن تكره الأب الأسود . .

وإذا كانت الأم فى نهاية المسرحية قد سألت المتهرجين ما الذى يمكن أن يفعلوه
لو أنهم فى مكانها ، فهى فعلاً حائرة . ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً . .

فالذى تستنكره الأم اليوم باسم اللون ستقبله هى غداً باسم بقاء السمع . والذى
يرفضه جيلها . ستقبله الأجيال القادمة . فالإنسان هو الإنسان . والعسل هو
العسل ولا يهم لون العسل . . أبيض أو أسود . . !



النار في كل بيت

إذا

كانت الحرب جريمة ، فهي عذاب أيضاً .. وهي جريمة
جماعة ، وليس المسئول عنها فرداً واحداً في أى بلد وإنما كل أفراد
هذ البلد فلا يستطيع فرد أن يشعل حرباً ، وبعد الذى أصاب
الإنسانية بسبب الحرب الثانية لا يوجد إساد برئ فحزن جميعاً ضحايا حرب
ومجرمو حرب أيضاً لأن المسئولية تقع على رؤوس الجميع
وهذا المعنى يجب أن يرسب فى أعماقنا وبذلك نحمل ورن كل دمار يصيب
الإنسانية بسبب حرب باردة أو حرب ساخنة !
واخوف من الحرب هو العصر المشترك بين الناس . فالناس نوعان : أوس
ينخيفون بالحرب وأناس يخافون من الحرب ..
ولكن عندما تشتعل الحرب فكل الناس حائفون . القاتل والقتل ..
والضحية : هى الإنسانية دائماً ..
أما كيف تشتعل حرب ؟ .
فلا يحتاج هذا إلى معجزة . أن رجلاً محبواً من الممكن أن يلتف حوله ملايين
المجانين التى ارتبطت مصالحهم بجنونه ..
أمريكا مثلاً !
أو محسن النية واستسلام لمارس الطيبين لما يقوله أناس يتسلحون بالقدس
وينادون بالسلام . ويملاؤن الخازن بالرءوس النووية ويؤكدون أنهم لا يريدون
إلا حماية الإنسانية ..

ويبدو أن هذا ما قنع به الكاتب السويسري لعظيم ماكس فريش في مسرحيته
التي اسمها «بيدرمان ومشعلو الخرائق» .

وهي المسرحية التي ظهرت في إداعة برلين على شكل قصة قصيرة ثم على
شكل مسرحية . وهي من أروع ما ظهر في الأدب الأوروبي الحديث . وقد أعاد
لكاتب الكبير الكورس لاغريفي على المسرح ليقوم بالصور الرئيسي وعملاً المسرح
بأناشيده وتحذيره الهادئة والصارخة . ويعتصرص سير الممثلين ويناقشهم ويقطعهم
ويحييهم . والمسرحية كوميديا سوداء أو كوميديا حربية فهي ساحرة ومكينة
في نفس الوقت ولكن الخوالدي بسودده شاعري رقيق حاد ، ناعم قطع .
وتحس فيها أثر برنارد شو وكل أدباء العبث ..

والمسرحية مدطرها لسعة تصور الرعب الذي تعيش فيه بحاي المدن فكل يوم
تصدر الصحف وفيها خبر عن حريق اشتعل في أحد البيوت أو المطعم أو المصادق .
وكل الحريق تتم بأسلوب واحد . فهناك دائماً شخص يذق الباب ويطلب الأذى
فإذا نفتح له الباب دخل . ويوصل إلى أصحاب البيت أن يقدموا له طعاماً وأن
تركوه بام حتى الصباح . وهي الصباح بحرق الست من فيه وما فيه . وعلى
الرغم من أن هذه الحوادث تقع بأسلوب واحد فيها تتكرر . فكان الناس لا يتعمدون
من هذه التجربة أو كأن الناس يتشربون لحال هؤلاء العرباء الذين يطسبون لأكل
والنوم حتى الصباح ويسبون أنهم جميعاً يقومون بإشعال النار في كل بيت بأويهم
ويقدم لهم الطعام ! .

وتبدأ المسرحية بأن يشهد الكورس على المسرح قائلاً يا أهل بلدنا الطيبين
نحن ساهرون منتظرون سامعون حريصون على نومكم السعيد . . حتى لا
يحترق بيت أو يموت طفل أو يحرق بواب . يا أهل البلد يا أهل البلد نحن
عبيكم ساهرون .

ويذق الباب في سب السيد بيدرمان وهو رجل ملويزر وبيدرمان كلمة
لدينية معناها الرجل الطيب لشراف . وتذهب لخدمته تفتح الباب فتجد رجلاً
كان مصارعاً قديماً يريد الدحول وتذهب إلى سيدها وتقول له

- رجل يريد أن يدخل .

- ماذا يريد ؟

- لا أعرف .

- هل يريد دواء لتقوية الشعر ؟

- لا

- ماذا يريد ؟

- الإنسانية .

وهذا المليونير يتأخر في رتب لتقوية الشعر وأدب لهذا العريب الذي يبحث عن المأوى أن يدخل ، به يريد الطعام ويريد المأوى إنها نفس القصة تتكرر وهو رجل كان يعمل مصارعاً وكان يتيماً وعاش طول عمره في الملاجئ فهو لا يعرف أصول التعامل مع الناس ، ولا كيف يأكل ولا كيف يجلس

وبكنه يندى إعجابه سمعة المليونير وأخلاقه ، ويسأله المليونير إن كان ممن يعمنون على إشعال الحرائق في البيوت ويؤكد له الرجل العريب أنه لا يفعل شيئاً من هذا وهنا يغنى الكورس ويحذره ..

ويذهب به المليونير إلى عرفة في أعلى البيت وهناك يتركه حتى الصباح . وفي الصباح يدق الباب . ونحى الخادمة تحذر سيدها أن شخصاً عربياً يقفون إنه موظف في إحدى شركات التأمين يريد معاينة البيت يتأكد نفسه من أن احتمال اشتغاله شيء بعيد ..

ولكن هذا الرجل يتسلل إلى العرفة في أعلى البيت ويصيح في العرفة رحلان إليهما زميلان . فهذا الرجل الثاني كان يعمل جرسوناً في أحد المطاعم ثم إتهموه بأنه أشعل النار في المطعم وأدخلوه السجن .

والكورس يردد أن هناك رحلين .. المصارع والحرسون ..

وهذا الحرسون قد دخل إلى عرفة السطح ومعه صفائح بترين ويحني السوييس ويفتش البيت ويحد صفائح السيزين ويعترف المليونير بأنها صفائح مليئة برتب الشعر

وعلى الرغم من وحود السيزين في البيت فإن المليونير متأكد من أن هذين الرحلين ليسا من الذين يشعلون الحرائق وهو يكتفى بأنهما أقسما له على ذلك

والكورس يعترض طريقة عى المسرح ويسمه ولكن المليونير الشريف يؤكد أنه مواطن حر . وأنه حر فى اختيار ما يعجبه من الآراء والأفكار وأن بيته إذا احترق فهو حر فى بيته وهو صاحب البيت والكورس يعترض ولكنه يفسح له الطريق فى النهاية ..

و الحرسون يؤكد للمليونير أن الناس يلحأون إلى أكاذيب ثلاث : الصحة وهو أكذوبة والعواطف وهى أكذوبة . أما الأكذوبة الكرى فهى أن يقولوا الحقيقة العارية . ولأن الخصيفة العارية شىء نادر فإن أحدا لا يصدقها

ويختار المليونير بين هذه الأكاذيب الثلاث .. ولكنه فى النهاية يختار تصديق هؤلاء الناس عملاً بالمثل الذى يقول : إذا اطعمت الهم استحت العين . وقد دبح أورة صحمة وقدم نيداً وسحائر فاحرة لعن العن أن تستحى والأيدى تتوارى فى الخيوب ولا تلعب بالنار .

وقد احنفت الأوزة والبيد ولكن الأيدى ظهرت وفيها أعواد الكبريت وفيها مفحرات للديناميت والصابل والمليونير لا يشك فى أن هدى الرحلين من المشعلين للحرائق ..

ومن بين صفائح السرى يخرج أستاذ فى الفلسفة . إنه رجل جاد . له مظهر غليظ . يحرح من بين الصفائح لمسح منظاره ويعاود الوقوف ولاحتجاج الصامت . به لم يطق بكلمة واحدة ويسحر منه المصارع والحرسون ولا يفهمان لماذا هو موحد بين الصفائح ولا يفعل شيئاً ويطلبان إليه أن يتوسى الحراسة فإذا اقترب أحد من الغرفة ، يجب عليه أن ينههما إلى ذلك ..

وتسمع الخادمة دفاً على الباب الخارجى ويعترض المليونير على دخول أى إنسان آخر ..

ولكن أستاذ الفلسفة مصر على مقابلة المليونير ليعلن له أنه غير مشترك مع الاثنين فى هذه المؤامرة ..

وتعود الخادمة تؤكد لأستاذ الفلسفة أن سيدها يرفض المقابلة . ولكن الميسوف ينذرهما وينذر سيدها ويؤكد ضرورة المقابلة فوراً ..

وبدحل أستاذ الفلسفة ويخرج من حبه ورقة مكتوبة ويقرأ الورقة أمام المليونير .
ولا يفهم المليونير من هذه الورقة شيئاً وبحس أستاذ الفيلسوف أنه قد أراح ضميره
وأندر المليونير . وعلى المليونير أن يفكر فى الامر
وتنتهى المناظر السمة الأولى من هذه المسرحية بانفجار البيت واحترافه
نهائياً . . !

أما المنظر السابع فهو فى جهنم .

فالمليونير وروحته وحادمتة فى جهنم وهم لا يعرفون إن كانت هذه جهنم
ولا يعرفون لماذا هم فى جهنم . . ولا يعرفون من الذى تمكن أن يتحدثوا إليه
وبشرحوا له حالهم . فالمليونير يرى أنه إنسان صيب وأنه صحبة حسن بيته
ويرى الروحنة أن الخادمة موحودة فى جهنم لأنها كثيراً ما سرفت طعام البيت
وبعداً اجميع بأن الشيطان نفسه هو الخرسون الذى كان فى البيت وأن المصارع
هو أحد الشياطين ويفهم المليونير أن الخرائق المشتعلة عين سطح الارض وأن
الشياطين مشعولة طول الوقت باستقبال وفود من الشياطين والسياسيين فى جهنم .
وفى نهاية هذا الفصل تتساءل الروحنة هل تصأ أما ستعفو من نار جهنم .

ويرد الزوج : يبدو ذلك !

فهذا المليونير لا يستحق جهنم لأن مدينة التى كان يعيش فيها بعد أن
احترق ، قد أعيد سؤها وأصحت أروع وأحمل بما كانت . وهو لذلك يستحق
الشكر على أنه كان سبباً فى إعادة بنائها . .

ونيس مهما أن هذا المليونير قد سكت عن وجود السربين فى بيته . وليس مهما
أنه دفع أحد موظفيه إلى الانتحار رغم أن هذا الموظف كان محلصاً وأميناً . وأن
المهم فقط أنه كان أحد أسباب عودة الحياة وخصارة إلى هذه مدينة التى احترقت
بسربين أقوى من الذى امتلأت به الصعائج . هذا السربين اسمه حسن البيه
وتصديق هؤلاء المجرمين مشعلى الخرائق !

أما الكورس فىهى المنظر الخاص بالحجيم مشداً مدستنا أصححت أحمل .
أعنى . احتفت نقاصها وظهرت عمارتها الخرائق سيدها لقد احترق كل
شئ وتلاشى . . تلاشت أصوات الضحايا . .

ويرد المليونير : الحياة تستمر .

ويعود الكورس يشد لقدم أصحوا تاريخاً لمدينة الآن حمل . أروع .
أعسى لدمع بالرحاح والفصة ، وكبر قلوب الناس كعب هي . ولكن لمدينة
ارتفعت .. أجعل .. وأعلى !

أما الذى يريد أن يقول الكاتب العظيم ماكس فريش بأسلوبه لساحر لمر فهو أنه
لا يقصد شيئاً مما جاء على باله فهذه المسرحية غير هادفة .. أو مسرحية لا
معنى لها فلا معنى لشيء . ولا هدف لشيء . وإنما هذه الإنسانية مجنونة تقتل
نفسها بحسن نية !

ولكن الذين يعرفون ماكس فريش يؤكدون أن المعنى وراء هذه المسرحية هو ما
حدث فى تشيكوسلوفاكيا فى سنة ١٩٤٥ عندما استعان الرئيس إدوارد بنيش
بأعضاء الحزب الشيوعى فى حكومته وبهم عرروا به . وبهم حذعوه حتى
مات فى ظروف مريبة سنة ١٩٤٨ ..

ولكن ماكس فريش سئل عن هذا المعنى فأكد أن القارئ من الممكن أن يفهم ما
يعنيه ولكن هذا المعنى غريب عن حياته ثم أن الرئيس يشتر لم يكن أقل
خداعاً من الذين تهموا بخداعه !

ويقال أن المعنى وراء هذه المسرحية هو أن المثقفين فى ألمانيا صدقوا ما أعدده هتلر من
أنه لن يدخل فى حرب ضد روسيا ليسحق موسكو والمدن الأخرى ثم يدوس أوروبا من
أوبها لأحرها . فلم يكتشف المثقفون أن هتلر كذاب . وأنه يستعد للحرب فى النهار
وفى الظلام ثم اشتعلت الحرب . ودم المثقفون على بلاهتهم وسداحتهم .

ولم ينكر ماكس فريش أن يكون هذا المعنى قد راوده وهو يكتب هذه المسرحية وإن
كان ماكس فريش يميل إلى أنه قد يشس من هذه الإنسانية وأنه يفضل ألف مرة أن تفنى
كلها وتظهر على الأرض حضارة إنسانية أخرى .. أنظف وأحسن وأجمل وأعلى
وأعسى .. وأن النار هى الوسيلة الوحيدة لتطهير الجسم الإنسانى .. فالنار لا يعسله . ولكن
النار هى وحدها التى تطهره تماماً وتقصى عنه أيضاً وبذلك تموت الإنسانية أضر موتة .

وهذه ولا شك نكتة ساخنة ..

ولعل ماكس فريش في هذه المسرحية عندما جعل أستاذ الفلسفة يقول كلمته على المسرح ، وهي كلمة غير مفهومة ، ثم يجلس في الصالة بين المنفرجين إنما أراد بذلك أن يشير المنفرجين أن يشير الناس وأن يدفعهم إلى أن يقولوا رأيهم . إلى أن يحملوا رسالة هذا الرجل المخلص الذي لا يعرف ماذا يقول ولا كيف يقول . ولكن يكفى أنه معترض على التآمر على حرق السيوت والمذب والحصارة الإنسانية . .

يكفى أنه يحتج على أنه لس من أنصار المذهب الخرائقي . فهو ليس خرائقياً . . ويطلب ذلك من الناس جمعاً . أن يسطروا باهتمام شديد إلى أعواد الكبريت وصفائح السرين ، وإلى الناس المحايين الأدكياء الذين يستطيعون أن يشعلوا الخرائق بأيدي الآخرين . . وضد الآخرين . .

فحس الاحرون الذين يحرق والذس يحترق ولذلك كانت الرعات الخرائقية مشكلة لنا جميعاً ومسئولية علينا جميعاً .

وبذلك فأنا أعقد أن هذا ما يريد أن يقوله كاتب عظيم مثل ماكس فريش تدفعه سحرية فيقول إن مسرحيته : عمل أخلاقي بلا معنى أخلاقي أو طليقة طائشة بلا هدف ! .



تلميزة وجودية

مامعنى

أن تكون هناك صعوبة فى الكتابة عن أديب مايزل حياً .

معناها أن هذا الأديب لم يصرع من كلامه بعد . فهو ما يزال

يقول وما يزال يعبر من أفوهه بالتوصيح أو بالتدبير فالكثابة عن

حياته نوع من المفاطعه له أثناء الكلام ونوع من اعتراض طريقه والتشوش عليه

وحساسا بأن الأديب حتى يجعلنا نحامه ، أو يجعلنا من خوفنا من الاتهام

بالمحاملة ، نقسو عليه . ولا يوجد وسط فى الكتابة عن الأدباء الأحياء .

وكثيراً ما فصل الكاتب الذى يكتب عن حياته ، أن يسكت ولا ينفش .

أصبا بأن أحداً من الناس يكتب عنه والكلام عنه أفضل من السكوت عليه .

وفى كل هذه الأحوال نبعد عن الحقيقة ولا نعرفها .

ومعنى ذلك أن هناك طريقين للكذب عندما يؤلف كتاباً عن حياة أديب أن

يكتب عنه بعد موته . وأن يكتب عنه وهو حى .

ونرى حالين تصيب الحقيقة ، ويصح التاريخ عملاً فياً وليس تسجيلاً واقعياً .

وهذه إحدى مأسى التاريخ الأدبى ..

وهذا الكتاب الذى ألفه فرسيس حاسون عن الأديبة الوجودية الشهيرة

«سيمون دى بوافوار» قد لحا إلى أسلوب آخر فى الكتابة عن هذه الأديبة . فهو قرأ

كل كتبها ، الدراسات والروايات والمقالات والتراجم الدانية وبعد أن قرأ هذه

الكتب وفهمها ذهب إلى الأدبية نفسها وراح يناقشها . وهو فى هذه المناقشة يعرض رأيه أكثر من انتطاره لرأيها . فهو يناقش نفسه على مسمع من الأدبية نفسها

وكانه عن سيمون دى بوفوار ، هو دراسة لها من أعماقها . . أى دراسة لها من الداخل . كأنه يريد أن يقول لذ : هذه هى الدوافع الحقيقية التى جعلت سيمون دى بوفوار الفتاة الوقور ، هذه الأدبية الصارخة . وبعبارة أخرى : انه يريد أن يقول لنا أنه يعرفها أكثر مما تعرف هى نفسها .

وبهذا الأسلوب أفلت المؤلف الفرنسى المنحمن من أكدوبة التاريخ ، واستقل إلى مجالات الدراسة النفسية ، وتحليلات الأدبية . ولذلك فهذا الكتاب هو «فهم خاص» نقارئ واع متحمس لأدبية كبيرة . ولأن هذا فهمه الخاص ، فيحب أن ننظر إليه على هذا الأساس . وكثيراً ما يشار المؤلف إلى أن هذا هو رأيه الخاص ، أى أنه ليس رأى أحد آخر ، ولا حتى رأى الأدبية نفسها !

وعلى سبيل المثال يقول المؤلف : أن سيمون قد نشأت فى بيئة متدينة بورخوارية قد أحاطها الأب والأم والأقارب بالاعجاب والحنان . وعندما نلقت إلى من حولها ، أحست أنها رهرة فى حديقة عالية الأسوار ، وأنها قطعة فى قلعة شامخة . . إلح أما هى فتقول عن نفسها فى كتابها «مذكرات فتاة رصينة» .

ولدت فى الساعة الرابعة من صباح يوم ٩ يناير سنة ١٩٠٨ فى غرفة أثائها أبيصر فى أبيصر . . تطل على شارع أساى فى باريس . وفى الصورة الموثوغرافية التى تحتفظ بها الأسرة يمكن رؤية سيدات فى فساتين طويلة ، ولهن قمعات بها ريش نعام ، ويمكن رؤية عدد من الرجال لهم قمعات عالية ، والكل يتنسم للطفل وهم جميعاً : والدى وأحدى وأعمامى وعماتى . وهذا الطفل هو أنا . وأبى فى الثلاثين من عمره . وأمى عمرها إحدى وعشرين سنة . وأنا أول أطفالهم . وليقلب صفحة أخرى هناك صورة لما تسمى فى ذراعيها طفلاً صغيراً . هذا الطفل ليس أنا . إنها أختى التى ولدت أخيراً . أما أنا فعمرى ستان ونصف سنة . . إلح

ووصح جداً الفرق بين ما كتبه المؤلف ، وبين ما تقوله الأدبية سيمون دى بوفوار عن طفولتها وأسرتها وأسلوبها السهل الرشيق . . وكذلك عن شبابها ، وعن سنوات كفاحها الفلسفى والسياسى .

وسيمون دى بوفوار كاتب حياتها عادية جداً أسرة محافظة .. غنية الدين هو كل شيء . والله فى السماء يحكم بالعدل بين الناس . والشر والخير لا يلتقيان وإنما يفصل بينهما سيف من النار . وكانت فى طفولتها شديدة المرح ولا «اشقاوة» أيضاً . ورغم هذه القيود والحدود التى حولها فإنها كانت تجد دائماً ثقلاً تنظر منه بعين واعية جداً وناقدة جداً . وبداية الاستقرار فى حياتها كانت مربيتها . فمربيتها هى وحدها التى نظمت لها الكون كله . طعامها وشرابها وملابسها . وعلى يدى هذه المربية عرفت الممزوج والمسموح به . وعرفت العيب . وكانت تنظر إلى مربيتها على أنها شخص نادر الوجود .

وتعب كل الدين حولها من أسئلتها الكثيرة وأقتنعت هى بأن الأطفال يشتريهم الآباء من الدكاكين . وأن هناك دكاكين كثيرة فى كل مكان . وبعد ذلك عرفت أن الله هو الذى يخلق الأطفال الصغار وهم طيعى فإذا كان الله قد خلق الكون كله من العدم ، ثم خلق لإنسان من التراب . فليس من الصعب عليه أن يخلق الطفل من سرير صغير إلى جوار سرير أمها .

وهى تتمتع بصحة جيدة طول عمرها وتصف نفسها بأنها فى صحة احسان . وأنها تحب الحياة . وأن حبها للحياة بدأ من الساعات والحيوانات والصدقات وأنها تجد للمتعة والبهجة فى كل شيء جديد . وأن كريات دمها الحمراء ولبيضها هى تركيبة كيماوية فريدة من المرح والسعادة . سعيدة . ولم تعرف فى سنها الصعيرة أسباب هذه السعادة . ولما كبرت عرفت أن السعادة هى مريح : من الاستقرار العائلى والطمأنينة والذكاء والحيوية !

ومست بيدها أشياء كثيرة وعرفنها بلا تفسير ورأت بعينها أشياء كثيرة وفهمتها بلا تفسير . وعندما كبرت تغيرت مفاهيمها . فهى لا تفهم لماذا يتوقف نوحها وأمها عن الكلام عندما تقترب منهما . أو لماذا يسكتان فجأة . وبأذا تجد الأم نفسها مضطرة إلى أن تمسح خدي والدها كما اقتربت الامة الصغيره

وفى يوم ذهبت مع مربيتها إلى الحديقة . وكانت أول صدمة فى حياتها . فقد تشاحرت أمها مع مربيتها . لأنها تاحرت خارج البيت . وما عادت هى ومربيتها إلى البيت . سمعت المربية تقول للخدمه أن السيد والسيدة يتشاجران .

أما السيد والسيدة فهما أبوها وأُمها . وهى لا تتصور أبداً أن تتحول أبوها إلى
عدو لأمها . ولا تتصور أبداً أن تتحول المريّة إلى عدوة للاثين . ولا تتصور أن هذا
الحادث الأليم يدخل السعادة على الخادمة أيضاً . كل هذا تحده فى نفس البيت ،
وبين أناس يتناولون طعاماً واحداً ، وتعدو البسمات وحوههم طول الوقت !
صدمة .. إذن لقد دخل الشر البيت .

دخلت العدو البيت . برئت المريّة من السماء إلى الأرض . وأزيلت معها كل
الناس . لقد كان الشر والكذب والحق والشماتة كلمات بعيدة . ولم تكن تتصور
إيها ستصادف الشر يوماً ما . فهجم الشر على حيالها واستقر !

وعندما سافرت الأسرة لزيارة بعض الأقارب فى الريف . حذرهم أبوها من أساء
عمها . وقال لها : إنهم لا يؤمنون بالله . ولم تتصور هى قط كيف يكون الإنسان
كافراً . ولابد أن يكون لكافر ملامح أخرى محببة . ورئت أولاد عمها ولم تلاحظ
هذه الفوارق . وعندما صلت أمهم كانوا يسحرون منها . يسحرون من كل ما هو
مقدس عندها . ومع ذلك لم يقطع سقف البيت . ولم تشتعل الحرائق فى كل
مكان .. وهذه كارثة نفسية أصابت الفتاة الصغيرة !

وفى العشرين من عمرها ذهبت لتعمل مدرسة للفلسفة فى مدينة مارسيليا
وحدها لأول مرة . وكان عليها أن تعتمد على نفسها .. وأن ترتب الدسا كلها من
جديد : مسكها ومبسها وعلاقتها بالعالم الخارجى .

وتول ما أحست به سيمون دى بوفوار هو أنه فى مدينة مارسيليا احتفت مدينة
باريس .. فلا باريس .. ولا شوارع باريس .. ولا المقهى ولا المطعم . ولا
التليفون . ولا رائحة الشوارع والدخان .. ولا كلمة : متشكرة انتى كانت تسمعها
من الخادمة ولا المشى على أطراف لأصابع عندما تعود فى الليل . ولا تسويتها
لشعرها كلما دخلت على أمها . ولا أية ضروره لتفسير كل ما تفعله عندما يصحو
مبكراً .. وعندما تعود متأخرة ..

وأحست سيمون دى بوفوار أنها أصبحت «مسودة» من عالم الطفولة . لم تعد
طفلة . ولا يمكن أن تكون . لقد طردتها الطفولة إلى الأبد . والآن تقدم أوراق

اعتمادها إلى دنيا الشباب والأنوثة فقد دخلت هذه الدنيا بخطى غير ثابته وكر
بعقلية متفتحة وعين نافذة . .

إبها لأول مرة تعيش لنفسها وليس للأخرين ، ولا من أجل الآخرين .
ولا حساب للآخرين إبها في ما سيليها . في دسا جديدة . هي تنظمها وترتها
وتناقشها . بها أدم قصة لم تكن حبثياتها كنها . قصة سيمون دي بوفوار
الشابة قصة ليس من الضروري أن يصدر منها حكم والقصى والمحامي والسياسة
والمسهم و جمهور والقانون والدستور ومسى المحكمة والعدالة والظلم هي . سيمون
دي بوفوار !

أما سارتر فكان لا يزال في باريس .

وسارتر رميل الدراسة وصديقها . وهو يكرها بعمير فقط ولم يكن سيمون دي
بوفوار يعرفه جيداً . ولكن حدث في إحدى مراب أن رأته يتحدث إلى صفة دميمة
ولكنه لم يلبث أن تشاجر معها وتركها !

ثم عرفت سارتر أنه قصر القامة . شديد الحسوبة وكل شىء في تفكيره
مختلف عن كل الرملاء واسع الاطلاع . ولأول مرة تشعر سيمون دي بوفوار أن
معلوماتها في لأدب والفن والفلسفة شىء تافه جد وسارتر كان يقال عنه في
ذلك الوقت أنه لا يعرف عن التفكير إلا عند النوم ، وحتى عندما يمهض من
النوم يبدو مثل كلب اسحر لدى استلح كميته صحمة من السمك ، فهو عاجز عن
الحركة ويبدأ في حركة في اللحظة التي يتكلم فيها ويشرح ويسبب الأسباب
الحقيقية وراء كل شىء في الدنيا ، الأكل والنوم والملشى والحس والدمار والسياسة
وصناعة الورق والحشرات والنظرات !

وعندما أنقى سارتر إحدى المحاصرت في موضوع اسمه «تعريفات جديدة» فقط
بعد هذه المحاصرة أحس كل احاصرين أن هذا لشاب القصير هو فيلسوف جديد ،
وأنه محتاج إلى بعض الوقت ليقدّم للناس مدهماً مثيراً في الوجود والأحلاق
والحياة والفن !

وسارتر يعيش يكتب فقط وحول أن يقع سيمون دي بوفوار أن الكتابة هي
الهدف الحميمي للكاتب . وأن الكتابة هي الحقيقة المطلقة وكان من عادة سارتر أن

يعرض عليها أفكاره منظمة مرتبة . ويعرض عليها كل مشروعات كتبه فهي كلها حاضرة في رأسه قبل كتابتها ونشرها ! .

ومد ذلك الحين ارتطبت به سيمون دي بوفوار .

ولاحظت أن سارتر لا يستطيع أن يخضع لأي قانون أو ارتباط أو التزام أو كادر ، وأنه يرفض أن يكون موضعاً مربوطاً على درجة طامعاً في درجة أخرى . ويرفض أن يعامله الناس بصفة خاصة . وإنما ينعمر وبعمر وسط الناس دون أن يدري به أحد .

وهي ذلك الوقت أحست سيمون دي بوفوار أنها تكره اليمين هي السياسة . وأنها تميل إلى الماركسية . وأنها ليست شيوعية ولكنها ليست ضد الشيوعية وتري أنه من الطبيعي أن يكون الإنسان يسارياً . .

وكد من المفروض أن تتروح سيمون دي بوفوار أحد أقاربها . وكل شيء في بيتها وأسرتها يدل على ذلك . ولكن يحدث باريس عن علاقتها بالفيلسوف الشاب جان بول سارتر وحدها أنها وحدها أمها ترفق ثم بقسوة . ولكن سارتر كان قد ارتبط بها بهائياً .

وهي يوم سيما كنت تحس في إحاي الحقائق أمام تماثيل صامتة تعكس على سطح الماء . وكانت تفكر هي في هذه الصورة - صورة لتمانبل . ولتمانبل وعيوبها جميلة التي لا ترى . عندما رأت على سطح الماء طلاً لرجل قصر القامة يرتدي قميصاً أحمر . ولعبت إلى لمبص الأحمر فكان . جان بول سارتر . وهم تكذب تبسم حتى قال لها : اكتشفت نظرية جديدة !

وحلس يرتعش من الحماس عندما اقترب منهما رجل وامرأة في عاية اعط . أما الرجل فقال لسارتر 'سمع بأحد ع أنت أعدد عن ستي لأنها ستروح أحد أقاربها ' . وكذا المتحدث أنها طبعاً . ولكن سارتر لم يتعد . وقد وقف يدهش الأب ووقفت سيمون دي بوفوار تقول لأسف . إنها شرك معاً في تأليف كتاب عن كارل ماركس ! . وكذا الأب يكره كارل ماركس فصايقه هد . ولكنه في نفس الوقت لا يتدخل في حرية تفكير ابنته !

وأعداد الاثنان بعد ذلك أن يلتقيا سرّاً . وكانت هي تعلم بصفة مؤكدة أن سارتر لا يصحح أن يكون روحاً فهو لا يطبق هذه العلاقات .

بل أنه كان على علاقة في نفس الوقت مع فتاة عجيبة جميلة وكانت هي تعلم ذلك وكان يحدثها عن هذه العجربة . وفي يوم دعاها لزيارتها . ورأتها سيمون دي بوفوار . . إنها فعلاً حميلة أليفة جداً . وتعطى صدرها بكثير من العقود دواب الحيات بكسرة . أما عطرها فصريح ولكنها مع ذلك أليفة ورشيمة وسارتر يحب الخلود إلى النساء .

واتفق سارتر وسيمون على عدم الزواج

وقد احتر لاندن لعلاقتها الروحانية اسم . الروح «المورحاني» أي الروح بعقد . . أو زواج المتعة . .

فهو قد أصلق على نفسه اسم المليونير مورحان . وهي طبعاً السيدة مورحان ورواحهما «مورحاني» روح اثنين من أصحاب الملايير الوهممة . به روح بلا عقد وسيمون دي بوفوار لم تفكر قط في أن تكون لها أولاد . فهي لا تحب الأفعال الصغار . وبما تحب للأطفال في مرحلة فقط من مراحل العمر . وهي مثل سارتر ليس لديها أي إحساس بالأسرة فهي معزلة تماماً عن أسرتها . وسارتر لا يعرف أنه فقد ما قبل ولادته . وهم يرأه إلا قليلاً لأن حديثه هي التي بولت بربنته . فليس لديه أدنى إحساس بأن يكون أخاً أو أماً أو روحاً . ودسائه هي فقط أن يقرأ ويتكلم ويكتب وأن الحقيقة الوحيدة المؤكدة في كل حياته هي أن يكتب ويكتب !

وتحركات سيمون دي بوفوار كثير . تنقلب في فرنسا . وفي أوروبا . وبعد ذلك سافرت إلى أمريكا .

وفي أمريكا أصدرت كتاباً عن يومياتها الدكية . فهي تقول عن نيويورك فحاة وجدت نفسي عربية . لا شيء أعرفه . لا أحد يعرفني . الدنيا أسي كنت أحصلها كل يوم اختفت . . إنني الآن أمام دينا جديدة . ألوان الأشجار والزهور التي كنت أخلقها بمحرد النظر إليها ، لم تعد موحودة . فقد كانت ديباي في باريس كلها من صمعي ، فتح عنها عسى في الصباح ، وأفتح عليها كل سبع الوحود والحياة . أما الآن . فأنا موحودة بعيدة عن باريس أنا موحودة في عياب مدينة باريس وباريس في عياني

وتقول أيضاً سيمون دي بوفوار وهي في أمريكا سنة ١٩٤٧ أن العدم يأخذ طريقه إلى الوحود عن طريق أنا . عن طريق حواسي ومنصفي ودوفي . فأنا الطريق إلى العالم . أنا الطريق إلى كل طريق في العالم

وتقول في رواية «المدعوة» : عندما وقعت وحدي في المسرح . . ظهرت المقاعد والستائر ورائحة السحائر وعصر المساء كلها ظهرت عندما ظهرت . فعناي أعطنا الألوان وأدبناى سمحتنا بالأصوات وأصغى هو الذى صرح بوجود العصور أن وجودى فى المسرح هو أمر واجب النفاذ لأن يكون هناك شئ فى المسرح وفى أرض المسرح وفى جو المسرح .

وتقول عن السببما فى أمريكا أن الصورة التى أراها على الشاشة تشبه المثل العليا التى حدثنا عنها أفلاطون فأفلاطون يرى أن كل شئ حميل فى الدنيا له مثل أعلى فى السماء . . وهذه المثل العليا بعيدة عنا بقرب منها ولكن لا نلمسها . والسبب الأمريكية تعكس صورة مثالية للعالم الأمريكى . صورة تراها بعيدة ولا وجود لها فى واقع الحياة الأمريكية !

وسيمون دى بوفوار تشعر بالارتاح عندما تكتب . وقد بدأت الكتابة فى سن صغيره . كتبت مذكرات ويوميات وكاتب عرض بعض أعمالها على سارتر أما سارتر نفسه فكان يكتب كل شئ القصة والروية والمسرحية والفصيدة والرحل ونوفوار وكان يؤلف الكثير من الأبحاث فى سيمون دى بوفوار . وكثيرا ما كان يكتب لرحل الواحد فى مائة بيت فى جلسة واحدة ومنااسبة عابرة . وكان فى استطاعته أن يكمل أية قصيدة ارتجالا !

وقد ساعدتها سارتر كثيرا فى تعديل مسررها الفلسفى . ول كانت هى ترى أن الفلسفة لم تعد لها شيئا . والفلسفة لم تفتح لها أبواب السماء ، ولم تكشف لها كنوز الأرض . وبما علقنها فى الهواء . وسارتر نفسه كان يصو بالأفكار الفلسفية المخردة . ولكن متعته الكبرى هى الدس والعلاقات الإيجابية والمجتمع والسياسة . وشئ آخر غريب وعجيب هو الفراسة . فهو يهتم كثيرا بقراءة ملامح الدس . وكثيرا ما أخذ ألومات الصور وقرر بين جميع أفراد الأسرة !

والأديبة سيمون دى بوفوار لا تردد فى أن تقول أن كتابها «الحسن الثامى» هو أحسن كتبها . . وفى هذا الكتاب درست تاريخ المرأة وباقشت قصاياتها فى كل التاريخ دون أن تشعر بالراء لها . وإنما درستهم بكثير من العطف والمنطق ولم تشعر فى نفس الوقت بالعداء للرحل .

وبرى أن روايتها «المتفعلون» هي أحسن ما كتبت من الروايات

أما ترجمة حياتها فهي ترى أنها لم تكمل بعد ..

فقد صدرت منها ثلاثة أجزاء : مذكرات فتاة منرنة .. وقوة الأشياء .. وقوة العمر .. وربما كان الكتاب الصعبر الذي كتبه عن أمها بعد أن ماتت من أرق وأحمل الكتب التي صدرت في الأدب الحديث فهو كتاب صغير بعنوان «موتة هادئة جداً» . ويمكن اعتباره الجزء الرابع لباريح حياتها .

وهناك مشكلة في حياة سيمون دي بوفوار ..

وهي لا ترى أنها «مشكلة» ولكن الدفء أو المؤرغ لابد أن يراها كذلك فهي أدبية ممتازة ولكنها وقعت في المجال المعطس لفيلسوف وحموى عظيم هو سارتر وتأثر به جداً وارتبطت به وعاشت معه أكثر من ثلاثين عاماً من عمرها ، لا يعترفان فلابد أن يكون الفيلسوف قد ألفى طلاله وصباه عليها . ولابد أنها تشعر برعنتها في أن تبدو مسفلة عنه . ولابد أن تحبب عنه في كثير من قصديها حتى لا يظلم أثره وأصحاء وهي ليست تؤكد اختلاف وجهات النظر وتؤكد أن سارتر دكى بارع منطق ولكن هذه المراجعة في المطلق تستند أحداً إلى مغالطات عميقة .

وهي في نفس الوقت مطبوعة دائماً بأن يتحدث عن سارتر ولكن أحداً لم يطالب سارتر بأن يتحدث عنها .

ولكن من يؤكد أن سيمون دي بوفوار كسبة ممتازة بل هي أروع كاسبة معاصره وهي واحدة من سلسلة الرائعة التي بدأت بحورج صاند وكوليت ولكن الفروغ لخواص بين أدبيات فرنسا وسيمون دي بوفوار أنها أكثرهم عمقاً وأكثرهم حداثة . ولكن لن ينصفها المؤرخون لأن من الصعب على أي أحد الآن وعداً ، أن يعرف بين رأيها ورأي أستاذها وصديقها : سارتر !



ديناميت السلام

الكاتب

الأمريكي أرفيج ولاس ، قاض أحد السويديين مصادفة
وحس إليه طويلاً وكان حديث بينهما سحيفاً ملاً ، وكان
السويدي هو الذي يتكلم عادة ، وتوقف الكلام لحظة

وحاء بدور على أرفيج ولاس ليسكنم فسأله وما الذي نعلمه في هذه البلاد ؟
وكان رد الرجل السويدي لا أعرف إن كان هذا لدى أقوم به يعتبر عملاً
على كل حال أنا أحد أعضاء لجنة استحكم في جائزة نوبل
ونقول أرفيج ولاس ، وكان في ذلك الوقت في السويد سنة ١٩٤٦ وقررت أن أكتب
قصة عن جائزة نوبل التي يستحكم فيها أساس في مثل عدوة وبلاهة هذا الرجل .
ومدد ذلك الوقت وهو مشغول بأموره عن دريح حياة الرجل السويدي (عمره
نوبل) ، الذي أوصى بهذه الجائزة والسنس لذين يتبعون في الأكاديمية السويدية
للعلم ، ولأكاديمية السويدية للآداب . ثم أساس لذين يحاربهم البرلمان البرويجي
لحاربوا جائزة السلام وصل الكاتب مشغولاً بهذه جائزة ١٥ عاماً حتى جمعت
له مواد ووثائق غريبة ومعلومات شاذة .

وكانت روايته الطويلة المعروفة باسم «الجائزة» .

وهذه جائزة تعطى كل عام في خمسة فروع من فروع النشاط الإنساني . في
الكيمياء وفي الطب وفي الفسيولوجيا وفي الأدب ثم في السلام .

وقد أعطيت هذه الجائزة منذ ١٩٠١ ، ولم تتوقف إلا في أوقات الحروب .
ولا تزال جائزة نوبل هي أعظم الجوائز في العالم ولا تزال الحلم الذي يداعب كل
عالم وكل مخترع وكل أديب وكل داعية للسلام .

ونوبل صاحب هذه الجائزة مخترع سويدي من أسرة فيها عدد كبير من الناس
المتمارين . فابوه الذي لم يدخل مدرسة ، ولا جامعة كان محترفاً ، رغم أنه
لا يكتب إلا بصعوبة شديدة . ولكن كان هذا الأب على حاشية كبير جداً من
الدكاء والفهم ، وكان لا يتعب من العمل . وكان من أممياته أن يحترق الإنسان بوعاً
من الخشب تجعل الإنسان يسعى عن النوم بهدوء ، وكان يحاف من أن يموت قبل
أن يصل إلى هذا الاختراع . فإذا كان المصباح الكهربائي قد أطل النهار ، وجعل
الليل استمراراً للنهار . فإن هذه الحروب ستصير ساعات البقطة أيضاً ، وتجعل
الليل استمراراً نفسياً وعقلياً لنشاط الذي يقوم به الإنسان في النهار .

وكان رأس الأب ملئاً بالاختراعات ، وكان يشكو من الضيق المستمر في رأسه ،
وصفت به السويد ، ولم يعرف بالضبط ما الذي كان يجب أن يعمل به ، ولا ما الذي
يجب أن يبدأ به ، وسافر إلى روسيا . وهناك طالبتة الحكومة بأن يستمر في ترويض
الحيش الروسي بالأسلحة وخصوصاً الألغام التي يصنعها تحت الماء بالقرع من
السواحل . وكانت روسيا في ذلك الوقت مشغولة بحرب القرم ، وبعد نهاية الحرب
تسعى الرحل بصناعة الأسلحة ، ثم انفجر الزيت والمصنع الذي كان يسكن فيه
وعاد إلى السويد ، ولكنه لم يتعب . وبعد سنوات انفجر الزيت الذي كان يعمل
فيه . وانفجر معه المصنع الصغير الذي أقامه بصناعة نوع من المواد المتفجرة

ومات الأب نارك ورائه ثلاثة من أبناء روبرت وكان أحد المخترعين أيضاً .
والذي قام بكثير من التطوير والتنظيم لاستخراج البترول من ناراكو

ولورينغ الذي أقام مصنعاً للأسلحة في روسيا .

ثم الفرد نوبل الذي ولد في أكتوبر عام ١٨٣٣ .

والفرد هذا لم يدخل مدرسة ولم يدخل جامعة وإنما كان أكثر حساسية
من أخوته ، وأضعفهما جسماً وقصر مهتماً ، وكان عصياً ، بل أن عصيته بدو

واصحة على ملامح وجهه ، وعلى حركاته . فهو لا يثبت على وضع واحد إذا جلس . ولا يثبت على ساق واحدة إذا وقف . دمه شارد ، وهو في العالب يقول كلاماً يدهشك ويصدمك ، ولا يدرى أحد من كان حاداً أو هارلاً ، وأن كان يتحدث إليك أو يتحدث إلى نفسه .

وكان الفرد أكبر من ستة . وأوسع أفقاً من كل لأطفال والشبان في وقته . فقد استطاع أن يفسر لروسية والألمانية والفرنسية والإنجليزية ، ويكتب بها ويتكلمها بطلاقة نامة .

والدس سمعون عن جائزة نوبل ، يعرفون فقط أن هذا الرجل الذي اسمه ألفرد نوبل مخترع سويدي وأنه اخترع الديناميت . وأنه أراد أن يكرم عن هذا الاختراع لجهمي بأن يرك وصية بإشياء عدة حوثر لتشجيع الدين يقومون بأعمال في خدمة الإنسانية والعمل من أجل السلام .

ولكن الحقيقة أن هذا الرجل غير ذلك . إنه شيء آخر غير هذه السطور لقبيته ، وأنه يسار من نوع عرس ، وليس من السهل أن تصادف مثله أساساً كثر من حتى بين العاقره ، فهو صورة ناهرة مرتحة متناقضة .

وربما كانت حياة الفرد نوبل ترتبط بالأبحاث التي قامت على مادة لتروخسرين التي اكتشفها من قبله عالم إيطالي سنة ١٨٤٧ وسجل نوبل رخصة هذا لاختراع الحديد في أكتوبر عام ١٨٦٣ ، فقد أفلح نوبل في تفجير لتروخسرين ، ثم حصر مصحراً حديداً ، وأطلق على هذا المعجر اسم «ولاعة نوبل» .

وفي ذلك الوقت سجل أبوه اخترعه لتارود . ولكن الأب وقف أمام معضلة كيميائية ، فسدعى به من باريس ليعاونه في حل هذه المعضلة ، وحصر الابن واكتشف أن لتارود لدى اخترعه أبوه لافيمة له ، أو على الأصح لس شديد لافحار ، وهم نوبل بحراء تحارب حديده على هذا لتارود ، ونجح ألفرد نوبل ، ثم نشأ بالاشتراك مع لأب مصعاً لتروخسرين في صواحي استوكهلم ، وافجر

المصنع وراح ضحيته الأح الأصغر لألفرد نوبل وكانت صدمة عنيفة لم يتحمها الأب ، فمات بعدها بأسابيع .

وتوقف ألفرد نوبل ، وأصيب هو الآخر بحالة نفسية سيئة جداً ، ولكنه عاد ، كأنه جهاز دقيق توقف بعض الوقت ، واستأنف نشاطه ، واحترع الديناميت وسجل هذا الاختراع سنة ١٨٦٧ .

والدى ملتفت إلى حياة هذا المخترع المشهور في ذلك الوقت يحد أنه كان دائماً على سفر من السويد إلى القارة الأوربية ليسوى مصانع جديدة ومعامل جديدة ، ويعقد على اتفاقات مالية ، وشرك في إدارة هذه المعامل ولكنه كان يقضى معظم وقته في باريس ، ومعظم وقته يقضيه في المعامل ، فلم تكن له حياة اجتماعية . ولا حياة بالمعنى المفهوم .

وكان حمى يكتب يفصل الكتابة بالإنجليزية ، وحيما يختار حذمه في السيب ، كان يفصل الفرنسيين ، وحيما سعت برسائله ، كان يكسها بالألمانية . ومن المأدر جداً أن يكتب باللغة السويدية !

وهكذا عاش نوبل ، بلا بيت حفيظي ولا وطن محدود ، ولا لغة واحدة ولما سافر إلى فيسا وكان قد تجاوز الأربعين ، نشر إعلانياً مواضعاً في الصحف بطلب سكرنتره له ، وكان الإعلان يقول «عنى عحور يريد سكرنتره عندها ثقافة واسعة» وجاءت السكرنتيرة وكانت فتاة من أسرة منه فقيرة وعملت في بيت ألفرد نوبل ، وكانت نقطة تحول في حياته .

وسدوا أنه أحبه ، وحيما سألها في حد الأدم إن كتب حالة القلب ، أحالت بأن قلبها مشغول بحب أحد لأعيب . وأن أهله رفضوا رواجه منها لأنها أولاً فقيرة وثانياً لأنها تكبره ببضع سنوات .

وبعد ذلك انفصل هذه السكرنتيرة عن نوبل وبروحت الشاب الذى يحبه ثم ذهب نوبل في سويسرا ، وكانت في ذلك الوقت تدعو للسلام والمحبة بين الناس ، وربما كانت هذه السكرنتيرة هي التى جعلت نوبل يوصى بحثرة للسلام بعد ذلك

وقد حدث بعد وفاة نوبل أن ثار الرأى العام فى السويد على هذه الجوائز التى سجلها نوبل فى وصيته ، وانهموه بعدم الوطنية ، لأن قيمة هذه الجوائز ستعطى لعلماء وأدباء أحانب . . ثم لأن جائزة السلام سيقرها البرلمان البرويجى وليس البرلمان السويدى . . وحدث أنصاً أن ملك السويد استدعى أحد ورثة ألفرد نوبل وطلب إليه أن يعير فى الوصية ، وخصوصاً ما جاء بشأن جائزة السلام التى تفررها دوله أحتنيه . فرفض هذا الوريث وعاد الملك يقول له أن ألفرد نوبل كان تحب تأثير امرأة خيالية محبوبة ، وكان يعنى هذه السكرتيرة المساوية ، ورفض الوريث أيضاً .

وكان فى بية الملك أوسكار ، ملك السويد فى ذلك الوقت ، أن يقول أيضاً : أن ألفرد نوبل كان فى أواخر أيامه محتسب الهوى العقلية ولكنه لم يقل ذلك طبعاً والحقيقة أن نوبل كان محتلاً منذ البداية . وكان مترباً جداً منذ البداية ، ولا أحد يعرف بالصبط أى نوع من الناس ، كان هذا الرجل .

فهم كان يشكو من الوحده ومن الملة مع أن ليس لديه حوله كثيرون ، وكان يقول : إسى أفصل الحدة مع أصدقائى الصامتين مع الأشجار والعبات وأهرب من المدن الكبرى ومن الصحارى .

وكان يقول لا يوجد فى الدنيا أصدقاء إسى أستطيع أن أعتز على الأصدقاء من الكلاب التى تعيش على لحوم البشر ، وبين لديدان التى تعيش على لحوم الكلاب .

وكان يقول أنصاً أن بعده لنى عنده شعور باحتمل ، والقلب الذى لديه شعور بالجميل : توأمان .

ويقول أيضاً : إسى أخاف من الوحدة إسى أخاف أن أموت ولا أحد يصدق الذى يهمس فى أذنى بكلمة والذى يمس يدي فى رفق ، ولدى بصق حصى حينما أموت .

وقد تحففت محروف ألفرد نوبل ، فقد مات فى فيلا يملكها فى ستر ريمو بيطيباً

ولم يكن حوله أحد يهمس في أدسة بكلمة ولا يلمس به برفق ، ولا يطق حصه .. ومات في إيطاليا يوم ١٠ من ديسمبر سنة ١٨٩٦ ، وأطلق حصه في السويد ، وكان ألفرد نوبل قد أوصى بأن يكشف العطاء عنه ، حتى يحقق الأطباء من أنه سيدس ميباً ، فقد كان يحشى أن يدموه حياً . كتب مات أبوه من قبل ، فقد دفنوه ، مع أن الحياة لم تفارقه إلا وهو في قبره !

ثم أحرقوه بعد ذلك ، بناء على وصيته

لهذا عاش مخترع الديناميت ، كسببه ملتهه جائزة من العوصم . وفي كل عاصمة كان تحول هذه الشطية إلى عشرات من الشطايا تحمعت بعد ذلك في كفن واحد وانفجر مرة واحدة ، وتحول إلى رماد .

ولم يكن ألفرد نوبل قد كتب في وصيته الأولى ، أن يكون الأدب صير الشط لإساسي الذي سيجو لجائزة ، ثم عاد فغير هذه الوصة وألغاها ، وص في الوصة الجديدة على أن تعطى حوثر للأدباء من سر تفرقة بين الأوطان والأديان ، وربما كان سبب ذلك التغير هو الصعوبات التي وحدها هو نفسه في لتأليف لأبي ، فهو قد حاول نظم الشعر ، ونظم قصائد بلغة الإنجليزية وعرضها على أحد القساوسة ، وأعلن هذا القسيس أن هذا الشعر يعتز من الأدب الرفيع ، وأنه شك في قدرة أي إنجليزي على أن ينظم بهذه العظمة .

ثم ألف نوبل أيضاً مسرحية شعرية بعنوان «اللعر» وأهداها إلى سيدة إنجليزية ، سألها أنها في ذلك ، وكتب إليها يقول : بها من الشعر المتحرر من العافية ومن معنى أيضاً . فقامت الآن صورة صحيفة معنى أسحب في عقل رجل مثلي ' وله مشروع كتاب بعنوان «الأحوال» تناول فيه السياسة والإصلاح الاجتماعي .

ومشروع كتاب بعنوان : «في أفريقيا» .

وأعرب من هذا كله أنه كتب مشروع مسرحية مدينة العرب والأشباح . وقد أحد عو بها من مسرحية أخرى لشاعر إنجليزي كان يحبه . فقد كان يحب الشاعر

شيلي ، وكان يعتقد أن شيلي هو أعظم شاعر في الدنيا . وخصوصاً «رومثيوس صليفاً» فقد كانت لمحات شيلي الشعرية نوعاً من التسوّب لاحتراعات لعلمية الحديثة ، وقد تحققت كل سوءت شيلي . كالقطر والتعراف والأجهزة المعاطبسة .

ولا أحد يعرف بالضبط م الذي كان يروود اختراع الكبير من أفكار غريبة فمن أفكاره العريسة أن يسي قصر على الرفير ويضع في القصر كل مؤلفات الشاعر شلي ، ثم يصع فرقاً موسيقية في كل حواء لقصر وحدائقه شرط أن يحصل هذا القصر للدين يفكرون في الاستحار ، بدلاً من أن يذهبوا بأعسهم في مياه نهر السين القذرة !

وكان أشدرد بول يشك في كل شيء في الله وفي الناس وفي القسم خلفيه . وكان يعتقد أن الناس كلهم شطاي في قسلة واحدة وأن الذي يصحر الناس ويعرفهم هي مصاحهم فقط . وأن الذي يعيش مع لئس وبالناس ولباس ، إنما يعيش في قسلة زمنية ، تتفجر في أي وقت !

عشر نوبل في صحة كسرى شهرته كبت صدى للامحارات التي أطلقها في كل لعالم . وبعد مماته كبت وصيته هي أكبر قسلة انفجرت في أوربا ، فقد أوصى باستثمار الملايين التي كسبها من الديناميت ، ومن فوئد هذه الملايين أوصى برشاء مؤسسة تمنح لجوائز بالأعلام ولعقد قره من الأدب كلها دون قسرة

ويوم ١٠ من ديسمبر من كل عام تتألاً السويد في عيد من أعيادها القومية ولعامة أيضاً ، حينما يقيم الملك حمدة استقل كسرى لتوزيع هذه الجوائز الخمس ، في اليوم نفسه الذي مات فيه ألفرد بول في بيته الأتيق في إيطاليا

ومن هذه حو العرب في السويد ، ومن لصحة التي تحدثها هذه الجوائز ، إذا منحت ، ودالم تمنح ، ومن الحياة الشخصية لتأثيرين ، وأعصاء خد التحكيم ، ومن لمخاض احاصة بالجلسات التي سافر فيها قيمة المرشحين للجوائز ، وما حدث لبعض ، من هذه الخيوط الملتهية ، ولعقد السحرية السرية ، مسح انكائب الأمريكى ريفح والاس هذه التحفة الرائعة لسي ترحمت إلى ٢٥ لغة عالمية

يقول المؤلف إنه كان في السويد في سبتمبر سنة ١٩٣٦ يعيش في ذلك الحريف الجميل ، حينما استمع إلى الموسيقى الملكية في القصر الملكي وهي تعرف أجمل الألحان استعداداً لأسبوع حوائز نوبل وفي ذلك العام نفسه بدأ يرسم شخصيات قصته هذه وما جرى وراء الكواليس حتى يظهر الفائز وبهر الدما وتستر كتفه ويعود ملئ الحب بالهفود ، وتشعير بطرته إلى الدب ، وبطره الدب إليه ، إنه فار بجائزة نوبل ، وهذا يكفي ، بل أن هذا فوق الكفاية .

وفي أحد فنادق باريس في يوليو سنة ١٩٦٠ بدأ يكتب هذه القصة ، وأنها في أكتوبر سنة ١٩٦١ بأحد فنادق لوس أنجلوس بأمريكا

ويعرف المؤلف ، وسه النار ، إلى أن هذه القصة من أونها لأحرها من اختراع حله ، كل ما فيها من حوادث قد اخترعها وكل الأسماء التي جاءت في القصة لا وجود لها ، وأي سادس فيها وليس أشخاص حقيقيين ، هي مجرد مصادفة ، ثم إن المرفقات التي أرسلت للمثري من اختراع المؤلف أيضاً ولكن المواقع التي صمها في مستوكلهم موجوده حقيقة ، وقد رارها المؤلف ، وكل إجراءات الخفلات وضح ، خوثر صححة أيضاً

وكل المعلومات والأوصاف والأحداث التي وقعت للمثري الحقيقي بحوائز نوبل في الخمسين سنة الماضية صححة مائة في المائة ، وقد رجع المؤلف إلى عشرين الكتب ، ومذات الوثائق وتحقق منها نفسه ، وقد قبل المؤلف عدد ، كسر من الفائزين بحوثر نوبل وسألهم عن حوادث معينة وعن تفاصيل عامة قابل يسئس ومبيكر وبيرلث ونست وعبرهم . ووقف على أدق التفاصيل بنفسه

ثم وصف كل التصرفات الشخصية التي يقوم بها أعضاء حزب التحكيم ووصف التدرج السياسي والعنصرية وراء هذا كله ، وسهى إلى أن حثره نوبل هذه قصبة عسة هل تصور أن دور اسكندرية التي هي السويد والسويج والد بمارك تفور بإحدى وثلاثين حثره ، مع أن لا يعرف ، أحد من كل هؤلاء الفائزين

هل تصور أن سكريرة ألفرد نوبل المسبوبة تفور بحثره نوبل للسلام ؟

هل تصور أن الرجل الذي صلى على حثة نوبل يفور بحثره نوبل للسلام ؟

هل تتصور أنهم مسحوا هذه الحائزة لرحل مات ، لأن أرمته كانت في حاجة إلى نقود !

هل تصور أن هتلر هدد الرويخ إذ هي مسح جائزة نوبل لرحل ألماني ستم هتلر ؟

هل تتصور أن جائزة نوبل لا يعطونها لروس لا نولستوى ولا حوركي ولا شيوخوف حتى لعالم الكبير ، فلوف قد ترددوا في إعطائها ، إلا بعد أربع سنوات .

وأخيراً جداً أعطوها لشولوخوف !!

وقله أعطوها لبامسترباك الذي رفضها !

والرحل الروسي الذي اخترع اللاسلكي قبل ماركسي لم يحوه هذه الجائزة وتولستوى لم يمر بالجائزة مع أن اسمه ظل معروفاً سبوت طوبية ، وربما كان النسب هو أنه مشهور أكثر من الالام ومع أنهم حاولوا إعطاء جائزة لأدب مربي ملكات الألمانية توماس مان ؟!

ولم يفر بهذه الحائزة العالم الكبير فرويد !

ومع أن كثر من حدّثوا سمه ، حتى عدم بلغ الشميين ، على أن يأخذها في الأدب لا في الطب ، ولا في علم النفس مع أنهم أعطوا تشرشل جائزة الأدب ؟!

ولم يفر بها الكاتب الرويحي أيسن !

ولا فار بها الفيلسوف الإيطالي كروتشه ..

ومسحت هذه الحائزة لأس لا وزن لهم من أن أحداً لا يعرفهم من هو كرافت ؟ إنه كتب معروف في السويد فقط ! من هي حبيبته مسترل ؟ شاعره من شلي من هي شاعرة خرايب د ل ؟ بها شاعره إيطالية باقة ومثلي شاعر الإيطالي كوارتودو ، والشاعر الروسي سفيرس والشاعر الفرنسي سان جون برس .. والأديب اليوغوسلافي أندريتش

فى هذه الرواية المثيرة جداً التى كتبها أرفنج والاس ، نحد الدراما ، والحبكة البوليسية والحقق العدمية والفلسفة كلها فى كوكبتل جميل فى القصة سب شخصيات عالمية وفتاتان . .

الشخصية الأولى هى شخصية الأديب الأمريكى كريج ، وهذا اسم وهمى صغاً وهو رجل مشهور باسئمر ، خصوصاً بعد مفلس روحته فى حادث سيارة ، ويعتقد أنه هو إى حد ما مسئول عن هذه الجريمة ، يسافر إلى ستوكهلم ومعه أخت زوجته التى ترى نفسها مسئولة عنه وعن حياته ، وتطمع فى الزواج منه

ولكن الكاتب الأمريكى كريج تعثر مشاعره حينما يصادف أميى دة أح العالم الأمريكى سمر مار ، وهو يهودى ألمانى لأصل وحينما يشعر بحوها بأنها ستكون نقطة تحول فى حياته ، ولكن أميى تروى ما لافته من فطائع فى معسكرات الاعتقال ، وتنتظر ما يحدث ذلك من أثر . وفى هذه الأثناء يلتقى بكريج مثلة سويدية عجزور تريد أن تستعيد محتها بقصة من قصصه وتظهر أيضاً فتاة سويدية عصبو فى إحدى مسعسرات اعرة هذه الفتاة تصدمه بفلسفها فى الحياة ، وبحياتها الاجتماعية انعريه وعلى لسان هذه الفتاة يعرض المؤلف الحياة الاجتماعية وخسنة فى السويد بصورة دقيقة جداً ومفصلة ومثيرة أيضاً

وفى ستوكهلم يحاول الشيوعيون حطف عم الفتاة أملى ، ويقطه كريج ، وفى هذا الوقت يظهر مهزلة لصراع بين اثنين من أطباء واحد منهم أمريكى اسمه حاريت ، وواحد إيصالى اسمه فاريللى ، والاثنان يشتركان فى حائرة واحدة عن ترريع القلب ويحاول واحد منهما أن يسرق الحائرة من الآخر ، وهنا يدخل الحواسيس ويستحسرون وثائق تدبى الطبيب الإيصالى بأنه كد صم الدس اشتركوا فى تعذيب المساجين فى المعتقلات الألمانية .

ويظهر أيضاً علم فرسى وروحه هما الدكتور كلود مارسو وروحه دس مارسو والاثنان فارا حائرة بوس فى الطب لأبحاثهم عن الحيوونات المتوبة ، والاثنان يصلان إلى السويد ، ولهما حساب قديم لم تتم تسويته بعد . والدكتور كلود يحب عارضة أرباء اسمها حريس ، وحينما وصلت برفنة من ستوكهلم تحبزه أنه فار ، الحائرة كان فى أحصا حريس ، وكدت روحه نطله بالتبهن وهى تعرف أين هو ، وتخصر جيريى إلى السويد فى نفس الوقت الذى تقرر الروححة أن تحون زوجها لعلها تثير عبرته أو تتنعم منه مع شاب يشعل لحساب أحد الحواسيس ،

ومهمة هذا الشاب أن يعرف من الدكتور ديس مرسوسر لأطعمة الصناعية لشي
اهتدت إليها مع روجها .

وفى هذه القصة صفحات غارية مثيرة ..
فقد شاء مؤلف أن يكون فصحاً لم يحرق أمام وراء الأبواب لحاسنة لهذه
الأكاديمية التي لها كل صفات المعاند ولكن هيئة التحكيم فيها صفات الكهوب .
هواء هذه الأبواب العالمة روائح لبحور ، وطقوس الرر ، وصليل لسلاس ،
ودوى الأجراس ، ومسوح الكرادلة ..
والحقيقة شيء آخر ..

فلا أيديهم نائنة ، ولا مقاييسهم مترية ، ولا عيوبهم سنة على ستة ، ولا
لفائزون من أعظم الأدباء وأعمق المفكرين ..
وهذا غارق في الخمر ..

وهذا غارق في الخيانة الزوجية .

وهذا يتجسس على ذاك ..

ولدين يحكمون على الأديب العالسي بأنه أعظم لمفكرس ، لا يعرفون شيئاً من
المفكر لعالمى . ولا يعرفون لماذا لم يمر تولسوى ، ولماذا لم يمر فرويد ؟
فهم لا يعرفون ولا يعنيهم أن يعرفوا ..

فلا هي حائرة ماعده حائرة ولا هو شرف ماعده ولا قلبه شرف
فالدين لم يعبوا بها يحب أن يهشوا أنفسهم ، ولدين فازوا بها كثيراً عندوا
أم حنة لتحكيم وأمم ملك السويد عن أنهم فارو وكثيراً ما قالوا وهم
صادقون . بهم لا يستحقونها وي يستحقها أناس آخرون غيرهم ولم يكن ذلك
تواصلاً معهم وإى بعض هذا توضع وأكثره صدق وفهم حقيقى لنتيارات الملعوفة
أو الملتوية التي تحرك لجان التحكيم ..

وهي جائزة «جائزة» .

كانت فى بادئ الأمر ، من أجل هدف بيل .

ولكنها أصبحت الآن هدفاً وغاية لشيء آخر ..

أما هذا الشيء الآخر ، أو الأشياء الأخرى ، فقد فصحه المؤلف . وعراه وصحك منه ، وهو يطلب إليّ ، وإلى الرأى العام العالمى ، أن يصحك ، وأن يطمئن على مقاييسه فى الأدب وأورانه فى النقد ، وأعماقه فى كشف الحقيقة .

وأنا أبادر فأعترف بأننى عندما ترجمتها قد حدثت عشرات الصفحات وقد غطيت الكثير جداً من الصفحات بأوراق التوت ..

وهذا يصير بعض البقع السوداء بين السطور . وبعض القفصات بين المقدمات والنتائج . فقد شاء المؤلف لأمرىكى أن تجعل كل شيء عارياً تماماً كما ولدته أمه . أى كما ولدته قريحته ، وقد تسلمت من قلمه إلى الورق فقط غطيتها ببعض أوراق التوت .

حتى هذه الأوراق جعلتها صناعية أى شفاقة إلى حد ما حتى لا أحب الحو الفنى الضرورى لهذه القصة ، عن العن التى نرى ، وعن العقل الذى يتبع ويفكر . والمؤلف قدم أفكاره على شكل عارصات أرياء يعرض ملابى الصيف . من قطعة ومن قطعتين ..

ودون أن أستأذن المؤلف ، راعيت فروق التوقيت .

وفروق التوقيت تقول أنه من المناسب أن تظهر عارصات الأرياء وهى يرتدى أرياء الربيع ، ولا أقول الشتاء .

فيس الحو رداً إلى هذه المرحه . ولا هو مترمت إلى هذا الحد

فى هذا ، هو المشحو بالأسرار والخوف والسياسة والعصب والعموص ، روى لما أرفح والاس تحمل قصة مدروسة يمكن أن تقرأها فى الأدب لأمرىكى .

وأرفح والاس يسول شخصياته الواحدة وراء الأخرى ثم يحقها الواحدة وراء الأخرى ، ويعود فظهرها من جديد كأنه أحد الخوا . وهو فى الحقيقة ليس حاوياً ، ولكنه ساحر متمكن من فنه فعده اباده ، وعنده الدكاء والصناعة ، ومن هذه العناصر كلها قدم لنا أحمل رواية ، عن أشهر مؤامره أدبيه وعميه فى العالم قدم لنا رأياً ، أنه هو فى حائره بول التى بدأت حائرة علمية وصارت مؤامرة عالمية



فتاة تشرق عمامتها شيلسير

الإغريق

كانوا أقدر شعوب العالم على احسار أنواع عجيبة من العذاب مثلاً ماهى عقوبة الرجل الذى قتل امه ؟ عقوبة هذا الرجل أن يذهب إلى جهنم ولكنها عقوبة عادية . ولذلك يحترعون أنواعاً أخرى من العذاب فى داخل الدار يجعلون هذا الرجل يجلس فى بحيره من الماء والشمس فوق دماغه والماء يرتفع إلى شفتيه ، فإذا أغمى عليه ، يرل الماء إلى قدمه . كل لحظة ولى الأبد ونكر هذه عقوبة عادية ، وبذلك يجعلون عصاً لشجرة تفاح يرل فوق دماغه حتى شفتيه فإذا مد يديه يراعى عصا التفاح كل لحظة وإلى الأبد . . وهذه العقوبة لا تكفى .

ولذلك يجعلون حجراً هائلاً يهوى إلى ما فى رأسه بمسافة قصيرة - ويتوقف ويصاب الرجل بالرعب . ثم يرتفع الحجر ليستفط مرة أخرى كل لحظة وإلى الأبد . . . وكان اسم هذا الرجل المعذب : تنتالوس .

ولم تكن تعرف وتقرأ هذا الإبداع فى العذاب إلا أنها صورة أدسة جميلة محيطة ولكن لم يخطر على بال أحد أن ينفرد الرئيس حوسون بهذه الأنواع من العذاب كلها . وكل لحظة وكل ليلة .

فبعد أن اتهمته أرملة كنيدي بأنه رجل قليل الدوق .

وأن زوجته لم تحف فرحها ولم تترك لحظة واحدة دون أن تعلن بوصوح بعد اعتبال كنيدي بدقائق ، أنها سيدة البيت الأبيض وأرملة كنيدي شارت من بعيد إلى أن حوسون من الممكن أن يكون أحد المسئولين عن اعتيال كنيدي ، وتركت

هذه التهمة معلومة . مشورة ومصوغة في عشرات الملايين من المحلات والصحف ومئات الآلاف من كتاب (موت رئيس) الذي أملت صحفاته على المؤلف ماشستر ولم يشأ جوسون أن يرد . وهذا الامتناع عن الرد معناه : أن أرملة كينيدي سيدة حرة وأب الحزن قد أخرجها من عقلها . وأنها معدومة وأنه لا يريد أن يدخل في معركة . وعدم دخوله في المعركة معناه أنه ليس طرفاً . وأن مقتل كينيدي في بلدة جوسون مجرد صدفة . وأنه شخصاً لم يحاول أن يمنع كتاب (موت رئيس) من الصدور . وإلى الذين حاولوا هم أفراد أسرة كينيدي . فهم الذين أحسوا بالخرق وهم الذين شعروا بالدم ، وهم الذين حرصوا على ألا يكون هناك معركة . وبذلك يكون جوسون قد كسب موقعة في هذه المعركة الدامية العامة .

ولكن العذاب الإعرى الرائع هو الذي يعنيه جوسون من نوع آخر

فهي نيويورك تظهر كل ليلة مسرحية اسمها (ماكرد) على ورن وعلى صيد ماكث لشكسبير . هذه المسرحية من تأليف السيدة / براره جارسون (٢٩ سنة) . وهي سيدة ثورية تخصصت في دراسة التاريخ اليوناني . وروحها كان زميلاً لها في الدراسة وتخصص في تاريخ أمريكا . وهذا الزوج الثوري فوضوي وقد صردته الجامعة لأنه أقام محاكمته للمسيح . ثم انتهت هذه المحاكمة بأن المسيح يسحق الصلب .

ومسرحية (ماكرد) هذه من أربعة فصول ومؤلفة قد احتارت (ماكرد) لأن روجة جوسون اسمها ليديرد . ومسرحية قد احتارت خطوط مسرحية شيكسبير الخالدة (و ماكرد) أو ماكث هو جوسون الذي تبيأت له الساحرات بأنه سوف يكون ملكاً . وهم يكذب جوسون يقول لزوجته ذلك . حتى تحركت كل عناصر الشر والطموح فيها . وعندما رآهما الملك في قصرهما ، وعند منتصف الليلة صحت مطامع المرأة ، ومع عواء الدثاب ومع أشباح الموت قالت لروحها الليلة . وإلا فمن تكون ملكاً الليلة . . إنك ستطيع أن تفصي عليه في ثانية . وبعد هذه الثانية تغسل يديك لتضع الناج على رأسك .

ويتردد جوسون في الملك لم يسئ إليه . بل أنه أعطاه على التياشين وجعله درسا وبصلاً . ولكن اتهمته زوجته بالجنس والرد . وأمام انتهات الروحة أمسك

الخنجر وذهب إلى كيدى وقتله ، ولكن فى هذه المسرحية يتم اعتيـل وراء الستار ويعود حونسون إلى فراشه حائفاً ، ولكن زوجته تنظر إلى الخنجر فى يده وتطلب إليه أن يغسله فوراً . كـأى طبق أو فـحاح قهوة ولأن حونسون متهم دائماً - ككل روح - أنه لا يغسل لنفسه كوب ماء ، بذهب ويغسل يده من جريمة كيدى .. وفى الصباح عندما يتعالى الصراخ فتدهش جداً روحه حونسون ، وفى سرعة الورد وفى عومة الثعبان ، وفى برودة السيوف ، كيف تقع مثل هذه الجريمة فى بيتها .

وتقول آه .. وأسفاه .. وفى بيتى ؟

فيرد عليها أحد لقواد . إنها شـعة ياسيدتى فى أى مكان ؟

نفس هذه العبارة جاءت على لسان زوجة ماكث . وعلى لسان روحه حونسون نفس للكدمات والحروف وعلامات التعجب فدهشة زوجة انقاتل ليس سسها أن الجريمة حدثت ، وإنما سسها إنها حدثت هنا فى البيت ، وفى ولاية تكساس موطن حونسون .

إنهم نفس الظروف نفس الأحداث نفس الجريمة . كل ليلة يحاكم الرئيس جونسون .. ويتهم .. ويدان .

أن الأدبـة لامريكية قد ستعارت أسلوب شيكسبير فى مسرحية (ماكث) وفى مسرحية (عطيل) ومسرحية (هاملب) . واختار مصمماً حديث هو اعميال كيدى ومن المؤكد أن هذه المسرحية سوف تبقى طويلاً لأن المؤلفة قد سرقت شيكسبير فكأنها سرقت التـح البريطانى فالشـيء السـروق هو الذى سوف يعطيها البقاء . فكأن الأدبـة الأمريكية قد سرقت عصا شيكسبير لتضرب بها حونسون قابل كيدى كل ليلة . وهؤلاء الثلاثة قد صمموا لهذه المسرحية أن تعيش طويلاً ..

فالعذاب الذى يعاينه حونسون يتكرر كل ليلة . فانسر يجلسون إلى المسرح ليروا متهماً قاتلاً كل ليلة أن المسرحية قد هوت على السـر ، لا جريمة كيدى ولكن عتيل حونسون ، وهو لا يستطيع أن يتكلم . وإلا كان كلامه دفاعاً عن

نفسه ودفاعه عن نفسه معناه أنه قد وافق على أن يكون هو المتهم في جريمة
عتيال كيدي . ولكن من المؤكد أنه يتعبد عندما يرتفع الستار دون أن يتحرك
ويدو أن هذا هو العذاب المودجي الذي احترناه في القرن العشرين لقد حرمنا
محاكمات نورمرح ، فلم تكن محاكمات مصيئة مفسدة وإنما كانت محاكمات
فيها دم . وفيها . . انتقام ، فكأن هذه المحاكمة قد ارتكبت نفس الغلطة التي
تحاسب المجرمين عليها : القتل ؟

ولذلك فمحاكمات القرن العشرين تقصى بإعدام المحرم دون أن تزل منه فطرة
دم . وفي العصور الوسطى كانوا ينهدون هذا الحكم بأن يحرقوا المجرم أو يغرقوه
أو يحرقوه أو يشقوه . فلا ينزل دم . أما في القرن العشرين فالمحاكمة نفسية فالعذاب
النفسى أقصى وأقصى درجات العذاب .

ويحس بذكر ما حدث في نهاية فيلم (الريارة) بطولة المخرج بيرحماد ومن
تأليف الأديب السويسري ديرمات فطلة الفيلم اشترت بملوسها أهل المدينة
اشترت دكاكينهم ومدارسهم وكنائسهم ومصانعهم . اشترتهم وعلوسها طست
إعدام بقال كان قد اعتدى عليها وهي شابة ووافقت المدينة على ضرورة إعدام
هذا الرجل . . وإلا مات الناس جوعاً .

ود هرب الرجل فهو محرم في حق المدينة . ولذلك يحب أن يمسه حتى
لا يهرب . ويحب أن يقتلوه حتى يعيشوا جميعاً وكان قرار المدينة قاسياً على
الرجل . . وأقصى من ذلك أن الرجل كان يرى رجال الكنيسة يحصرون له قبره
ويعدون له كفنه وأقصى من ذلك أن المدينة كلها اجتمعت لتصدر حكماً بإعدامه
بالإجماع ، وفي اللحظة التي اجتمعت المدينة على إعدامه . قررت لطلقة أن تعفو
عنه . . وهذا هو أقصى أنواع العذاب والتعذيب ، لا للمدينة كلها ، ولكن للرجل
أبصاً ، فالإجماع كان يقدر الناس من أن تقع عليهم عسا المحكوم عليه . لأنهم سوف
يرفعون أيديهم مرة واحدة وبعد ذلك يحتفى الرجل . فلا يرويه ولا يرهق . ولكن
العفو عنه معناه أن لرجل سيواجه كل يوم هؤلاء الذين قرروا إعدامه لن يهرب
منهم واحد . كلهم يواجهونه وفي عيونهم إصرار على ذلك ، وكل يوم يضافهم
وفي أيديهم إصرار على حقه . أنه يتلقى الحكم بإعدامه مع كل وجه ومع كل

مصافحة ومع كل نظرة وكل لحظة . هذا هو أقصى العذاب أن يحاكم الإنسان كل يوم وأن يدان كل يوم .

ولا شك أن محاكمة جوسون معاها أن الشعوب قد أرسلت إليه حيثيات الحكم . وإياها أخطوته فكان المحاكمة وأسابها . وأنه ليس في حاجة إلى شهود بعي أو إثبات فالهمة ثابتة والمجرم محترف وصحايه في فيسدم لم تحف دماؤهم . وليس من الضروري أن تعقد هذه المحكمة الأداة لأنها عقبت بالفعل ولأن القاتل أدين . وأنه محترف ولا يسقى إلا شيء واحد . هو أن يؤكد الناس كل يوم أن جوسون قاتل . وأنهم لذلك يحب أن يرى عيوبهم وهي تدينه وأيديهم وهي تخفق يديه . وأن تحيى تصرفات الناس جميعاً تؤكد حبها للحياة والسلام وكرهينها للحرب والدماء . في فيسدام . لماذا يفعل ذلك كل الناس ؟

السبب قاله لنا آرثر ميلر في مسرحية (بعد السقوط) التي يقف فيها الطفل في مقدمة المسرح يؤكد أنه جاء يعترف . وأنه بعد هذا الاعتراف قد ألقى همومه كلها على أكتاف المتفرجين فلا أحد يرى الدم ثم يسكت بعد ذلك لا أحد يرى مداخل الحروب ويعمص عينيه . . لا أحد يفتح عينيه ثم يعمص صميره . ونحن جميعاً شهود على جريمة ونصبح شهوداً حرمة أخرى إذا نحن سكتنا . يجب أن نقول شيئاً . يجب أن نطق . يجب أن ندس المجرم والقاتل والمخرب والمصلل

إن آرثر ميلر نفسه قد صارع البطلة روحته مارلين مونرو . قال لها : إنك تشتركين في جريمة قتل لفتاة جميلة صبة سادحة اسمها - مارلين مونرو . لماذا ؟ لأنها سرك نفسها لمسحى السيما يأكلونها ويشربونها ويبيعونها لحم وردياً على كل شاشة . وأنها يجب أن تشور فليس كل الناس أصحاب حق عليها . وهي بلا حقوق . إن من حق المتحين بحار الرقيق الأبيض أن يعيشوا . . ولكن ليس من حصهم أن يمتص حيوانهم حياتها . وليس من حق الدول رؤسمايه أن تكون حياتها إعداماً لحياتنا . . أو حياة أى شعب . .

ولذلك يجب ألا نكسفى بمشاهدة الجريمة . يجب أن نشهد ضدها . وأن نرفع أيدين ونقول : لا . .

وكلما زاد عدد رواد هذه المسرحية (ماكسرد) في أمريكا وفي لندن زاد عدد الذين يقولون : لا . . للحرب وللذين اغتالوا كيدي .

وعداها أحرل للرئيس حوسون لقد صدر منذ أيام كتاب لرجل عنقري مات سنة ١٩٣٩ وفي هذا الكتاب محاكمة عيفة جداً لرجل مات سنة ١٩٢٤ . أما المؤلف فهو فرويد . فقد صدر هذا الكتاب منذ أيام بعد أن طل مودعاً في أحد البنوك منذ ربع قرن . والكتاب يحاكم الرئيس الأمريكي ويلسون . فقد لاحظ فرويد أنه والرئيس الأمريكي قد ولدأ في سنة واحدة هي سنة ١٨٥٦ ولاحظ أيضاً أن هذا الرجل ويسون قد عبر المحيط ليتدخل في مصير القارة الأوروبية . وقد سمع من رجل أحرل كان يعمل مساعداً لويلسون أن هذا الرئيس الأمريكي رجل شاذ محزون . ولا شيء يستولي على كل مواهبه أكثر من أن يجد نفسه أمام حاكم شاذ مجنون . فهو يعرف أن الإنسانية قد عانت كثيراً من الحكام المجانين الشواذ . . وأمسك فرويد بتفاصيل حياة الرئيس ويلسون . فلاحظ أنه كان طفلاً مدلاً . . وأنه أحب أياه حباً جنونياً . وأن أياه القسيس كان مثله الأعلى . وأنه رأى في أبيه صورة لله ولذلك حرص الرئيس ويلسون على أن يحقق رعبات أبيه طول حياته . وبعد وفاة أبيه أحس أنه هو شخصياً ظل الله على الأرض . . ومن عبارات ويلسون أثناء معركة الانتحارية : سوف أبحر لأن هذه هي إرادة الله ومهما حاول أعدائي وأصدقائي فإنني سوف أنجح .

وبندهش فرويد لهذه العبرة ويقول إذا كان هذا رأى رجل في إرادة الله وأنها إرادته أيضاً فكيف يكون موقفه من إرادة الناس ؟

إن هذا الرجل أبدى عبر المحض يرى أن الخير في الدنيا هو الحفيص وأل الشر لا وجود له وعلى ذلك فيست هناك شرور وإنما هناك نيات طيبة خيرة . وهو لهذا السبب حاسب الناس على نياتهم فقط .

ولا يمكن أن يكون هناك إنسان أسوأ من هذا الرجل . . به ضد الطبيعة الإنسانية طبيعته هو . ففي داخل كل إنسان قوى شريرة متناقضة وليس مطهر للناس الخارجى إلا رياءاً فيها لرغبات متوحشة فإذا جاء رجل ليعلن للناس أنه لا يوجد شر فهذا الذي أعليه هو ألعر أنواع الشر لأنه رجل متعصب ديني . . ولأنه رجل أعمى . وأنه يتسمه طمساً للعيون جاء يعالج عيون الناس وهو لا يؤمن بوجودهم . . ولا يعرف تكوين العين ولا يفهم في الطب .

أن الرئيس ويلسون بشذوذه العقلي وحرصه على أن يصل طفلاً يجلس على
، كتي والده ،الفسيس هو الذي أدى إلى نكبة العالم بعد الحرب لعلمة الأولى
فقد استطاع هذا الرئيس الأمريكي أن يعرض على الناس بالقوة أنه لا شرف في
الديا . . أنها كلها خير في خير فليس صحيحاً أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان . .
حتى جاء هتلر وطرد فرويد من النمسا ليعيش في فرنسا وانجلترا ويموت هناك .
إن أحداً لم يقل لويسون أنه مجنون إن أحداً لم يقل له إنه قاتل . ليس قاتلاً
لشخص ولكنه قاتل لقاره وأن أخطئه اشخصية جرائم سياسة وأن هوسه
العقلي جنون عالمي . .

وبهذا الكتاب يحد القارئ الأمريكي والقارئ في العالم والمحاكم الأمريكي
أيضاً أنه أمام جريمة جديدة . . وأن حساب ا جريمة القديمة قد صفي أحيراً بصور
كتاب فرويد أن هذا الكتاب هو حيثيت جديدة تفصح رجلاً مات وبحيف رجلاً
لا يزال حياً : جونسون .

وبذلك تكتمل المحاكمات (لأدبية) وهي أحدث وأعنف أنواع العذاب



اخلعها وتوكل

قرأ

اثنان من الأدباء الروس خطاباً بعث به تولستوى لأحد
صدوقه وفكر الاثنان فى أن يرورا هذا الكاتب العظيم . الاثنان
هما : جوركى ، وتشخوف .

والخطاب يقول :

« يجب أن تتج ويحب أن يعرف عن كل ما هو ناصح فى نفسك ، فلا أحد
يستطيع أن يعرفه سوى لا يهتم أحد ، ما يقوله الناس عنك لانهم ما يسمونه من
حملات لك . لكن انسى بهم جداً وفى الدرجة الأولى . هو أن تحس أنك تقول
شيئاً جديداً وشيئاً عاماً يحتاج إليه الناس . وعندما تحس بذلك ، ونعمل من أحبه
فما أعظم سعادتك فى هذه اللحظة » .

وفى نفس الوقت أحس هذان الأدبيان أنهم يجب أن يحاسبا صاحب هذا
الخطاب . أن يسألاه إن كان لديه شيء جديد . ان كانت أفكاره الناصجة تنفع الناس .
إن كان النصح وحده يكفى فمن الممكن أن نصبح ثمرة على شجرة وتنعم ، وإذا
سقطت إلى الأرض إلى الناس ، كانت حبة هامة . وإن كان هذا المبدأ العظيم
لا يبرر متمكناً بهذه الناصجة وإن كان لديه شيء يقوله لهما معاً أو وحداً واحداً . .

وفى سنة ١٩٠١ وفى « بيان » المتقى لثلاثة فى خطه باهرة مرة . وكان
تولستوى فى الرابعة والسبعين . .

وكان تشخوف فى الثانية والأربعين .

وجوركى فى الثالثة والثلاثين . .

وكل واحد منهم يمثل طبقة . وأسلوباً في التفكير وهي الحماة . . تولستوى يمثل
الارستقراطي الإقطاعي الفردي في تفكيره وفي فصايه . وهو في نفس الوقت نموذج
متكامل لأبناء القرن التاسع عشر

وتشيخوف يمثل المثقف من أبناء الطبقة الوسطى ويحتفظ في نفس الوقت
بطبيعة العلماء الذين يقدسون لتجربة . . ويرون أن الحقيقة الوحيدة هي التجربة
وأنها الوسيلة الوحيدة لمعرفة شيء . أو لتعبير شيء من الواقع . وهو أيضاً لا يصبره
على الأفكار الفلسفية المحردة . وإن كان في نفس الوقت عاجزاً عن ربط أفكاره في
إطار واحد متكامل . .

وحوركي يمثل الطبقة العاملة ولحماتها الثورية ولكنه وثق من هدفه متأكد
من معلوماته . وهو يأخذ الفن مأخذاً جاداً صابراً . .

وما انتيحية التي حرج بها هذان الاثنان من لقاء عملاق الأدب الروسي فهي :
أنه فنان عظيم وأنه ساحر ولكن في غير رصه وأنه وصل إلى المحطة بعد قديم
العصر . وأنه لأن يعيش في عصر النمو الصناعي ولإرهاب الرسمى . والظلم
الاجتماعي . وأنه حل معزل عن الوديان الشعبية وأن هناك معابد جديدة تقام
في كل مكان . ما المناسبة فهي ظهور ألهة جديدة . وشروق شمس جديدة .

يقول تشيخوف هذا الرجل كان عملاً يسمى . . والآن لم تعد له مكانة فيها
لقد ترك نفسه وتركها خالية . . وترك بيتي وحياتي أيضاً . .

ويقول حوركي أنه اعزلى وهو من أصار المقاومة السسية ومفالة الإساءة
بالإحسان . وانعف برفق . والناساء . لإحلاص الفردى . وكان شعورى في
كلمتين : القرف والفرع !

وبعد هذه اللقاء اتجه كل واحد إلى طريقه . .

وازداد اضمثان كل واحد منهما على سلاحه وعلى قدراته . . وعلى أنه في
استطاعته أن يمسك الرابة التي سقطت من يدى تولستوى .

كأنهما اثنان من الشبان جمعاً ملعاً من المال ودهماً به إلى السك وبدلاً من أن
يشعر كل واحد منهما بنهاة ما عنده من أموال وصالة المجهود الذى بدله كل منهما
في جمعه ، أحس بنهاة الأموال الموحودة في السك وكل ما أعجبهما في السك

هو الساء فقط . . ولكن الأوراق المألسة التي امتلأ بها لسك رائحة . . قديمة . .
ألغيت من وقت طويل!

إن الشكل فقط هو الذى أعجبهم . أما المصمون فهو كالطعم البائت أو كالثمرة
المتعفنة . . أو كالقرن التاسع عشر عندما يتطلع إليه أضاء القرن لعشرين!

وهذا اللقاء ناربخى نادر وباهر

فليس يحدث كثيراً أن يصادف الإنسان فى حياته الطويلة كتاباً يهزه ويفتح
عيبه على شىء حديد ولا حادثة تصعه على الطريق السليم . . ولا شخصاً
يحول تفكيره من اليمين إلى اليسار . .

فهذا لا يحدث كثيراً وإذا حدث وبقوه وبصورة إيجابية فهذا شىء نادر .
ومن الممكن أن يظل الإنسان طول عمره عبارة عن قفل متين لا يصادف مفتاحاً .
أو لغماً عائماً لا يصادفه جسم يجعله يتفجر . .
أو قمقماً معموراً فى حصم النسيان لا تمتد له يد ترع عطاءه وتكشف طاقته الهائلة .
أو يظل وجهاً هائماً يبحث عن مرآة . .

فيبقى مجهولاً للناس ومجهولاً لنفسه أيضاً . فهو لا يعرف قدرته
ولا يعرف ما الذى يستطيع أن يعمل . ولا أين يعمل . ولا كيف يعمل . ومن
الممكن أن يمشى فى طريق طويل . يعبره لمشى بالاستمرار ويعبره الاستمرار
بالاطمئنان إلى قدرته . .

ولكن عندما تتاح له فرصة نادرة ولو مرة واحدة فى حياته فيفتح القفل
ويتفجر النعم ويرى لأول مرة ملامح وجهه . . ويرى ما تحت الوجة من استعداد
وقدرة على أن يعمل وينتج ويغير نفسه بل يغير ما حوله أيضاً .
هناك فقط يشعر الإنسان شعوراً متناقضاً . .

فهو يشعر بخيبة الأمل . لأن أنكاره القديمة كلها قد سقطت عنه كثوب قديم . . ويشعر
فى نفس الوقت بأن فرصة جديدة قد أعطيت له لكى يعبر من نفسه ويستدرك ما فات .
ويشعر شىء أعمق من هذا . وأكثر قسوة .

وهو أنه كان يعلل لأسباب فشله بأنه لم يعرف طريقه بعد . بأنه لم يكتشف نفسه بعد .

بأنه ليس هو الذى يعمل كل شيء . الإنسان بقدراته واتجاهاته يصبح فى هذه الحالة مسئولاً عما يفعل ومطالباً بأن يعير من نفسه ومن الآخرين أيضاً .

ولذلك رأى تشيخوف وحوركى أن تولستوى العظيم قد تساعدت المسافة بينه وبين نفسه . وبينه وبين الناس . وأنه لذلك نسى ما كان يقوله . وأن الذى يذكره هو شيء لم يعد له سعر . وأن تولستوى بطبع عملات ورقية ليس لها عطاء ذهبي .

والعطاء الذهبي هو الناس . أو هو الواقع . هو التجربة الحية . أى التجربة التى يعيشها هو أيضاً . فتولستوى كان حياً . ولكن بلا تحارب . بلا صلة بالناس .

وما أكثر الأحياء بلا تحارب .

وما أندر اللحظات التى يحس فيها الإنسان أنه حى وأن حياته فوقعة صيقة محدودة خانقة . .

وما ندر وما أنهر اللحظات التى يحلج فيها الإنسان فوقعته ويقدمها قرباناً للرفع الجديد .

فإذا عرفت نفسك ، فاجع فوقعتك واتركها وتوكل على الله وعلى نفسك وعلى الناس .



كان للسلطان حريم

يتفق الرجال على الصورة التي نحون أن يروا عليها المرأة . . هل هي حواء العارية ؟ هل هي إيزيس الأم ؟ هل هي مدام كورى الباحثة ؟ هل هي مارلين مونرو الممثلة الجميلة ؟ هل هي

لـ

حتشبسوت المسترجلة ؟

وموقف الرجل من المرأة يدلنا على أى نوع من الناس هو . ومن فهم الرجل لدور المرأة فى حياته ومن الحياة العامة يعرف ما معنى الحرية عنده والرجال فى مواجهة المرأة :

أما أعداؤها .

أو خصومها .

أو أنصارها .

أو عشاقها .

وأعداء المرأة هم الدين لا يرون فى المرأة أبة ميرة ويرون أنها إنسان محنّف . . . أو أنها (رجل) هرب صعب العقل أو أنها ليست من أصل إنسانى ويرون أيضاً أنها تتريحتها للدليل وتركيبها المعقد قد أدت إلى تشويش حياة الرجل وإلى تعويقه عن التطور وأنها ليست إلا جسداً فقط وإلا حيوانية تماماً .

والفيلسوف اليونانى سقراط هو الذى استطاع أن يترك ظله العميق المعيب على كل الحضارة العربية فقد كان سقراط (رجلاً) دميماً . . ولم يكن رجلاً بالمعنى الحقيقى . .

وقد استولى الشدود الجسدى على الحصاره الإغريقية كلها منات السنين . ولم يكن يستكره أحد . . واستطاع سقراط بذلك ، وحيث عميق أن يحرص احتقار الجسد الإنسانى . سواء حسد الرجل أو حسد المرأة واحتقار كل ما هو حسى . ولأن سقراط كان يرى أن المرأة هى حس فقط وجنس فقط فقد استبعداها من دينا الحياة العقبيه ورأى أن المرأة والحسد والحس ضرورىحت أن يتخلص منها الإنسان .

ووراء سقراط وتحت تأثيره الهائل سارت الفلسفة والأدب والمسيحية أيضاً حتى يومنا هذا . .

أما خصوم المرأة فهم الدين برون أن المرأة انسان كالرجل لا شك فى هذا . ولكنها محتتفة عنه فى تكوينها الجسمى والنفسى والتاريخى أيضاً . وتاريخها انحرىب هو المستول عن صيق كتفيتها وصحامة ردفها وقصر ساقبها وأن أعظم عمل تقوم به المرأة هو أن تكون أمّاً . والأمومة هى العمل الإبدعى الوحيد الذى تنفرد به المرأة . أو الأنثى عموماً

والمرأة بطعها لا تحب أن تستقل بنفسها وإنما هى تعتمد على الرجل فى كل شىء . وليست لديها أية قدره على الإبداع والمعامرة . بل إن الأعمال التى تههم المرأة لم تتفوق فيها فلا توجد طبيية مولده ممتدة ولا توجد حلاقة ممتدة ولا مصممة أرياء عقريية . . وعلى الرغم من أن المرأة تنكى بمحسسه ومن غير محسسه فلم يحنرع المرأة علاحاً للبكاء . ولم يؤلف مأساء واحدة حالده ولأن تجربة المرأة العملية قصيره فهى لىلث لا تصلح للأعمال خارج البيت . ومكانها الطبيعى لخطرير جد هو البيت هو الأسرة . هو أن يكون روحة وأمّاً .

أما أنصار المرأة فيرون أن المرأة لا تختلف كثيراً عن الرجل بل إنها أقوى من الرجل جسمياً وأقدر على احتمال الألم والمرض . وهى أطول عمراً من الرجل . ولا يوجد شىء فارق فى تكوين جسم المرأة ولا فى وظائفها لعصوية . وبقاء المرأة فى البيت نعطين لقوة هائلة يمكن أن ينفع بها الإنسان ولقد حربت الإنسانية طوال عشرت ألوف من لسنين كيف تكون حياتها الاجتماعيه والخاصه فى ظل سيادة الرجل وسيطرته فلماذا لا يحرب شترك المرأة مع الرجل فى الحية الخاصة والعامة

لماذا لا يحرب دحول العصر للصف فى حبات العمة والخاصة ؟ ولماذا لا يكون شعال امرأة بنفس الشروط والظروف لتى يعمل فيها الرجل .

والمجتمع الآن قد علم المرأة وفتح لها كل الأبواب . ولا يمكن أن يكون المجتمع قد حسر شيئاً بهذا العدد الهائل من الأيدي العاملة . وقد دخلت المرأة في كل المجالات : العلم والعمل والفن والأدب والسياسة والإدارة

وإذا كانت هناك شروخ في المجتمع فليس سببها أن امرأة تركت البيت وذهبت إلى المكتب أو إلى المصنع . وإنما السبب هو أن الرجال لا يزالون مسيطرين على كل شيء . . . وأن كورث الدنيا تولد ونمو وتنحدر في عقول الرجال وأيديهم

وعشاق المرأة هم الذين يرون فيها ينوعاً رائعاً للجمال والمنعة . وأن لحياة بغير امرأة مستحيلة . وأن السماء قد أهدت لبشرية حواء وناتها لكي يكون هناك أبناء وأحفاد . ويكون حب

بل إن النفس الإنسانية بها كور لا يمكن أن ننفتح إلا بأصابع المرأة وإلا ناهتمامها . فإله قد حقق المرأة لكي تحبها . أما وروجة واسعة وإذا أقبلت المرأة فالحياة هي الحنة وإذا بتعدت فاحياه قطعة من العذاب وإذا كن لابد للإنسان أن يختار الراحة بغير امرأة والعذاب معها فإنه يفصل العذاب معها عن الراحة مع عشرات الملايين من الرجال وإذا نحن حردنا الأدب والفن من المرأة ، لم نبق من أيدينا شيء . والأدباء والقصائون هم أكثر المخلوقات حساسية وأكثرهم إدراكاً للجمال وأقدرهم على التعبير وأروعهم في التسامي بالحرمان والشوق والحب .

وأعداء المرأة هم في نفس الوقت أعداء الإنسانية كلها . وأعداء لحياه وهم عادة أناس مشوهون جسدياً وعقلياً أيضاً .

وخصوم المرأة هم أكثر الناس حياداً مع امرأة وهم ينظرون إليها بعقل ، والمرأة لا تحب أن ينظر إليها الإنسان بعقل . لأنها لا تعرف إلا أن يكون الإنسان عدواً أو حبيباً . ولكنها لا تفهم أن يكون الإنسان عدواً حسياً أو حبيباً حسياً أو عاشقاً يتحفظ أو كارهاً بحساب . ومع ذلك فقد استمادت المرأة كثيراً من خصومها فقد أناروا لها الطريق وطلقوا حريتها بحساب ومن بين خصوم المرأة أعداء العقاد وتوفيق الحكيم وحيث محفوظ وأحرون وكاتب هذه السطور .

وأصابع المرأة هم الذين يدفعونها إلى الحرية وإلى العمل وإلى تحمل الأخطاء في محاربتها ، خديدة ، فالذي يعمل هو الذي يحضن والذي يعمل هو الحر . والحر هو

الذى يتحمل مسئولية العمل ومادامت المرأة حرة فلا خوف عليها إذا عملت .
ويجب أن يحسب الرجل إذا أخطأ دون أن نكتفى بحساب المرأة وحدها .

ومن أنصار المرأة كل المفكرين العلميين والاشتركيين وفى مقدمة المفكرين الرواد
طه حسين وسلامة موسى وإسماعيل مظهر . ومعظم الأدبيات طبعاً : مى زيادة
وسهير القلماوى ولطيفة الزيات .

أما عشاق المرأة فهم كثيرون جداً منذ أول إسان قارن بين وجه المرأة والقمر حتى
الرجل الذى قال على لسان عبد الوهب تعذبى برضه أحبك أو الذى قال وعنت أم
كلشوم : وتحيب حصوعى مين ولوعتى بين إيديك أى حتى أحمد رامى ومعظم
الشعراء العشائيين . وهم الذين يحرصون على أن تظل المرأة كتلة من اللحم الحى عروقتها
تحرى بالسرين وأساسها من نار . . والطريق إليها بالدموع والشموك وهى التى يجب أن
تتعذب وأن تحب العذاب والهوان وأن تظل العارية فى يد الرجل وتلعنه

ولا فرق كبير بين أعداء المرأة وعشاقها فأعداء المرأة يرونها (شيئاً) كريها .
وعشاقها يرونها (شيئاً) لذياً .

ولا فرق بين أحمد رامى وبين مصطفى صادق الرافعى والفيلسوف سقراط والذين
عشقوا المرأة والذين عادوها لم يقدموا لها شيئاً يفعها فى تحررها من قيود الرجل
بل إنهم جعلوا هذه القيود والصبر عليها وحب الدل والهوان ضرورة حيوية
بل إنهم يجد فى (ألف ليلة وليلة) دعوة واحدة إلى تحرير المرأة أو الإشفاق
عليها . لأن المرأة متاع للذيد . وهذا يكفى .

والملك سليمان عندما حبس فى قصره مئات النساء لم تسمع منه كلمة واحدة
عن حرية المرأة . ربما كانت الفتاة (شالومست) هى أول امرأة تمردت على استعباد
وإذلال الملك سليمان . . .

وأوضح صورة لالتقاء العشق والعداء للمرأة هى فى صورة (الحريم) - أى فى
جمع أكثر عدد ممكن من العشيقات فى مكان واحد وتربيتهن وترويضهن للقاء
السيد صاحب الحريم سواء كان السيد شيخ قبيلة أو سلطاناً من السلاطين . .
والسلطان يرى أن المرأة ضرورية . متعة ضرورية لا يستطيع أن يستغنى عنها

ولكنه في نفس الوقت لا يحترمها ولا يرى لها أى حق . فهي (شئ) مودع أو ملقى هناك . . وفي حالة انتظار مستمر لإرادة السلطان الذى يريد أن يعرق فى الجنس ثم يضربه بقدمية بعد ذلك .

والذين يرون أن المرأة يجب أن تكون حريماً هم أيضاً الذين يرون أن المرأة يجب أن تكون (هائم) أى أنثى أليفة فى انتظار الخائن دائماً زوجها

والذين يرون أن امرأة لا حقوق لها وإنما يجب أن تظل مربوطة فى ذراع زوجها يبيعها ويشترط عليها أن تعمل أو لا تعمل . . أن تسقى أو لا تبهى وأن يعاقبها كما يريد وأن يرسمها فى الشارع كما يريد كل هؤلاء ينظرون إلى المرأة على أنها حريم . على أنها حرة من ممتلكات الرجل . وأن الرواح ليس إلا عقد للانتفاع المشترك بين ذكر وأنثى . وأن الذكر هو الأقوى وهو صاحب الحق وأن الأنثى هى الأضعف ويجب أن تسقى كذلك ويجب ألا تقوى الأنثى لأنها إذا قوت لم تصح الرجل قوي . ومن المعروض أن يبقى الرجل قويا بحق ومن غير حق . .

ولكن أكثر الناس عدواة للمرأة هم لاشك عشاقها لأنهم يوافقون المرأة ولأن المرأة ضعيفة أمام النفاق ولأن المرأة ضعيفة أمام الإطراء وأمام الكلمة الحلوة والنظرة الحلوة ولا تزال المرأة تفصل الرجل الذى يكذب عليها على الرجل الذى يصارحها . وإذا استعد الرجال الموافقون بالنشعر والموسيقى فإن هذا الكذب مذوب فى أعماق المرأة فتحب العذاب والهوان وتسى أن الذى تحبه هو الأداء والغناء والكلام والندجن والموسيقى

فما أعداء المرأة من رجال القابول والملاسة فأمرهم سهل لأنه يمكن مسقتهم بالعقل فلا موسيقى ولا عشاء ولا نفاق ولا كذب . . ولأنها معركة حامية بين رجال فهي معركة بالسلاح الأبيض . وأساس المعركة هل نحن كرجال نحترم بسابياتنا أو نحترقها ؟ هل نحن كرجال نرى أن الحرية من حقنا وليس من حق المرأة ؟ هل نحن كرجال نرى أن الكرامة حق للرجل والهوان حق للمرأة ؟

إن الذين يرون أن المرأة بالرجل وتعديها من كلمة فى فم الرجل وتحويل المرأة إلى سلعة أو إحدى مستعمرات الرجل هم سلاطين عنمايون يرون أن الرجل سلطان وأن امرأة حريم وأن الحريم دبيحة تأكل وتشرب وتتعطر وتجمل وترى كل ليلة إلى فراش السلطان .

وإذا كانت كلمة (حريم) قد انقرضت من معظم دول العالم فإن المعنى نفسه لا يزال باقياً فى عقول كثير من الناس فى بلاد أخرى . .

وأمامي الآن كتاب صححه صدر هذا العام بعنوان (الحريم) للكاتب الإنجليزي ب. سزر وهو يستعرض كيف نشأ الحريم في الدولة العثمانية أو على الأصح كيف اشتد سلطان الحريم في الدول العثمانية ، حتى كانت النساء هن اللاتي يحكمن أما السلاطين فكانوا غارقين في الخطيئة . وبظام الحريم قديم جداً . . . كان في إيران وفي العراق القديم وفي الصين . ولكن كلمة (الحريم) ومعناها في اللغة العربية الشيء (حرام) أو الشيء المحرم . أصبحت حاصه بالدول العثمانية وحده لأنه لم يحدث في التاريخ أن أصبح مثل هذا العدد الهائل من النساء السحيبات في قصر السلطان يعكس في الظلام والرطوبة والعطور وسجيجات إرادة السلطان وأعوان السلطان .

واحر السلاطين العثمانيين هو السلطان عبد الحميد الذي طرد سنة ١٩٠٩ كان يحتفظ بأربعمئة جارية عشقة ومائتين من الخدم الأعوات السود والبيض . ولم يعرف العالم العربي حقيقه نظام الحريم إلا في أوائل هذا القرن مع أن نظام الحريم السلطاني كان موجوداً ابتداء من القرن الخامس عشر في العاصمة التركية ، فمن أوائل القرن الخامس عشر لم يعد للسلطان راحة شرعية وإنما السلطان كان لا يفر من بالروح من فته قد تنحب له بنتاً . ولذلت فهو لا يتزوج إلا الحارية التي تنحب له الولد . فإذا أنجبت الولد اتخذت لها لقباً حديد هو (السلطانة الوالدة) ومن السلطانة الوالدة سوف تكون له مئات الحاربات والأم هي التي تبحار لاسها العشيقات . . . مئات العشيقات فإذا أنجبت العشيقة ولداً تحولت إلى (سلطانة والدة) فكل السلاطين العثمانيين هم أبناء حاربات أما حياة الحريم فهي انتظار لمشيئة السلطان .

ولكن هناك طريقاً طويلاً قبل أن تحظى الحارية بظرة واحدة من عين السلطان فالحارية تدخل السراي والسراي كلمة إيطالية معناها قصص الوحوش أو كلمة فارسية أيضاً معناها المكان والسراي معناها الإيطالي أقرب إلى طبيعه القصر أو السراي التي تعيش فيها الحريم . وبعد أن تدخل السراي تندرب على أن تكون تلميذة محتشدة لإحدى العشيقات وتتعلم العس والطبخ وبعد ذلك تصح عشيقة وتنتظر إرادة السلطان . . . ولمرض أن إحدى العشيقات كانت محظوظة لدرجة أن السلطان رآها وليس من الضروري أن يكون قد ملأ عبيه منها . وإنما يكفي أن يرمش أمامها وهذا (الترميش) معناه أن هذه النساء يحول فحاة إلى كائن أحر . . . تدخل الحمامات وترتدى الملاس وتعرق في العطور وبعد يوم أو يومين يحملها الأعوات على كرسي ويدخلون بها غرفة السلطان ويضعونها أمام سريره .

ويكون السلطان عادة قد تعطى وتحىء العشيفة لحديدة وتقترب من العرش وتأتى من الأصوات والحركات ما يجعل السلطان يصحو . وهما يحتصم الأعوت . وهى الصباح المبكر يحملون العشيفة إلى حياحها وتكون كل الأبواب والنوافذ معلقة على الجاسين ثم يكتبون فى أحد السجلات تاريخ اللقاء السلطانى وينتظرون المولود السعيد فإذا كان ولدا وهى سلطنة وإذا كان هدا هو أول أولاد السلطان فهى الجلاسة على العرش إلى جواره أما إذا غير السلطان رأيه . وكان (الترميش) ليس ذليلاً على إعجابه بها وإنما كان سببه أن دابة اقتربت من وجه السلطان فهجم الأعوت على العشيفة الحديدة ويمرقون ملابسها ويلقبون بالماء القدر فوقها . ثم يعدونها إلى بداية السلم أى إلى كنس البلاط ومن المؤكد أن هذه المسكينة لن تكون لها فرصة أخرى لكى ترى السلطان إلا ميتاً .

ولم يكن أمام الحريم إلا الانتظار . . . وإلا التأمسر والتزاحم على الصريق إلى السلطان . كن يستخدم كل الأساليب : الاغتيال والسّم والفلوس والهدايا

ومن أشهر الحاربات واحدة روسية اسمها روكسيلا استطاعت أن تكون سلطنة وزوجة للسلطان سليمان القانونى واستطاعت أن تتأمر على أخوة السلطان وقتلتهم جميعاً . وكان عددهم ١٩ أمراً ويقال أنها قتلت السلطان نفسه لكى يبقى ابنها سلطاناً بعد ذلك وروكسيلا هده هى التى بدأت عصر دولة الحريم

ولقد بدأت لدولة العثمانية فى القرن الخامس عشر بأن كان للسلطان حريم هائل ولكن اسداء من هذه السلطان احرثة أصبح للحريم نفسه سلطان وسيطرة محيفة

وعندما يكتشف أحد السلاطين وهذا يحدث نادر إن هاك مؤامرة صده فإنه يعتك بالحريم . وقد حدث أن أمر أحد السلاطين بإعراق كل الحريم فى البسفور فوصعت النساء فى شوالات وألقى فى قاع البسفور وكان عددهم ٣٠٠ فتاة بين العشرين والخامسة والثلاثين .

وقد أعرق السلطان سليم ٢٥٠ امرأة فى ليلة واحدة لا لشيء إلا لأنه يريد بغيراً فى الحريم .

أما دور روحة السلطان فهو لا يريد على متاعه العشيفات الأحرىات والتدمر عليهن أو التأمّر على السلطان نفسه أما إذا رضيت نصيبها فإنها تشعل وقتها فى الأعمال الخيرية مثل بناء المساجد والمستشفيات .

وهذا الكتاب يلفت إلى أن نظام الحريم لم يكن هو سبب الانحلال العثماني . وإنما كان من مظاهر الانحلال فقد اشعل الرجال بالنساء عن كل المضاي وعن الشعب والدولة فالسلاطين قد ولدوا من أمهات جاريات وعش في سجن الحريم ولما كبر السلاطين عاشوا مرة أخرى في الحريم .

والسلاطين لم يكن لهم حريم في الحقيقة وإنما نظام الحريم هو الذي أتاح السلاطين . هو الذي أصبح أناساً يكرهون الحرية . لأنهم لم يعرفوا كيف يتحررون من عقلية الحريم وحياة الحريم . وهم لا يفهمون حرية الآخرين ولا الاخرات فهم رجال من صنع النساء . . من صنع سجينات النساء .

وقد حفي الحريم في أوئل هذا القرن واختفى السلاطين ولم يبق في السراي القديم والسراي الجديد إلا القصر المعروف لأن على البسمور (توب كاسي)

ولكن لا تزال هناك عقلية الحريم عند بعض الرجال . أنهم لا يستطيعون أن يعيدوا عصر الحريم ولكنهم يستطيعون فقط أن يذكروا به وقد سبوا ولم تنق إلا بقع قليلة على الأرض هي التي نحفي وراء قصورها العالية سجوناً للنساء عارقة في الحمر والعطر ولكن هذه السجون وهذه القصور سوف تتلاشي والحرية أقوى من الشمس . بل الحرية هي الشمس التي لا تغرب أبداً .

ومن المؤكد أن عقلية السلاطين هي التي يتعاقب في دحها : عشق المرأة واحتقارها . . عشو جسدها واحتقار عقلها . والمرأة حيوان عقل كالرجل واحتقار العقلية الإنسانية هو احتقار لأعز ما يملك الإنسان لأخطر ما يتمير به لإنسان عن الحس وما يتمير به لمواطن الحر عن أثناء الجاريات في عصر السلاطين . .

وإذا كان حريم السلطان قد اختفى فإن سلطان الحريم على عقول وعرائر الناس سوف يحتفي أيضاً قريباً عندما تظهر صيغة جديدة لقانون (الأحوال الشخصية) في مصر وغيرها من البلاد العربية والإفريقية .

لقد انتهى الحريم وانتهى السلطان . فلا سلطان إلا لكرامة الإنسان .



شارلي شابلن يحكى

ش .

ش .

أو شارلى شابلن من أشهر الساحطين فى القرون العشرين . فهو
ثائر على الظلم وعلى المقر . ولكن ليس لديه مرمح ولا مشروع
لرفع الظلم والقضاء على اخوع . . . إلا سلاحاً واحداً هو السحرية
من الأعياء الأفوياء ، ولذلك كان «ش . ش» أقرب إلى الدين يريدون حل مشاكل
الإنسان بغير دم . بغير نار . . . بالسلام .

فعندما سافر إلى الهند سنة ١٩٣١ ورأى عابدى معانق المسودين والهود من
حوله فى رعب وروع ، أس «ش . ش» بأنه عن طريق الحب والرحمة يمكن أن يحقق
الإسكان المعجرات وعابدى قد حقق المعجرات . ولذلك فهو ليس شراً ولكنه
نصف آله !

وعندما رار «ش . ش» رئيس وزراء بريطانيا ماكدونالد فى بيته الرئيس لاحظ أن
ماكدونالد يعامل خدمه بقسوة واحتقار واضح يقول ش . ش : لم أدق طعامى .
ولم أمكث إلا بصع دقائق ولم أظهر معه فى صورة بعد ذلك . فليس أقسى من
القسوة على إنسان ضعيف !

وعندما ظهر هتلر فى ألمانيا أعجب ش . ش بهتمام هتلر برحل لشارع شقاوته
وصحته واحرص عليه ولكن عندما عرف ش . ش أن رجل الشارع فى ألمانيا
ليس ألا سوعاً من لخرطوش فى سدقية يعدها هتلر ليطلقها على العالم كله ، ثار
«ش . ش» وأعلن ستخطه الشديد على هذا الطاعية وعلى ظهور السارية .

و ش . ش . ش إيجليرى المولد . . وحياته فى أمريكا قد حققت شهرة واسعة وأموالاً طائلة . لقد دفع «ش . ش» فى سنة ١٩٤٣ وحدها ثلاثة ملايين دولار صرائب عن إنتاجه السينمائى وهى أمريكا عاش ش . ش بانصط كما يريد . فقد اشترى بيتاً حميلاً فوق ربوة عالية أول بيت يملكه وتزوج اسة الكاتب الكبير يوحى و بين وفتح بيته لكل لباس وبدأت المتاعب . فقد دخل بيته كل المثقفين من كل الألوان السياسية . من لامين واليسار . وعلى الرغم من أن أمريكا كانت حنفة لروسيا فى حرب الأخيرة . فإن الاتصال بالشوعيين ومصادقتهم لم يكن بالشىء لدى يمكن السكوت عليه طويلاً وسكنت أمريكا على «ش . ش» طويلاً وحقاً بدأت تناقشه : لماذا يدخل الشيوعيون بيتك؟ لماذا فلاں بلدات؟ ولماذا إعلان أكثر من ثلاث مرات كل أسبوع؟

و «ش . ش» ليس شيعياً ولم يسافر إلى روسيا مرة واحدة وليس عصباً فى الحرب الشوعى . ولا حصر اجتماع أية خلية شوعية . ولكنه بنادى فى محالاه المحدودة . بأن أمل الإنسانية كله يجب أن يتجه إلى تحقيق عالم واحد يسوده السلام . .

ولم يكن لدى «ش . ش» أى برنامج أو مخطط ريمى مجرد أمن . مجرد عدم شاعرى جميل يكرره ويردده فى كل مناسبة .

و «ش . ش» هو المسئول وحده عن هذه البسطة التى حدثت فى عقول الأمريكان فى ذلك الوقت . فقد كانت له هوايه عريضة وهى أن يتحمس لرأى معين اليوم ثم يعود فى اليوم لتالى يتحمس لرأى اصاد . ويستمر فى المناقشة بحرارة وحماسة فهو يمثل يدمج فى أى دور . . وبؤده نفس الصدى والإحلاص . فمرة يمثل دور لشيعى ومرة يمثل دور لأمريكى لمتعصب . ومرة يمثل دور المتفرح . ومرة يمثل حركات غادى ويسحب وزء إحدى المبادئ كأنها معزة وكان بتناهى بأنه قادر على أن يتحمس لأى رأى . وقدر على أن يكون مضعاً .

ولما سئل «ش . ش» عن ذلك قال إن من واجبى أن أقوم بتسيية ضيوفى .

وعندما ذهب الأسقف الأحمر هولت حوسون كبير أسقفية كانتربرى إلى أمريكا ، كان «ش . ش» فى مقدمة الذين دعوه إلى بيته ووصفه بأنه من أدكى الناس وأقدرهم فهما لقضايا السلام . .

وعندما طرد نطل التنس لعالمى بيل تيلس بتهمة أنه شيوعى ، كان «ش . ش» أول من أعطاه ملعب التنس الملحق ببيته وتركه ليترتب منه وطلب إلى روحته أن تكون أول تلميذه له مقابل مبلغ معين كل شهر . .

وكان من الطبيعى جدا أن يتحققوا منه فى نيويورك ويقف أمام لجنة النشاط المعادى لأمريكا . وكانت روسي حتى ذلك الوقت حليمة لأمريكى . وأكرر «ش . ش» أنه شيوعى .

وفى سنة ١٩٤٥ أعلن أحد لشيوخ أنه لابد أن تتقدم مشروع يقضى بطرد «ش . ش» من أمريكا .

وفى هذه الأثناء كان «ش . ش» لايرل يعانى من التهمة التى ألصقتها به ، حتى فتت هوليوود فقد ادعت أنها حامل . ولكن «ش . ش» لا يمكن أن يكون الرحيل الوحيد فى حياتها وأثبت الأطباء أن فصيلة دم «ش . ش» محتلفة عن فصيلة دم الصفل . .

بينما كان «ش . ش» لا يزال عريساً .

ولم يكذ صوت هذه الصيحة بهذا حتى وقع حادث أدنى رهيب ، فقد رار هوليوود ، وبدعوة من وررة الحارحة الأمريكية ، الشاعر الروائى الروسى كوستيىن سيمونوف . وكان من الطبيعى أن يحتفى به «ش . ش» .

وفوجئ «ش . ش» بدعوة من الشاعر الروسى لتناول العشاء على ظهر ناقلة التترول الروسية «باطومى» وكان ذلك فى ربيع سنة ١٩٤٦ . وذهب «ش . ش» ومعه بعض المنتجين والمخرجين .

وكانت كارثة لم يسلم منها «ش . ش» بعد ذلك .

فقد استحوذوه عشرات المرات وسئل عن السبب الذى دفعه إلى قبول دعوة شاعر ليس صيحاً رسمياً على أمريك ؟ وما الذى قاله ؟ وما الذى يوى أن يفعله ؟ .

وكان رد «ش . ش» أن هذا صيف رسمي . وأنه ليس من المعقول رفض الدعوة إلى العشاء معه على ظهر سفينة نرسو على الشاطئ الأمريكي . فلماذا يحاسبونه على هذه الرحلة من الشاطئ الأمريكي إلى مسافة مائة متر من المياه الإقليمية ، ولا يحاسبون من سافروا إلى روسيا وبقيمون شهوراً هناك .

والتصقت به تهمة الشيوعية . وبين الحين والحين يستدعي ش . ش ونعاد محاكمته وأحياناً يرفض الإحابة ، ولكنه يحد نفسه مضطراً إلى الدفاع عن نفسه وعن أصدقائه معظم الوقت .

وقد حاول ش . ش أن يقوم بإصحاك الناس بصورة فورية . ولكن عندما دعى إلى حملة على ظهر إحدى السفن وحلّس الجنود بأكلون السدوتش ويشربون البيرة وظهر ش . ش وحاول أن يصحك الجنود فلم يصحك أحد واستغرقت هذه المحاولة عشر دقائق وانسحب ، ولم يعد إلى هذا النوع من الفكاهة فأمثل الكوميدى الذى لا يصحك الناس لما يقول أو لما يعمل بعد خمس دقائق من ظهوره على المسرح لا يتحقق هذه الصفة .

وقيل له أن نوب هوب يتنقل بين كل جهات لقال فلماذا لا يعمل مثله ؟ وكان رد ش . ش أن نوب هوب عقيرة من نوع آخر فكلانا يعيش فوق قمم محتمة .

وهاجمته الإداعة وتهمته بالشيوعية وبإفساد القيم الأخلاقية وإثارة السخط بين الناس . . وأنه كذاب .

وطالب الإداعة بتعويض قدره ثلاثة ملايين دولار .

واعترضت قوات الأمن أحد أصدقاء ش . ش بنهمة أن أحياه شوعى ويسولى الدعاية فى المانيا الشرقية أما صديق ش . ش هذا فهو الموسيقار هانس أيسلر وهما ثار ش . ش وراح يصعد السلم ويهبط ويقفر فى فراشة ويقفر من فراشه وفى نوفمبر سنة ١٩٤٧ بعث برقية إلى صديقه بيكاسو وطلب إليه أن يذهب على رأس عدد من الفنانين الفرنسيين ويحتجوا لدى السفارة الأمريكية فى باريس على اتهم أيسلر بالشيوعية ومحاولة طرده من أمريكا ١

وكان هذا التصرف عريئاً من ش . ش . ولكنه يدل على مدى استنصاره للقبائين والأصدقاء وعلى أنه مدفع أيضاً فهو قد طلب من فنان شيوعي هو بيكاسو أن يحتج على اتهام فنان آخر بأنه شيوعي !

فكأنما طلب إلى بيكاسو أن يعرف بأن الشيوعية مهمة يجب أن يدفعها عن أي فنان آخر !

وفي أبريل سنة ١٩٤٩ انتهت السحب مرة أخرى حول ش . ش . فقد انضم إلى مجلس السلام العالمي ولم يعد لدى الناس أي شك في أنه قد نحى أمريكا وانضم إلى المعسكر الذي ينادي بالسلام في مواجهة الحروب وتجار الحروب

وعلى أثر ذلك استدعى الكثيرون حياً من أصدقاء ش . ش . ومن الذين ترددوا على بيته وأندى يتعاملون معه وشرد الكثيرون من أعمالهم وبيوتهم ووضعوا في السجون ، وبلغت هذه المواجهة قصاها سنة ١٩٥٤ عندما ظهر على المسرح الأمريكي شخص رهيب محنون اسمه : ماكارتشي !

وهرب الناس من ش . ش . ومن سته ومن الاتصال به وكان أصدقاءه يتمنون على أن ينتقوا عنه ، وفي آخر خطة يتعدلون بأعداء وهمية وأصبح معروفاً أنه أصبح شخصاً ملعوناً وأن هذه اللعنة مرض تنقل عدواه من البيت إلى السجن .

وفي يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢ حاول ش . ش . أن يجد مناسبة يجمع فيها أصدقاءه ومحبيه فدعاهم جميعاً إلى حفلة في بيته لينأهذوا عرساً خاصاً بفيلم «أصواء المسرح» . وحضر حوالي ٢٠٠ شخص . من بينهم محررون ومثليون والعمال الذين اشتركوا في الفيلم . . . وحضر مارلون براندو علباس رسمية وكانت هذه أول وأحر مرة يرتدى فيها هذه الملابس ولما رأى مارلون براندو أن ش . ش . بالقميص والستون . نزع الحاكنة والكرافة ووضعها على الأرض عند قدمي ش . ش . ش . لعبر للحاضرين عن امتدحه فقال شارلي شابلن . اشكركم . .

وها وقعت إحدى السيدات وقالت بل نحن الدين نشكرك وبهض كل الحاضرين ليقولوا له : نحن الذين نشكرك

ونطوع أحد للموسيقيين ولحن هذه العبارة فوراً : نحن الدين نشكرك يشارلي

وافترحت روحة ش ش أن يسافرا إلى أوروبا للراحة وكأنت روحته لم تر
أوروبا من قبل ووفق ش ش . . وإن كان قد أعرب لأصدقائه أن لديه إحساساً
غريباً بأنه إذا سافر من أمريكا ، فلن يعود !

ولم يحب طن ش ش فعمد وصلت الباحرة التي تقله إلى قرب
لسواحل الإنخيرية صدر قانون سمعه من دخول أمريكا لأنه شيوعى وأرسل
ش ش برقة يعلن فيها أنه حصل على إذن بالدخول إلى أمريكا قبل سفره . وأنه
دفع الضرائب وأن المحاكم التي أحريت له قد حكمت ببراءته وأنه لا يستطيع أن
يدفع عن نفسه وهو على مسافة ثلاثة آلاف ميل من نيويورك !
ولكن القرار صدر . .

واستقبله ملكة إنجلترا واستقبله الرئيس أوريول في فرنسا وأنعم عليه سيشان
الشرف واستقبله الرئيس الإنطى ابودى وأنعم عليه سيسان الشرف .
وشرت صحيفة بهذا السوفيتية أن ش ش وإن لم يكن يعدمها في أفلامه ، فإنه
مؤمن بالسلام ، وموقف أمريكى منه يدل على سياستها في تسخير الناس لدعاية لها
وبدأت الصحف نفثت عن مصى ش ش وعن وثائق رواحه وطلاقه وعن
علاقاه الكثيرة . وعن ماضيه كله .

وفي فبراير سنة ١٩٥٣ كان لابد أن يظهر فيلم (أصواء المدسة) على المسرح وامتنعت
دور العرض في أمريكا عن شراء هذا الفيلم حتى العمال الدين عملوا به أعلنوا أنهم
أرباء منه وأنهم في غاية الأسف على اشتراكهم في مثل هذه الإهانة لأمريكا
وأعلن نقب السبمائيين أنه برئ من هذا الفيلم . .

وانتقد وحدهم هم الدين أصبحوا الصد الكسير وشادوا بعيفرته وواروا أفلامهم
حجلاً من هذه المصيبة التي وقعت فيها أمريكا . فأعلن واحد منهم أنه لن
يكتب حرفاً حتى تصق أمريكا من هذا العار الذى حربه على نفسه بلا مرور
سياسى أو قانونى .

وعندما قرر ش ش الإقامة في سويسر ذهب إلى السفارة الأمريكية وأعاد لها
وثيقة الدخول إلى أمريكا . .

حتى الفيلم الذي ألفه وأخرجه وأنتجه وصوره بعنوان «ملك في نيويورك» عاد وحقق عباراته العنيفة لقد أحس ش. ش أن السخط الشديد هو الذي أملي عليه هذا الفيلم .

وفي فبراير سنة ١٩٥٤ ذهبت زوجته إلى السفارة الأمريكية ونزلت عن جنسيتها وأصبحت بريطانية . .

وأثار ش. ش سخط الإتحاد عندما استقل في بيته شواس لاي . ونشرت الصحف رأيه في الزعيم الصيني فقد وصفه بأنه من أدكى الناس وأوسعهم أفق وتلقى ش. ش جائزة السلام من مجلس السلام العالمي وقدرها ١٤ ألف دولار . ومن الغريب أن ش. ش قد بعث بهذا الملصق إلى أحد رجال الدين واسمه الأب بيير لأنه من المخلصين الذين يعملون من أجل الحب والسلام بطريقة خاصة وسئل شارل شابلي : هل أنت شيوعي ؟

وأجاب بحس الآن في عصر العلم . أما العصر الذي يحكم فيه على إنسان بأنه شيوعي لأنه يصنع ساقه اليسرى على ساقه اليمنى ، فقد مضى^١



الحب . الحب . الحب

- ١ -

الحب

كانعقريب . كل الناس يتحدثون عنه ولكن أحد لم يره !
ولكن هذه السيدة تؤكد أنها رأت الحب ورأت عفريت الحب
أيضاً . وقد أصدرت ثلاثة كتب في موضوع واحد : الحب
والفرسيون . . الحب والإنجليز . . الحب والأسنان .

وهي في كل كتاب تؤكد أن لديها الأدلة القاطعة على أن الحب كان موجوداً . وأنها
رأت أسدويه في العر وهي بيوت الدس لأن الحب هو حليط من العر والقصيصة
وأنها استطاعت بالممارسة الطويلة أن تقول لنا . ما هو العر ما هو الحب
اسمها بيا اتون وقد نحصصت في دراسة من الحب ونقول . لأنها فشلت في
حبها مرتين . ولكنها هذه المرة لن تفشل !

وهي بالفعل لم تفشل . فكتابتها اكثير جداً عن «الحب والفرسيون» ابتداءً من
العصور الوسطى حتى يومنا هذا ، متعة قبية وتاريخية فهي لم تقم بدراسة
الناريج وإنما وجدت متعة في أن تنقل لنا صورة المثيرة يمكن أن أقول العذرية .
فهي لم تكنف بأن فشلت أبواب التاريخ على الحب ، وإنما دخلت . وتصرجت
واشتركت في المناقشة .

وحماستها الشديد يدل على أنها تدوقت الكثير من القبالات والصرحات التي
ملأت الكتاب .

والمؤلفة تحدث تشعر بأنها سيدة تؤرجح للأزياء في العالم . وذلك بأن ترتدى
هذه الأزياء واحداً واحداً . من الملاءة الف حتى المايوه الساخن !

وقد احتارت بينا ابتون بداية الحب الفرنسى فى العصور الوسطى .

فى هذا الوقت كانت أوروبا وفرنسا أيضاً - مشغولة بالحروب على حدودها والحروب الصليبية . فقد ذهب الكثيرون باسم الدين للدفاع عن لأراضى المقدسة . ذهب الرجال وبقي النساء . .

وكان هناك فراغ لا أول له ولا آخر .

والفراغ هو «الحو» الذى ينمو فيه الحب فعندما تكون اليد حالية ، يشعل الرأس بالأحلام .

الرأس يحلم بالطعام الذى يملأ المعدة . والطعام الذى يملأ القلب . ثم يعود المحارب الذى سافر إلى بلاد بعيدة يحمل سيفه وصليبه .

وفى هذا الوقت لم يكن الحب معروفا بصورة صارحة . ولم تكن هناك قصص حب معروفة . أى لم يكن هناك «نماذج» أدبية أو فنية للحب بين رجل وامرأة وفجأة ظهر الحب . . وأغانى الحب .

وكان هذا الحب عربياً صميمياً . . فقد عاد أحد النلاء من معركة له فى حال البرانس على حدود فرنسا وأسبانيا ومع هذا السيل عدد من الأسرى رجال وساء أما النساء فقد ارتدبن الفساتين السوداء وقد غطين وجوههن بنقاب أبيض وكن سمراوات وكانت الدموع بارزة فى عيونهن الواسعة لقد عاد هذا النبيل منتصراً .

وفى الليل احتفل هذا السيل بانتصاره وكان من بين الأسرى مطربون . ومشدون وهؤلاء المطربون يعنون شيئاً سمى «الرجل» لقد أطلق لفرسيون فى ذلك الوقت على الأغاني العربية اسم «الرجل» أما هذه الأرحال فكانت فى موضوع واحد هو عذاب لعاشق ، وصلاته قلب المعشوقه . والإحلاص إلى الإبد ' وفى قلعة هذا السيل «دوق كيتان» استمعت باريس لأول مرة اعميات عربية وموسيقى عربية ولأول مره يدخل الأدب الفرنسى معنى «الشهامة» و«الفروسية» والموت من أجل المحبة . والحياة من أجلها ومن أجل الإحلاص لها حتى الموت .

والفرسيون عندهم الاستعداد الهائل للحب وسيرة الحب . والحياة به وله

فهناك أسباب جغرافية أدت إلى انتعاش الحب في فرنسا أكثر من غيرها من البلاد وفرنسا حوها معتدل . دافئة ليالها صافية قمرها يظهر كثيراً وراء السحب وبلا سحب وفي الليل يولد الحب ويسمو . وتحت الأشجار وعلى الأعشاب يتعاقب العشق . ويلتقي الأمل والأحلام وتأملات أساء الشمال وأحلام أساء الجنوب . وفرنسا دولة لها حدود في الشمال ، ولها حدود على الجنوب

وإد كان العرب والفرس يتحدثون عن سلال في قصائدهم ، فالفرسيون يتحدثون كثيراً عن الرهور وألوانها وأنواعها وعطورها . وهم يرون أن الحب هو القادر على أن يجعل لكل شيء لوناً ، ويجعل لكل لون معنى .

وتقول نينا استون إن الفرنسيين يستطيعون أن يناموا في الحقول ، في ظل الأشجار بهراً ، وتحب شعة القمر ليلاً ، دون خوف . فلا نوح في فرنسا روحاً سامة !

وهذا سبب آخر وهو أن الفرنسيين لأنهم حليط من أساء البحر الأبيض المتوسط وأساء الشمال فقد أصبح لديهم حرارة القلب ، وبرودة العقل ، فأساء البحر الأبيض فيهم حرارة حرفة . والحب حرارة ملتهبة . وفيهم برودة العقل الشمالي . والحب أيضاً له قواعد وله أصول وله حدود . وقد عرف الفرنسيون كيف يحترقون عقل . وكيف تدق قلوبهم بحساب فكانت الأعمال الأدبية والفنية أي كاس النار في داخل لأية الزحاحية الشفافة فكل عمل في هو عبارة عن قطعة من النار وقد اعتقلت في إناء شفاف جميل !

والسبب الثالث هو اللغة . فاللغة الفرنسية غنية بكلمات الحب ولهيام . ورققة . وفيها كلمة حصرتك . وفيها كلمة أنت وما أسهل أن ينتقل الحب الولهاد من محاطة حبسته بقوله حصرتك . إلى أن يقول لها أنت !

ومن كلمة «حصرتك» إلى كلمة «أنت» ينتقل كل شيء من الرجل إلى المرأة وبالعكس . سفل ملكية الدنيا كلها فيصبح الرجل مالكا للمرأة ، وتصبح المرأة مالكة للرجل . . وملكة عليه أيضاً !

وأخيراً هناك السبب التاريخي . ففي العصور الوسطى كان هناك عودح من الحب لا بد أن يؤثر في سلوك وأدب الفرنسيين ولأسمان والإيطاليين . . والإنجليز والألمان . . وهو «الحب الشهم» . . أو «أخلاقيات الفروسية» .

فقد ظهر في فرنسا في القرن الثاني عشر الشعراء الفرنسيون . الذين يسمون بالطوربادور - وهي كلمة مأخوذة من كلمة «طرب» العربية هؤلاء الشعراء أغلبهم من النبلاء . أي من الشباب الذين عندهم متسع من الوقت ، وليسوا في حاجة إلى السحت عن عمل . وليسوا في حاجة إلى أن يعرف الناس أصلهم وعراقة دمهم . . . فهؤلاء الشبان يؤلفون أعديهم . . ويغويها أيضاً وبلا معاس حتى الحب نفسه بلا مقابل إياهم يعيشون للحب يريدون أن يحصلوا وأن يتعدوا في الحب . . فهم يطلبون المزيد من العذاب في الحب .

وأول شاعر طوربادور في التاريخ هو الدوق جيوم داكيتان (١٠٧١ - ١١٢٧) وهو ابن ذلك النسيب الذي عاد منتصراً في الحرب ومعه المطربون والمطربات العرب . وعندما عاد أبوه من ميدان القتال كان هذا الطفل واقفاً على باب القصر . وسمعهم يقولون : الدوق عاد . . الدوق عاد .

وفي الليل نسل هذا الشاعر الصغير إلى حيث يجلس أبوه واستمع إلى الموسيقى والأغاني ورأى الرقص الشرقي الأسباني .

وكان الطفل في الساعة من عمره ولما مات أبوه كان في الخامسة عشرة من عمره . . ولكن رأسه قد امتلأ وقلبه بدأ يتفجر بشيء يعرفه جيداً اسمه : الحب

وقد أعلن أبوه للحاضرين أنه أتى هؤلاء الراقصات من بلاط الحليفة . وأن هذه «لأرحال» التي بعنوانها كانت من تأليف شاعر أعشى اسمه «مقدام» الذي تأثر كثيراً بكتبه الفيلسوف العربي ابن سينا وهو أيضاً يتغنى بالحب والعشق !

ولقد سأله روحه وبكى هؤلاء الناس ما الذي يعرفونه عن الحب ؟ وكان رد الدوق داكيتان : كل شيء !

وعادت الروحة تقول . كيف يتكلمون عن الحب وهم يحسبون زوجاتهم وراء ستائر ثقيلة؟

وقال الروح . لأن الحب هو وحده القادر على أن يزيح هذه الستائر وهو وحده القادر على إحداث السلوى على قلوب الحريم . والحب يجعل كل امرأة في احريم ملكة على عرش لا أول له ولا آخر . فالحب وحده هو طريق الخلاص^١

وقد سمع الدوق عن قبيلة عربية اسمها (بنو عدرة) وهذه القبيلة مشهورة
بالحب العميق بل مشهورة بشيء آخر أقوى من الحب إنهم يحسون حتى
الموت . . فالحب عندهم والموت بمعنى واحد !

وقد تأثر الطفل حيوم داكيتد أول شعراء الطربادور بكل ما سمعه من أبيه وبعد
وفاة أبيه انطلقت موهبة هذا الشاعر الشاب بالأعاسى المثيرة . والأعاسى العبيقة
العاحرة أيضاً وكان هذا الشاعر يقول عن نفسه ولا واحدة تستطيع أن تقاومنى
ولا واحدة تكتفى بأن ترانى مرة واحدة !
ولم يكن مبالغاً فيما قال .

وفى ذلك الوقت كانت تدور معارك من أجل المحبة وكذب سيل الدماء .
وكانت تذهب المحبة لانسداد حبسها فهي تعسل حروجه . وأثناء تحفيف الدم
يفتح القلب فالحب يولد فى قلب المرأة عندما تهرها التسفة والإعجاب بالرحل
الذى تعذب من أجلها .

ولكن الحديث الطويل مع الفارس الحريج لم يكن محترماً فى ذلك الوقت
فكثيراً ما انسفت الشائعات بأن فلانة تكلمت طويلاً مع فارس حريج . وكانوا
يعيرونها بصلوبهم كلامها كثير مع أصحاب الخروج !
وكن الطربادور ينادون بالفضيلة إذا تغنوا .
ولكنهم فى حقيقة ليسوا كذلك .

فلم يكن حب الروجة فى ذلك الوقت شيئاً محترماً أو شيئاً مطلوباً وإنما كان
الروح والكيسة أيضاً يرى أن الإنسان يحب إلا يحب زوجته وإنما العلاقة
بين الرجل والمرأة هى علاقة تعاون من أجل زيادة سكان فرنسا

ولذلك ظهرت فى ذلك الوقت أنواع غريبة من قمصان النوم العليظة الخافة هذه
القمصان تجعل الروح إذا تمدد إلى حوار روحته لا يستطيع أن يفرق بين جسم الروجه
والخائف . لأنه ليس من الضروري أن يكون هناك حب . وإنما يكون هناك أولاد فقط !
وكثير من هؤلاء الشعراء العشاق كانوا يختمون حياتهم بالتكفير عنها أى بأن
يذهبوا إلى الأديرة أو بأن يوقفوا ممتلكاتهم على الكاشس !

وقد اختلطت القيم في ذلك الوقت .

فالعاشق يذهب إلى الكنيسة يقسم على الحب والإخلاص مدى الحياة . أما الزوج فيقسم على الزواج بلا حب مدى الحياة !

وفي هذا الوقت نام العشاق والسف سقيم . . فكل من تساوره نفسه أن يقترب من المعشوقة يجب أن يعمد السيف في قلبه

وأصبح من المألوف أن يسم العاشق إلى جوار معشوقته عارية . فلا يمسها !

وفي هذا الوقت أبررت الكنيسة تمثال العذراء . أي مودح «الحمل الطاهر» . . أي نموذج للسيدة الطاهرة التي حملت دون أن يمسها بشر .

وقد استولى هذا المعنى على الفكر والصر في العصور الوسطى لدرجة أن المحسن كانوا يرون أن العلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن تكون طاهرة أو يجب ألا تكون هناك علاقة تؤدي إلى حمل !

وقد حدث أن روح أحد الشبان ولكنه قرر أن تكون العلاقة طاهرة فذهب وأحصى حاتم الرواح وراء تمثال للعذراء . وفي ليلة رفاقه استعرق في النوم . ووارته العذراء في نومه وعانتته على أنه يحويها مع امرأة أخرى . فنهض من فراش الزفاف وذهب إلى الدير بقية حياته !

أما ملامح المرأة في ذلك الوقت ، فالصور والوحوش والسمائن تكشف عن نوع غريب من الجمال فالمرأة قد نعطت كلها بالأرياء طبعاً وهي ترتدى الملابس الخضراء إذا كانت حديثة العهد باحب والملابس الوردية إذا كانت مخلصاً في الحب .

وكانوا يفضلون الشقراوات أيضاً .

ولكن اللوحات تمصح لنا جمال المرأة في ذلك الوقت فهي ضيقة الكتفين بحبيقة الذراعين معصومة الهمدين . وهي مدسة الأنف معقودة أخيه . فيما عدا سيدة وحده هي «أبيس سوريل» التي كانت عشيقة الملك شارل السابع فقد كتشمت في نفسها مظاهر الأمومة فارتدت فستاناً عاري الصدر . فبرز بهدها وبهدا العستن أصبحت اليهود العالية موصة !

وكان المثل الأعلى عندهم : النهذ الذى يمكن أن يثبت عليه الشمعدان فلا يقع !
ولم يكن المجتمع فى ذلك الوقت يتسامح مع الحياة الزوجية . فالزوجة الحائرة
تخلقون شعرها وينقون بها فى السجن حتى تموت .
أما العشيق فكانوا يسلحون حلده ، وبعد ذلك يقطعون بعض أعضاء جسمه
ويتركونه حتى يموت !

وكانت الأعانى فى ذلك الوقت تطلب من العاشق الولهاد أن يحترس فى
اختيار من يبعث معهم برسائله إلى المعشوقة !
وانتشرت فى ذلك الوقت الأمراض الخبيثة التى انتقلت من أمريكا . إلى
إيطاليا وفرنسا وكانوا يسمونها أمراض نابلى . وكان الإيطاليون يسمونها
أمراض باريس !

وفى سنة ١٢٢٣ صدر قرار بسجن سيدة لأنها شتمت حارة لها بقولها :

إلهى رن يبتليك بمرض نابلى !

وفى القرن الخامس عشر صهر مارشال اسمه حيل دى رتس . هذا الرجل
انهموه بقتل مئات الأطفال الصغار فقد كان شديد الشدوذ ولذلك صدر قرار
بإعدامه حرقاً !

وكان هذا المارشال أحد الأشرار الذين سقوا الماركيز دى صدد الذى سست إليه
كلمة «الصادية» . أى لذة تعذيب الآخرين !

وفى هذا العصر كما نتمح بعض اللغات العربيه من الملك روبر الطيب . فقد
كان صديقاً للسعيا والعدييات . وقد حدث أن رأى وهو فى طريقه إلى الكنيسة
شابين يتعانقان فمرل من فوق حصانه وغطاهما بردائه . وانصرف يصلى !

وتمضى المؤلفة فى رواية ميلاد الحب وسيرة الحب حتى تبلغ القرن العشرين .
وفى القرن العشرين ، وبعد الحرب العالمية الأولى تحده تؤكد حرص الناس على
الحياة . . على أن يعيشوا بعد أن مات منهم أكثر من مليونى سمة ولذلك نجد

لحب بعد الحرب العالمية لأولى صار حساً حذاً . . أو حسياً فقط . ونجد أدباءً كباراً
يرفعون رايات العرى والتعري . ونجد من يقول إن الإنسان استطاع أن يجعل من
الحس الذى هو طبيعة حيوانية يسوعاً للمعاني الحميلة

ولكن انتشر « الحسية » الشديده يرد هذا المعنى الجميل إلى مجرد وظيفة . .
ويجعل الينبوع يفيض بالوحد . . وليس بالجمال .

وفى كل القرن العشرين نجد الكثير من المعاني الضيقة والقيم الحمالية تصبح
ضحية للشك والضياح .

وصاع الحب بين المعاني التى ضاعت فى رحمة الشكوك والارتباب والخوف
من الموت ، والخوف على الإنسانية كلها والسفر إلى الكوكب - أى محبة الناس
من الكرة الأرضية والهرب من مصائبها واشغال الناس بالناس وطعام الناس
وتحرير الناس ، والإنقاء على الناس من أجل المحبة العامة ، وليس الحب بين اثنين
فقط من الناس .

والعاشق الوهان قارب إلى حالة الموت . لأن العاشق لا يرى أى تغيير فى
الدينا ، فهو لا يراها . ويريد الدينا أن تقف وأن تسكن . . وأن تظل السعادة أبدية
وأن يحلوه الكون هو ومحبوته . فالعشق إذن - يتصرف كأنه ميت . كأنه
لا يشعر بما حوله . أو لا يريد أن يشعر بما حوله . . فهو يريد أن يعدم الدينا كلها
ليعيش هو .

مثل هذه النزعات الفردية العميقة تلاشت فى القرن العشرين فقد ظهر نوع آخر
من الحب . . ولكنه ليس حباً سليماً . . إنه حب مريض .

وإذا كان الكمار قد اشعلوا عن الحب فسبطل المراهقون أمرء الحب . . وإذا قام
الإنسان بإجراء مباريات فى كرة القدم على ظهر القمر فلن يتوقف الأطفال عن
لعب الكرة فى الحواري .

ولذلك سيبقى الحب لعبة الصغار ، ما دام هناك أطفال صغار فى أى مكان على
الأرض أو على أى كوكب آخر !

ننتقل إلى الحب عند الانجليزية . .

ما الذى يحيط بهذه الجزيرة الإنجليزية أو ما الذى يجرى فيها ؟ لا يمكن أن يكون الحب . ولا لعة الحب ولا كل ما هو مألوف فى العواصف بين الناس فى القارة الأوروبية ! وهذه المعاني هي التي جعلت السيدة « بينا ابتون » تحس أن العالم كله يتحداه أن تجد إنساناً واحداً فى إنجلترا يحب . وعندما فرغت من كتاب « الحب والعربسيون » قل لها أحد أصدقائها فى باريس : أظن من المستحيل أن تؤولى كتاباً مماثلاً عن مواطنيك من الإنجليز .

وبهذه الروح من التحدى أقبلت السيدة بينا ابتون على كتابها الثانى « الحب والانجليزية » وهو فى حجم الكتابين الآخرين معاً ويذهب بها التحدى إلى درجة أن نقول إنها لو تركت لقلمها الحرية لأصدرت دائرة معارف عن الحب عند الإنجليز ! ولكنى بخفف على نفسها روح التحدى وتحنى عبارتها هادئة تحلت حواراً يدور بينها وبين القارئ :

القارئ . لم أملك إلا الابتسام عندما عرفت أنك تؤولى كتاباً عن الحب عند الإنجليز .

المؤلفة . أى نوع من الابتسام ؟

القارئ : ابتسام السخرية طبعاً ؟

المؤلفة . إذن قد صدقت تلك التشيعة التى أطلقوها علينا وهى أننا لا نعرف الحب !

القارئ . لا نستطيع أن نسخرى أن نصيها نحن الإنجليز من الحب ضئيل جداً .

المؤلفة . هذه غلطاً فقد تركنا لأدباء القارة الأوربية حرية تصدير نظريات الحب إلى بلادنا وإعراقنا فى العرام وهى أشياء أخرى كثيرة . . ولكنا أنسا بعد ذلك قدرتنا على العمل !

القارئ : وهل وجدت غمادج من مخير فى باريس ؟

المؤلفة لا يوجد نموذج للمحبين . فالحب أسلوب فريد . وهناك عادات وموصات فى الحب . وهذه الموصات يقلدها الناس من عصر إلى عصر . وإن كنا نجد فى كل قرن عشاقاً جالدين . ومهما تغيرت لموصات . ومهما تغير هؤلاء ، الجالدون وجوهر الحب واحد . ولوقف فقط هو الذى يتغير .

القارئ . ألا يمكن استخلاص جوهر الحب هذا ؟

المؤلفة . هذا مالا أتمناه . . فإن البحث عن استخلاص للحب وتطير له فى حمى أو فى وصفة سحرية . . يفسد علينا الكثير من متع الحياة . لأن الحب مزيج من عناصر لا ترى والقليل من الناس يملك هذه العناصر ويصبح قادراً على تركيب الوصفة السحرية فى أنفسهم وسوف يكون دائماً عدد قليل من كبار العشاق . بينما سيكون هناك عدد هائل من الملهمات !

القارئ لا أعرف من الذى قال بـ الحب وهم فى وهم وأنه ليس أكثر من قطعة من المعدن اللامع ملفوفة حول حفنة بولوحية !

المؤلفة لا يمكن أن يكون صاحب هذه العبارة رجلاً قد عرف الحب !

القارئ ولكن أين وجدت أنت هذا الوهم الذى اسمه الحب ؟ لابد أنك قد عثرت عليه بالصدفة فى كنس القذعة ؟ لابد أنك صادقت شحاً محفياً !

المؤلفة : أبداً . بالعكس لقد وجدت الحب فى أماكن أخرى وحدته فى الخطابات العرامية المصمعة منذ وقت طويل . . وعثرت عليه فى المدكرات الخاصة التى احتفظت بها سرّاً عائلات عريقة كثيرة . ثم لم تشأ أن تنشرها .

القارئ : وما الذى دفعك إلى التعب وتأليف كتاب عن شىء لا يعرفه نحن الإنجليز ؟

المؤلفة . بعد أن صدر كتاب عن « الحب والفريسيون » ملقبت نهضة من صديق فرسى مثقف وحاء فى خطابه من المستحيل أن تجدى مادة للكتاب عن الحب عند الإنجليز . وأن مقالاً واحداً يكفى لسرد كل قصة الحب عند الإنجليز . فأحسست أنه يتحدثونى . وما يؤسف له أسى قد صادقت كثيرين مثله لديهم شكوك . وسوف أبدد هذه الشكوك !

القارئ : إذن سيكون كتابك دفاعاً عن الإنجليز !

المؤلفة : نعم إنه دفاع عن الحب الذى أهملناه وعن العشاق الذين نساهم .
وقد ألفت هذه الكتاب ليستمتع به القارئ . أما أنا فقد استمتعت به . واحتصرت
فيه الكثير . ولو قدر لى أن أتناول بالتفصيل سيرة الحب عند الإنجليز لأصدرت ستة
كتب لا كتاباً واحداً من ستة فصول ولا صنعت بعدد من الخبراء من بينهم :
مؤرخ وفيلسوف وشاعر وطبيب وباحث اجتماعي

القارئ : دائرة معارف عن الحب !

المؤلفة : بلا شك . ولأسى أعتقد أن هناك محالاً كبيراً لتفصيل الحب عدد
الإنجليز أرحو أن نقل هذه الوجبة ، خفيفة الفاتحة للشهية ومعها زحاجة شمبانيا !

هذه اللهجة الحارة والسرة العالية تمضى المؤلفة فى دفاعها عن مواضعها من
الإنجليز . وتقلب فى كل صفحات التاريخ لتعثر على العشاق والمحبين والخطابات
ومحاصر لوليس ودوروين الشعراء ومسرحيات شكسبير ، واعترافات الفيلسوف
المثاني توماس مور .

وأول قصة حب صادفها فى الكتاب بقول لنا أن أحد الملوك طلب إلى «نه» أن
يتزوج أرملة بعد وفاته . ولكن الـ«نه» كان يحب سيدة أخرى . وعندما قرر أن
يتزوج امرأة أبيه . جاءت حبيبته على رأس جيش وهرمته وحرته والخيال ليقل
قدميها ويطرد أرملة أبيه . . ثم يتزوج الحبيبة المنتصرة !

وصدرت قوائم تحرم زواج الـ«نه» من أرملة الأب . ثم عادت إلى الظهور مرة
أخرى . واضطر القديس أوغسطين أن يعلن حروجه من إنجلترا ومن الديانة
المسيحية . ولكن رأى القديس بطرس فى نومه يعنه وبصره . وطلب إليه أن
يقبى إلى حوار المسحيين . وبهض من نومه وما زالت علامات الضرب الدامى
على كل جسمه !

وقصة الملك وليام الماتح . لقد تقدم لخطبة إحدى السيالات . ورفضت لأنها تحب
رجلاً آخر وهذا الرجل لا يحبها . فذهب الملك أمام لكنيسة وانتظرها حتى حرقت
وانهال عليها صرباً حتى سقطت على الأرض . ولكن السيدة كانت تحب الرجل

الذى يضرب امرأة . فأحست الملك ووافقت على الزواج منه . . وما طلب إليها أن تحتار قطعة من الأرض لتسب عليها قصرها احتارت أرض الذى كانت تحبه ولا يحبها . واستولى الملك على الأرض . وحاء بالرجل مربوطاً بالحبال وألقى به عند قدمى الملك فأودعته السجن حتى مات !

وكان من المؤلف فى القرن الثانى عشر والثالث عشر أن يتزوج الأطفال وهم صغار . أما السب فهو أن أصحاب الأرض كانوا يستولون على الأطفال ويسخروهم فى خدمة الأرض بلا مقابل . ولذلك كان الناس ينادون بترويح أطفالهم حتى لا يرغمهم أحد على العمل بالإكراه

وكان رجال الكنيسة يشجعون الأرملة على عدم الزواج . لأن الكنيسة من حقها أن تترك ما يتركه الزوج . مادامت الأرملة قد تحولت إلى راهبة .

وعندما تنسئ الناس إلى جشع الكنيسة كانت الأرملة تتزوج بعد وفاة زوجها وفى هذا الوقت راح رجال الدين يشيرون حرافة ظهور أزواج الأزواج يضادون الأرملة فى كل مكان !

ومن أعرب القصص التى حاءت فى هذا الكتاب قصة الفيلسوف توماس مور صاحب «كتاب المدينة الماينة» فقد حاءه رجل يحطب إحدى ابنتيه

فأخذ الرجل من يده واتجه مباشرة إلى عرف ابنتيه . . ووجدتهما نائمتين تحت عطاء واحد فزع من فوقهما العطاء . وأحسب القاصد شئ من هذا فقلنا على الوجه . وهما أعاد الأب العطاء فوق ابنتيه العاريتين تماماً . وقال للرجل الذى يحطب واحدة منهما : الآن لقد رأيت كل شئ . فأنا من رأى أن الرجل يحب ألا يتزوج امرأة إلا بعد أن يراها عارية تماماً !

وسواء كانت هذه القصة صحيحة أو محرعة ، فإنه قد ذكر فى «المدينة الفاضلة» أنه يحب ألا يكون هناك كذب أو خداع بين الرجل والمرأة وأن التماهم يحب أن يكون تاماً

وقد تزوج الفيلسوف مور مرتين وعندما مات كتب على قبره وقرر روحته هذه العبارة أيها الموت اصحبا جميعاً ما حرمتنا حياة منه وهو : أن نعيش معاً فى سلام !

ولم يكن كل الأدباء والفلاسفة والعشاق من أنصار الحب والرواح ، فقد ارتفعت
أصوات صارحة تلعن الحب وتلعن الزواج . .

حتى قيل أن يقول بيرون : حب يؤدي إلى زواج ، مثل سيذ يتحول إلى حل !
وقيل أن يقول «كارليل» : الحب ليس كله هداماً ، ولكن فيه كل معاني
الهديان .

والعالم الكبير تشارلز دارون كتب في ١٨٣٧ يقول عن مراهب الرواح : أطفال
وصديق للعمر وموسيقى وثرثرة النساء .

وكتب دارون عن عيوب الرواح : صياع رهيب للوقت وإذا كان هناك أطفال
كثيرون فإنهم يرعمونا على كسب القوت ويقتلون فينا روح الكفاح !

وقد دارون تبصراً ولكن من الصعب أن يقصى لإنسان كل عمره كالحلقة
يسحب عن الطعام ثم يأوى في النهاية إلى بيت قذر إنه في حاجة إلى الروحة
اخمينية وإلى الدفء والموسيقى . قارن حياتك بعد الزواج بحياتك قبل الزواج
سيكون الفارق وصحاحاً إنه لصالح الرواح . . فتروحو . . تروحو . . تروجوا !

وتشارلز دارون كان من أحسن لأروج وأكثرهم إحلاصاً . وهو الرجل الذي
اكتشف نظرية أن الإنسان أصله قرد !

وكل أشكال الحب لا ترضى كاتباً كبيراً مثل هـ . جـ . ولر . فهو يرى أن الناس
على هذا الكوكب غير قادرين على الحب . وأنهم في المحل ترا غير قادرين على أن
يكونوا أناساً وأن الإنسان عموماً ليس إلا حيواناً مراهقاً وأنه شديد التقلب بين
الحمة والكراهية والإحلاص والحياة والعيرة والسلافة . وأن كل ما كتبه الناس عن
الحب ، يشبه أصوات آلات تحت أصابع العارفين قبل بداية الحفلة !

أما الفيلسوف رسل فهو ينظر إلى المجتمع لإجباري عموماً ويقول لا أمل في
إصلاح هذا المجتمع إلا إذا مات كل اندس فوق الأربعين !

وعلى الرغم من الحريات الممنوحة للمرأة وعلى الرغم من أنها موجودة في كل
مكان يقف فيه الرجل فإن المرأة لا تزال سديراً . إنها الفساء المسكينة التي تحلم

بأمير على حصن أبيصر . . وتنتظره ولا يهتم أبداً أن يحجى فالمرأة لا تشع من الحب والكلام عن الحب ولو تروحت المرأة ألف مرة وتكسرت أسنانياها فإن معدتها تطل - حتى اموت - قادرة على هضم كل كلام عن الحب !

ولا شك أن هذه الأحلام عند المرأة هي نوع من الحياة العقلية . ولكن الرجال قادرون على التفتيش عن هذه الحياة العقلية بمشاهدة الرقص العارى والاعماس فى كثير من البهو والملاذات التى تسمح بها المجتمع للرجال ولا يسمح بها للمرأة

ولا يزال المعنى القديم هو شعار الحياة الزوجية والحب فى كل عصر : فزواج بلا حب ، عربة بلا حصان . وحب بلا زواج حصان بلا عربة . وعندما يجتمع الزواج والحب ، فمن الصعب أن تنفى العربة عربة ، وأن يبقى الحصان حصاناً !

وتقول المؤلفة بنا ، نتود - عنقد أنتى قد دافعت بما فيه الكفاية عن البرود والجمود عند الإنجليز .

والحقيقة أنها قد مححت فى الدفاع ولكن محاح المحامى فى الدفاع لا يعنى أنه على حق دائماً . . بل يعنى أنه محام بارع . فقط !

- ٣ -

إذا كان الفرنسيون يصنعون الحب .

فإن الإنجليز يتحدثون عنه .

والألمان يفكرون فيه .

والطليان يأكلونه .

أما الأسبان فإنهم يرقصونه !

والرقص لا تغرب عنه الشمس فى أسبانيا المتدينة جداً ، وأسبانيا المتحررة ،

وأسبانيا المتحررة جداً . . وأسبانيا الموجودة فى مدريد .

وقد شاءت السيدة (ينا ابتون) فى كتابها عن (الحب والأسان) أن تحتار بداية

عربية صميمة للحياة العاطفية فى أسبانيا وقد جعلت هذه البداية فى العصور الوسطى .

وقد احتارت كتاب (طوق الحمامة) لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي دستوراً للمحسين في الأندلس . وهذا الكتاب يصم عدداً من الرسائل في الحب والعرام والنظرة بالعين والعفة والعيرة والطاعة والكرامة . . وكيف يمكن أن يكون الإنسان محباً عفيفاً .

واس حرم قد اختار عنوان كتبه (صوق الحمامة) لأن من عادة العشاق أن يبعثوا برسائلهم مع إسان أمين ، أو حيوان محلص لا يذيع أسرار العشاق ويقول ابن حرم في سبب اختياره للحمامة رسولاً إلى محبوبته .

تخيرها نوح فما خاب ظنه
لديها وجاءت نوحاً بالبشائر
سأودعها كتبى إليك فهاكها

رسائل تهدي في قوادم طائر

والشاعر اس حرم كان رجلاً رقيقاً وقد تعلم الرقة من عشرته الطويلة للحواري ولكن هذه العشرة جعلته لا يثق في المرأة . وجعلته يعتقد أنها كائن ضروري فقط ، ولكنها ليست كائناً يستحق الاحترام والإعجاب . فقد رأى من حيل النساء وكيد النساء الشيء الكثير .

ولكنه عندما أحب حاربه (نعم) بروحها وكان دون العشرين ثم ماتت نعم هذه ، وظل حزيناً عليها سبعة شهور لا يعير ملابسه ، وبكى وكان البكاء معجزة . فابن حرم قد أصابه مرض في أحشائه أصاب عينه بالجفاف ، فهو عاجز عن البكاء ، وهو لا يقوى على النظر إلى الضوء .

ولكن أحب أذاب عينه فبكى .

ورغم هذه الحجة الرقيقة المضطربة ، ورغم معاركة السياسية والعاطفة فقد ألف أكثر من ٤٠٠ كتاب ولم يصلنا من هذه الكتب إلا القليل . واس المعتر شبه الكثير من الشعراء الرومانسيين في أوروبا بعد ذلك فقد نظم معظم شعره وهو في العشرينات ، مثل رامبو ، ولورييمون وبوفاليس ، وبيرون ، وشللي . وكيس . والمتنبى وغيرهم .

وكان اس حرم يعتمد على ذاكرته في روايه الشعر حتى أُرهِقَ ذاكرته . وعلى الرغم من أنه كان يكتب كل ما يحفظه فإن اندى لم يكتبه كثير جداً . وقد أُصيب بفقدان حركتى للذاكرة لمدة سنة ، ثم عودته ذاكرته . وحشى أن يفقده مرة أخرى فسجل كل ما فى رأسه .

وبعداً اس حرم فى تحييل الحب فيقول : إن الله لا يهاد عن الحب . ولا رسوله ، وأن عدداً كبيراً من الخلفاء ورجال الدين قد أحوا . فعبد الرحمن بن معاوية أحب دعاء وروحها ، ومحمد بن عبد الرحمن أحب عرلاب وتروحها ويقول من حرم لولا أن هناك كثيراً من لأسرار الخاصة جداً فى قصور لأمرء والولاء رجال الدين لرويت عنهم الكثير

ويقول اس حرم عن علامات الحب عند الناس : إن الذى يحب هو الذى ينظر بإدمان . يدمس النظر إلى الخارية أو العصابة التى يحبها فاعجب يميل معها وإليها كما تميل الحرباء مع الشمس !

ومن علامات الحب : الحرص على الحديث مع المحبوبة ، ومن علامات الحب : التصحية

ولكنه يرى أنه لا حب أقوى . ولا أقوى من حب الله . وحب الناس فى الله والله ! ويقول ابن حزم أيضاً :

عرال قد حكى بدر الممام	كشمس قد تحب من عمام
سبى فلى بألحاط مراصر	وقد العصى فى حسن القوام
حصعت حصيع حب مستكر	له دلت ذلة مستهوام
فصلى يا فديتك فى حلال	فما أهوى وصالاً فى حرام

وتقول السيدة بيما اتت أن ابن حزم هو أول من كتب عن معنى (الانطربة) والذى يقرأ ما كتبه اس حرم عن نظرة المرأة إلى الرجل يجد أنه قسم جسمى المرأة إلى مربعات وكل حركة فى مربع لها معنى فالإشارة بمؤخر العين الواحدة معناها : لا تقترب

وتفتير العين - تسبيلها - معناها : ماذا تريد ؟

وكسر النظر معناها : فرجت .

وأطاق العين الواحدة معناها : احترس .

وتقليب الحدة ثم صرفها بسرعة معناها : احترس واحذر .

والإشارة بمؤخرة العينين معناها : ماذا تريد ؟

وقلب الحدة من وسط العين بسرعة معناها : انتعد نهائياً

ويقول ابن حزم : أما ترعد الحدتين من وسط العين فمعناه : ممسوح معاً دتاً

.. إلخ .

وبها حم اس حرم (الإداعة) هجوماً عنيفاً جداً ، أما الإداعة فمعناها : أن يدب

الإنسان سر حبه وأسرار محبوبته !

وتلاحظ المؤلفة أن الكاثوليك انعصموا في أسبانيا في أيام اس حرم ، أى في

القريبين ، العاشر والحادي عشر حرموا تصوير المرأة العارية ، ولذلك لا نجد لها صوراً في

أى مكان إلا فوق إحدى الأنية المصنوعة من الزجاج ، وهناك إباء مشهور عليه أربعة

من الرجال وأربع من النساء ، وسيدة تنمخ في الباي .

والطغس العاطفى فى الأمدلى فى ذلك الوقت كان صورة حديدة لما كان يحرق

فى بغداد لقد انتقلت كل لوحات «ألف ليلة وليلة» إلى قصور الأمراء والشعراء ،

وامتلأت الشرفات بالجوارى السمرراوات والشقراوات .

ولكن الخيط الذهبى الذى يربط هذه النوحات احية كلها هو الصراع بين

الحب والشرف ..

وكان الشرف ينتصر دئماً ..

وفى عرباظة وأشبيلية كانت التافورات تتألق فى عيون المحبين ، وكنت أشجار

الرتقال تثمر من أجل العشاق ، وكانت الوسائد الحريرية والستائر الوردية ، وكانت

موائد الطعام ، وكان صياء القمر لقد كانوا يعيشون فى عالم آخر . فى هروب جميل فقد كانت ديارهم نبدأ بالمائدة وننتقل إلى السرير ونستهى بالحمام وفى هذا الطريق الملهب كانت تتردد الأعاصير وتتعالى ربات الاخلاصين .

أن سادت تربية نفسها اعترفت فى رسائلها إننى لا أستطيع أن أصبى فى مدينة أشيشية ، فليطير هياك آلاف لأيدى والأرحل ' وناحر الكتب لمقدسة المشهور دون ميحيل الأشلى كان يقول لا أستطيع أن أبيع هيا شيئاً . فالباس جميعاً أجسامهم فتنة ، وقلوبهم ملهنة ، والنساء عيوبهن سوداء . . ولا شىء عندهن إلا الحب والحب . . أمور . . أمور .

وكان من عادة العشاق فى هذا الوقت أن يبعثوا برسائلهم مع أس لا يتطرق الشك إليهم . وكانت (الماشطة) وهى السيدة التى تقوم بتمشيط شعر المرأة وحميتها . أحسن رسول وكذلك السيدات العواخير ولأطفال ورجال الدين كانوا أهم وسيلة من وسائل نقل بريد العشاق وكانوا يكتبون رسائلهم بالدموع والحرارة . وكان من المألوف أن يكتب العاشق رسائله بالحرارة والدم أيضاً ومن عادة الأسان ألا ينشروا رسائلهم العرامية بل الحب سر ، ولذلك يجب كتمانها . وكانوا أكثر كتماناً للحب . .

وقد حدث فى الحرب الأهلية سنة ١٩٣٦ أن دخل أحد الصباط بيتاً مهجوراً . فوجد به دومة من الخطابات المصوفة فى أمانة تامة ، ففتحها ، وقرأ وبكى وبلغ من شدة تأثره أن قرر كتمان هذا الحب إلى الأبد فأحرق الرسائل كلها بلحبة عاطفة محترمة ، وهى عاطفة قوية ولكن الشرف أقوى دائماً

والفيلسوف لأسابى أورنيجا أى حاسيت عندما كتب مقدمة الترجمة الأسابية لكتاب (طوق الحمامة) قال .

«بعض الراهبات يتوهم أن الله قد خلق العالم كله من أحلهن ، ولذلك جعل الحب حراماً . مع أن الله قد خلق العالم في إطار من الحب وأن الله قد حقق لكى نحبه . ونحن نحب أنفسنا عندما نحب الله .

وعند الرحمن الخامس قال مرة : لو كانت الكراهية ناشئة من المرور إلى الحنة ، لطلبت من الله أن يدخلنى جهنم .

وكما تأثر الفكر كله بالأدب العرسى والفلسفة العربية ، فكسك حب . فقد انتقل الناس من حب المرأة إلى حب الحب ، ومن حب الجسم إلى حب الروح أيضاً

وفلسفة ابن سينا ومعنى حب الالهى عنده ، قد أشاع التأمل والمطر إلى كل ما هو أبهى وقد أدى هذا أيضاً إلى أن رفعت قيمة العواطف السبية ، وإلى أن المرأه لم تعد جسماً فقط . لم تعد شيئاً يدمسه الرحل فنشتعل النار وبعد أن تحمد النار يتحده لرحل إلى مصدر أحرر للاشتعال فكل ما سعل هو كل ما يحمد أيضاً . ولكن الذى لا يشتعل ولا يحمد هو الحب الروحى . فهو يصبى دماً .

وقرأنا بعد ذلك فى لقرن الخامس عشر من بضع المرأة فى مرتبة أعلى من الرحل لأن الله قد أراده كذلك فإله خلق آدم فى الأرض ، وخلق حواء فى الحنة وإله خلق آدم من تراب ، وخلق حواء من كائن حى . وإله خلق آدم بين الحيوانات ، وخلق حواء من الملائكة ، ولأن حواء أدكى من آدم فقد أعراها الشيطان . أول إعراء للشيطان ولأن آدم أقل دكاء من حواء ، فقد أعرتة حواء وحواء لم تحطى ، فإله جعل التفاحة محرمة على آدم ، وليست على حواء

وهناك تيارات أخرى تنزل بالمرأة من السماء إلى الأرض ، وتجعلها حيواناً متصباً . ولذلك فلا أمان لها والرحل يحب أن يؤكك لنفسه هذه الحقيقة ليلاً ونهاراً ، وبذلك يأمن شرها .

وفد كتب جون روبريحت فى كتاب (لوصايا العشر للحب) يقول : «الفقر واجب لا يعيشان فى بيت واحد والشيخوخة والحب لا يعيشان فى جسم واحد وهذا المعنى قريب مما قاله أحد الشعراء .

إذا شاب شعر المرء أو قل ماله

فليس له في ودهن نصيب !

وهذا طبعى جداً فإذا كان الرجل سحاً مقلماً ، فلماذا يطلب من امرأة أن تحبه ؟ ولماذا يندهش إذا هي لم تشعر نحوه بأية عاطفة ؟

وفي هذا الوقت أبضاً انتشر المباح في أسبانيا ، ولم يكن الماحور أو بيوت الخمر المندت الخاصة شيئاً غير أخلاقى ، وإنما كان مألوفاً جداً أن يكون لأى إنسان بيت وإذا صح مثل القتل اناس على دين ملوكهم وهو صحيح فإن الملوك أنفسهم كانوا ينساقون في الحصول على كبر عدد ممكّن من الخوارى والراقصات . وكانت الخوارى أحمل هدية يقدمها ملكاً لأمبر ، أو حفير لأمبر !

ولذلك فريدريك وروخته الملكة إيرالا قد أصدرتا قراراً بمنح أحد الصباط العائدين من القبال سبعة مواخير في سبع مدن كبرى ، وأن يرب أولاده من بعده هذه المواخير وأن يضيئوا إليها إذا شاءوا !!

وفي نفس الوقت يجب أن يراعى الناس لأداب الاجتماعية يجب أن يتسروا على مبادئهم فلا مانع من ارتكاب أى شيء ، ولكن يجب ألا يحاوه بذلك ففي سنة ١٤٩١ صدر قانون يعقوبه كل من يعرف عبداً أو يجرح عبداً ومعه عشيقته في مكان عام . فإذا فعل وجب عليه أن يدفع غرامة : نصف دخلة !

وفي هذا الوقت نشرت الكتب التى تحدث عن إعداد الشباب ، وعن بقوة الشباب خصوصاً بعد انتشار الشهود الحسى والأندلس يعتبر مهذاً للشدوذ الحسى فى كل أسبانيا وقد صدر لقى حوان دوت كتاباً عن فوائد العقاقير العربية فى شعال نار الحب والاعرام فقد وصف الشطة والقرفة وحشب الصبدل والكمون والليمون والبصل والكروت ، خصوصاً الكروت ، وعجائب الكرات . ولا يزال الناس فى أمريكا يستخدمون الكروت ومشتقاه لنفس الغرض الجسى !

وفى هذا الوقت طهر عدد من الأطباء ليهود يعالجون الصعف الحسى عند الشد واشيوح . وكان أشهرهم ليون العبرى الذى هرب من أسبانيا وأصبح بعد ذلك طبيباً خاصاً لملك نابلى .

حتى الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون كان يشتغل بالطب وعندما جاء إلى مصر كان صيماً للناصر صلاح الدين ، وقد تخصص فى الدراسات الدينية والفلسفية ، ثم تحه تدماً إلى الطب فكان أحسن طبيب فى علاج معظم الأمراض . وأمراض الصعف الحسى بصفة خاصة ولا يزال حتى الآن معظم الأطباء الذين يعالجون الأمراض الجنسية من اليهود .

وعندما صهرت قصة (دون كيخوته) لأديب أسبانيا العظيم سرفانتس دون الحب بكل صوره ولكنه كان ساحراً من كل صور الحب الحسمى والروحى .

وفى ذلك الوقت صدر كتاب عن (أصول الحب) لرحل حرئ جداً اسمه لويس فيبست وهذا الكتاب حرمته الكنيسة فور صدوره وهذا الكتاب عبارة عن مئات الصفحات للمحبين والعشاق فى أسبانيا وفى غيرها

وسدأ الكتاب من البداية لانصدقوا أن أحداً مات من الحب . أنه فالحب يؤلم ولكنه لا يميت . والمرأة يحب أن تكون أقوى ، أن يكون على شىء من الرحولة وهى بالفعل أقوى من الرجل ، ولكنها لا تريد ، أو لكنها تريد أن تكون كما يريد لها الرجل ضعيفة رقيقة مكسرة مع أن المرأة أقوى جسماً وأطول عمراً

ونقول أيضاً مسكراً الرقص ما معنى أن تغل سيدة كالنساء - تمسك رجلاً من دراعة صول لليل ؟ كذا الرجل ليس إلا دراعاً فقط "

وفى القرن لسادس عشر ثارت الدولة على اسباجح لأن هذه اسباجح تعث على الكسل والخمول . . وفى ١٥٧٩ صدر قرار بمنعها .

وفى هذا الوقت أيضاً كان الأسباب يسون أماكن اللهو بالقرب من ساحات مصارعة الثيران فالدماء التى يرفها الثور أو مصارع لثيران تشير الناس فى نفس الوقت فيتطلعون إلى بيوت اللهو

وأيام لرومان كانت المواحر هرية أيضاً من الساحات التى يتصارع فيها الوحوش
والسحناء .. ولنفس السبب !

والرقص والمصارعة كانا يؤديان إلى رشاقة المرأة ولرحل ، ولذلك فمثل الأعلى
لحمل هو حمل الرحن . ولذلك لم تكن الصور العالمة مما بمن الأسان . فالمرأة
كانت حريصة على إحقاء صدرها بكل وسيلة . وكانت وسائل الإحقاء عنيفة
فالمرأة كانت (تفعض) صدرها بالأربطة القوية ، وأحياناً كانت تصنع ألواحاً من
المعدن تحت ملابسها ، حتى لا يكون لها صدر ، واللوحة العارية التى بقلتها لها
المتاحف لامرأة عارية كانت للرسام فيلاسكويث وكانت لآلهة الإغريق فيبوس .
ولم تكن عارية تماماً .

والأسان كالعرب والصينيين أيضاً ، كانوا يحفون أقدام المرأة ، خصوصاً أصابع
قدميها !

وفد كتبت السيدة (النوى) عن رحلتها إلى أسديت فقالت : إن ساء أسديت
يحفون أقدامهم بعنايه فأقدمهم أحمل عصوفى كل الجسم والمرأة الأسادية
بعد أن تكون قد أعطت لحيثها كل شىء ، توح هذا لعطاء السحى أن تكشف له
عن قدميها - وهذا هو آخر ما عندها !

وحى الملكة إير بلا عندما كانوا بمسحون جسمها برب البركة ، رفعت أن
تكشف عن أصابع قدميها . فمسحوا حوربها من الخارج فقط !
وكان من الأخطاء التى لا يمكن أن تعترفها المرأة أن ينظر الإنسان - حتى
زوحها - إلى حوربها أو حذائها .

وحتمى من المسرح لأساسى كل مفهوم فى الحب . وكل ساحر منه أيضاً
وطهر (دون حورب) طهر عند حديد للدة الخمسة ، وهو جل لا يبحث عن حب
وإنما عن المتعة فقط ! وهو رحن يحد للدة فى تعذيب الأحريرات . وهو إنسان عنده
عقدة أوديب ، فهو يحب أمه ويكره أباه وهو لأنه يحب أمه ، لا يحب أية امرأة
أخرى ويحب أن تكون العلاقة بين الرحن والمرأة كالعلاقة بين الإنسان وأمّه . وهو

لذلك يحتقر الجنس ويحتقر المرأة ، ويرى أن المرأة تستحق أن يعاقبها الرجل لأنها تثير فيه الرغبة الجنسية ، ولأنها لا تحمد هذه الرغبة أيضاً

والأسرة لأسانية كانت متماسكة ولا تزال . وبذلك فعصده أوديب هذه على شدها وبذلك فالأسنان لا يعرفون الحب الحقيقي وبما يرقصون للحب ويغنون له .

ولا يرل في أسبانيا ومن أقدم العصور ذلك المجتمع العربي من العجر . أنه مجتمع مقف على نفسه يعيش في كهوف وفي أسرار وعطور والعجر يعرفون كل أنواع الحب وكل صور العشق ولكن لا يعرفون الدم في الحب فإذا كان لأسنان عندما يرون امرأة في الشارع يجرحون أنفسهم بسكين ، فتتحى الفتاة الأسانية ترد هذه التحية لدامية فإن العجر يرون أن أحسن دماء للحب هو السد وأحسن سكين في الحب هو . الرواح . وعندما بعث أساناً بمعرضها الصحف إلى باريس سنة ١٨٣٨ اهترت فرنسا وأوروبا فقد اكتشف لعالم أن لأسنان في حريم من القل وفي حنهم من لغرم . وأن ألوانهم هي دحان وبران وصرحات العذاب في عالم محبوس بالرقص والعداء والظرب وفي هذا الجو المكهرب بالألوان والأحان ظهرت كارمن . وكارمن هي أبة فتاة عاشت فوق الحب . لقد جعلها تكرامة فوق الحب

وانتسرت قصة كارمن العجربة فكسب الشاعر الرومانسى (ميريميه) «عرايميات كارمن» ولومستقار بيريه كتب أوبرا كارمن . وكل فتاة أسانية هي كارمن المرححة العفيفة العاشقة الشريفة . إب كارمن هي الحب ، وكارمن وأحواتها هن كل ساء أسبانيا

وفي سنة ١٨٣٩ هربت لأديبة «جورج صاند» ومعها عشيقها الموسيقار شوبان في سفينة حارير من جزيرة مايورك ، لأتاهما لم يطبقا الحياة في الحرية الأسانية لقد تعرب ادبياً واحصى الحب برومانسى . وظهرت ساء من نوع محلف ، يرقصن ويرقصن ويشرن وبصرحن . . وبعد ذلك يمتن كالخارير

ويشرح لنا المؤلف «بينا بتون» إب الأسان من أكثر شعوب العالم «بصصة» لانساء والبصصة عندهم نوع من اللمس بالعين أو نوع من البسلك الإحدى لكن أعصاء المرأة . فائرجن الأسانى ينظر إلى المرأة بلا حش في الشارع وهي السيارة وفي المحلات العامة .

وقد سئلت سيدة أسبانية ولما لا نعترض على هذا الأسلوب غير المهدب ؟
فكان ردها : إن الرجل إذا لم ينظر لى هكذا ، أشعر بأسى مليئة بالعيوب
وأشعر أسى امرأة يستطيع الرجل أن يقاومها وأن يتجاهلها أيضاً وهذا أفسى
درجات العذاب .

أما أسبانيا التى نعيش فى مدريد فهى مجتمع احمر حيط من كل مة فى
أسبانيا من عيوب ، ومن كل مة فى الدنيا أيضاً وإذا كان الأسبان أنفسهم
لا يعرفون ملامح بلادهم إذا ذهبوا إلى مدريد ، فإن الأجسى لا يعرف من
هم الأسبان

والمرأة فى مدريد الاب تشبه إلى حد كبير ذلك النوع من النساء الذى صورته لنا
الساعر حارثيا لوركا فى مسرحية «بيت برناردا ألبا» . بهن ساء مشعولات بالنساء
والنثرة وبالتحسس على النساء وبالرواح أما الباحثون عن الحب فى أسبانيا ،
ففى استطاعتهم أن يحدوه فى الحبوب وفى الشمال . . هناك يحدون العصور
الوسطى الخرافة . وهناك يحدون جميع المواد التفسيرية لقوانين الحب والعرام كما
جاءت فى كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسى !



العريس سرق المسجد

هذا

« الرجل » ولد بين العسكريين ومات بين القديسين ..
وعندما أقيمت له النماثيل وصعدوا السيف في عييه ، والكتاب
المقدس في يساره .

وتنقلب عيون المؤرخين بين السيف والكتاب فعصهم تشكك في قدرته على
حمل السيف ، وبعضهم تحير في جنونه بالدين .
ولكن (شارلر جوردون) ظل بطلاً غودحاً من أبطال لقرب التاسع عشر في أوروبا .
وعندما هاجمه أنصار المهدي في الخرطوم وحدوه في حيلة بلا حراسة ،
ووحده عاكماً على قرية الإحليل . وكان من الطبيعي أن يفلتوا ولكن لمدا واحه
قوات المهدي بلا حراسه ؟ هل هو الشنود الجسسى ؟

إبـ ، جواب الصحيح عن هذا السؤال هو موضوع الكتاب الممتع الذى ألفه اللورير
مخافط انتونى باتش والذى عنوانه «جوردون شهيد في عمر محله» والمؤلف انتونى
باتش انتخب عضواً في البرلمان سنة ١٩٤٦ ثم احسب رئيساً لوفد بلاده في
جمعية العامة للأمم المتحدة ومفاوضاً مع مصر سنة ١٩٥٤ ثم عضواً في وزارة
أيدب وما وقع العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ استقال مسكراً موقف
حكومته . وقد شغل نفسه في السنوات الأخيرة من عمره بدراسة الشرق الأوسط
وقصدايه . فأصدر كتاباً بعنوان «رأيت عيسى» . وفى هذا الكتاب يعرض
ويشرح السياسة في الشرق الأوسط ثم أصدر كتاباً عن «لوراس الصحراء العربية
- الرحل وبراغته» ، ثم كتاباً آخر عن «العرب» . وأخيراً هذا الكتاب الذى يناقش
(بطولة) جوردون وقداسته جوردون ..

وتشارلز حوردون ولد في أسره من العسكريين في ٢٨ يناير سنة ١٨٣٣ فأبوه وأخوه وعدد كبير جداً من أقاربه كلهم من العسكريين . وأقارب أمه من الناس الطبيين المتمسكين بالأخلاق الكريمة ، وبلا تعصب ديني . وكان من الطبيعي أن يدخل المدرسة وفي دهة أن يكون جدياً ، ودخل الكلية الحربية وتخرج مهندساً واشتغل في سلاح المهندسين . وكان من الملاحظ على سلوكه العام أنه عبيد وأنه عفيف ، وأنه شديد التمرد على رؤسائه . فقد صرب حاوش الكلية برحاحة حبر ، وصرب فومسدان الكلية بكتاب في وجهه وقد عاقبته الكلية كثيراً دون مراعاة لمركز أبيه . وقد أدت ثوراته على زملائه ورؤسائه إلى تعطيله عن الطريق السليم ، وعن الترقى أيضاً .

وفي هذا الوقت أحس حوردون أنه لا يريد أن يعيش في إمحلترا ، ورسائله كلها تؤكد هذا المعنى ، وتؤكد أيضاً أنه اختار الطريق العبط . فما كان يحب أن يكون جدياً أو صابطاً فهو لا يقوى على هذه الطاعة العمياء ، وأنه مستعد أن يطبع شرط ألا يكون أعمى . وبذلك كثيراً ما بعد الأوامر ولكن على طريقته ! واشتغل في عمليات عسكرية صغيرة في داخل الجزيرة البريطانية . وفي هذه العمليات الصغيرة اتحد نفس الموقف العبيد الذي يد عن ترمه العميق بالأوامر العسكرية .

وعندما دحلت بريطانيا إلى جانب تركيا في حرب صد روسيا في مارس سنة ١٨٥٤ تقدم حوردون متطوعاً . وطل على مصصر يتصر وفوحى حوردون بأن طواحين الحكومة تدور ببطء فطل أكثر من سنة . وأحيراً وافقت الحكومة على سفره إلى شبه جزيرة القرم . .

وهناك اكتشفت طبيعة تشارلز حوردون ورسائله إلى أحته أو حسنا نقول هذا وجدت نفسي هنا ، اكتشفت برعاتي الحقيقية أريد أن أموت . حئت لكي أموت . . أموت .

ويقول أيضاً « هذه الحياة سحر كبير . والسحاح الواقف على بابها رهيب وحسمى هو برانتى . وحياتى هي نوع من الحسن الانفرادى وأنا الآن انتطع الى حريتى . . وحريتى هي أن أتخلص من جسمى : أن أموت ! » .

وفى حرب القرم تقدم حوردون لصفوف وقاتل وتسلل إلى الخطوط الأمامية
وبلا حراسة ، واشترك فى حصار ساستبول . . وظل الموت ، ورفض الموت
أن يجئ .

وعندما حصدت بيران القرم فى سنة ١٨٥٦ عاد وفى نفسه مرارة مركزة . لم
يصب بجراح قاتلة . . لم يميت

وأحس بأن النباشين الذهبية على صدره ليست إلا وصمات لامعة لرحل أراد
أن يموت بطلا ، ورفض الموت أن يمنحه هذا الشرف . . وجاء هد الرقص من ذهب

وعندما طلبت إليه وزارة الخارجية أن يشترك فى تخطيط الحدود بين
روسيا ورومانيا شعر بسعادة هائلة . لقد ناداه الموت . ولم يخطط الحدود بين
البلدين ولم يميت . ثم انقلب مرة أخرى ليشترك مع سلاح المهندسين فى تخطيط
الحدود بين تركيا وارمينيا فذهب وتسلق الجبال ، وحرّم نفسه من الطعام ،
ومرض . . ولم يميت .

ولكن شيئاً عميقاً ترسب فى نفسه . .

لقد رأى حياة قتائل القوقاز ، وعلمته هذه الحياة . فهم رجال شجعان ،
مسلحون من الخدء إلى عطاء الرأس ، وحياتهم على أكتفهم ، وقوانينهم من
صعهم ، ويعيشون على الحافة بين القانون والخروج عليه . بين الطم والقوضى .
بين التقاليد والحرية . وأدرك أنه هو شخصياً شئ من هذا ، وأنه يتمنى لو كان هو
الآخر يعيش خارج المجتمع ، وخارجاً عليه . .

وفى أعماقه صوت يحلجج : ' لا حياة فى إنجلترا ، مهما كان الثمن '

وعندما اشتعلت بيران بتمرد فى الصين ، كان أول المتطوعين ، ووصل إلى
الصين سنة ١٨٦٠ ، ليشترك فى معركة لا يعرف أحدٌ من أطرافها لا يعرف ماهى
القصة . ولكن المهم عنده هو أن يكون بعيداً عن إنجلترا ، وأن يكون قائداً بمفرده ،
وأن يحول مركز القيادة إلى صومعة رهب ، وفى هذه الصومعة يرسم الخسوف المتينة
بينه وبين الله . .

وفى الصين حارب وقتل ودبح . وفم بتدريب فوات من الهود ولإلخخير
والصينيين . ولكنه فى ذلك الوقت لم يسس أن يعمر أقاربه بالهدايا وكانت هذه

لهدايا موصوفة بدقة في خطاباته . وكان يقول الهدية رقم واحد لأُمي ، ورقم ٢ لأختي . . وهكذا . وكان الهدايا كثيرة جداً ولم يحفظ نفسه شيء منها فقد كان راهاً ، أو كان كارهاً لكل ما يصلح للبيت . . لأنه كره للبيت ولجو البيت ، وإن كان ككل أثناء عصره شديد الارتباط بأسرته وأقاربه .

وكراهيته للبيت والقصور جعله يقوم بعملية مروعة هدم بها قصور لأُمراء في الصين . أحرقها . حولها إلى رماد ، ووصف ذلك بقوله الموت هو شيء من هذا . أن يتحطم الجسم وتسقى الروح وهذا أُملي . ولكي ما أزال بعيداً لراحة أننى لا أليق بأُمجاد السماوية . .

ورغم هذه المعارك العنيفة في الصين ، فإنه لم يتوقف عن كتابة مذكراته اليومية . . وعن مذكراته الخاصة بسير المعركة ساعة بساعة . .

ولما انتهت حملته الصينية وعاد «حوردون الصين» - كما كانوا سموه - إلى لندن فوحي بأن أمه قد عرضت مذكراته على كل أفرادها وعلى عدد كبير جداً من الرسميين . واقترح أحد الرسميين طبعها . . وكانت ثورة دامية . فقد عصب حوردون وأحرق كل هذه المذكرات العسكرية المهمة . ولم يترك إلا رسائله الخاصة لأُمه وأخته . فقد كان حوردون يكره التكريم ، ويكره الألقاب التي خلعتها الصحف عليه . وإن كانت الصحف قد وصلنها أساء الصين متأخرة جداً . كما أن حوردون كان يشعر بأن هذه المذكرات ليست إلا نوعاً من الاعترافات . والاعتراف سر مقدس في الكنيسة . وقد فصحت أمه . ولذلك ثار وأحرق هذه الوثائق السرية المقدسة !

ولم تكن وزارة الحربية البريطانية ترى فيه قائداً ملتزماً ، وإنما ترى فيه قائداً متحرراً أو متحرراً من الصلابة والربط . ولذلك لم تطب إليه أن يشترك في عملياتها العسكرية في الهند وأفغانستان والحشة . أما عيوب حوردون ، كما جاء في وثائق وزارة الحربية ، فهي أنه أصبح لامعاً ، وأنه مشغول بإصلاح البلاد التي يعمل فيها ، وأنه قليل الإحساس بالإمبراطورية البريطانية .

وفي الكريسماس بعث لأخته يقول «أتمنى لك ليلة سعيدة ولا أقول أتمنى لنفسى ليالي سعيدة . . فأنا أحسن أننى قريب من نهايتي» .

والصدفة وحدها هي التي جعلته يلتقي بوبار باشا رئيس الوزارة المصرية
وأُطدعه على أن الحديو إسماعيل يفكر في صباط بريطاني يتولى حكم في مديرية
خط الاستواء خلفاً للسير صمويل بيكر .

ووفق حوردون بلا تردد وفي هذا الوقت ماتت أمه . وأحس حوردون أن
لديه فرصة بادرة بيعيش بعيداً عن إنجلترا ، وليعيش في وحدة تامة ، ولتأمل الموت
الذي احتار به وأمه وأحد إخوته أن الموت ولا شك يدور حوله ولا بد أنه يقترب
منه قليلاً قليلاً

وفهم حوردون من بوبار باشا أن مهمته شاقة ، وأنه مطالب بأن يوسع رقعة الدولة
المصرية ، وأن يحارب تحاره الرقيق ، وأن يكتشف أعالي النيل ، وأن عقد اتفاقات
صلح مع ملوك وأمراء أواسط أفريقيا .

وفي يناير سنة ١٨٧٤ حاء إلى القاهرة وقال بوبار باشا مرة أخرى وبعدها
قابل الحديو إسماعيل وصف بوبار باشا في مذكراته بأنه أرمني وصيغ . .

وكانت مقالته للحديو بعده الأثر في نفسه . فقد كان الحديو رجلاً رقيقاً
مؤثراً ولم يحف عنه أماله التي يعلقها عليه . . ولا رغبته في أن يكون على
اتصال مستمر به ولم يفهم حوردون معنى «الاتصال المستمر به» إلا عندما ذهب
إلى الخرطوم وقابله الحاكم المصري الذي وضع له الكثير من المصاعب .

ويسو أن الحديو كانت لديه معلومات كافية عن حوردون فعين ضابطاً أمريكياً
لمراقبته . . وقام حوردون بتعيين لجنة من المستشارين نصم ثلاثة من الإنجليز وألمانيا
 وإيطاليا ومصرياً . . وكانت لجنة فاشلة .

وسافر حوردون بالقطار من القاهرة إلى السويس يرافقه فرداد دي لسييس وكان
في السعير . واندش عندما علم أن دي لسييس قد رزق بطفل في هذه السن .
ومن السويس سافر في البحر الأحمر إلى سواكن ومنها إلى الخرطوم . وعندما
بوقفت به السفينة في أعلى النيل ، جمع ملايسة ونزل يساعد في تعويم السفينة . .
ولم يكن قد ركب الجمال في حياته فركب جملاً ٢٥٠ كيلو متراً

وعندما ذهب حوردون إلى الخرطوم وأحس بالوحدة المرة والظلام والخوف تنبعت فيه كل أخلاقياته المترمة . وقد حدث عندما أقام الحاكم المصري حفلة استقبال أن نهض القنصل الألماني معاق بعض الرقصات العاريات ، فثار حوردون على القنصل وعلى الحاكم وعلى الرافعات !

وعندما قدم الحاكم المصري الطعام في أطباق من الصيني السافري الأنيقة ثار حوردون . ولم يهدأ عندما قال له الحاكم المصري : أن هذه الأطباق هي محلفات سلفه السير صمويل بيكر !

وفي مديرية حط الاستواء حاور حوردون أن يحقق المستحيلات ولكنه اصطدم بصعوبات هائلة : قلة الخود وصعوبة الطرق . وكثره نحر الرقيق وقلة المال . . . بل إن الخديو نفسه قد أنقص مرتب حوردون نفسه إلى الخمس والذي أدهش الخديو هو أن حوردون نفسه لم سئل . . . الخديو يتشكك في المهمة التي كلفه بها .

وفي عصبية متشحة أرسل حوردون برقية إلى الخديو يقول له فيها : ابعث بعيري !

وترك مديرية حط الاستواء إلى الخرطوم إلى سواكن إلى السويس إلى القاهرة . وقبل الخديوى . وأقبعه الخديوى باللقاء وأمام شخصيه خديوى ودكانه وعمره وهداياهم استسلم حوردون ووافق على العودة إلى المديرية الاستوائية ولكن بعد أن يزور أهله في لندن .

وعندما وصل إلى لندن نشرت لصحف أن حوردون سوف تبعث به الدولة لانقاذ المسيحيين من اضطهاد المسلمين لهم في بلغاريا . وقد اعتر حوردون بهذا البأ وذهب على الفور ، بعد أن اعذر للخديوى إسماعيل عن وعده السابق

ولكن الخديوى أرسل برقية رفيعة يقول فيها : لا أستطيع أن اتصور أن حوردون يتحلل من وعده . فأنا في انتظارك في أي وقت . ووافق ميت وفيك !

وقابل حوردون أحد زملائه المحاربين في شبه جزيرة القرم . فاقترح هذا الصديق على حوردون أن يطلب من الخديو أن يجعله حاكماً عاماً للسودان ، بدلاً من الحاكم المصري أيوب باشا .

واقترح جوردون وقابل نوبار باشا . ولكن نوبار باشا أكد له أن هذا المنصب سوف يحتله أحد أبناء الخديوى . ولكنه حوردون أصر ووافق الخديوى ، على أن يجعله حاكماً عاماً للسودان ومديرية حط الاستواء وما سوف يفتحه أو يكتشفه من أراض أخرى جديدة ، ثم عينه مارشالا فى الجيش المصرى .

وعندما ذهب إلى الخرطوم وقرأ فرمان الخديو ، أنحى أيوب باشا . وذهب جوردون ليتسلم قصر الحاكم العام فوجد كل نوافذه قد تحطمت . لقد حصمتها أحت أيوب باشا !

وسدلة المارشالية أحد جوردون باشا يستقل على ظهور الجمال إلى محاهل السودان . . كآى مجنون فى سيرك متقل !

وقرر حوردون بعد سبع سنوات من العذاب والخوف والوحدة أن يترك السودان . وعندما وصل إلى القاهرة فى ٧ مارس سنة ١٨٧٨ استدعاه الخديو ليقف إلى حواره فى محبة المالية مع فرنسا واحتلها . لقد أصبح الخديوى مديناً بمائة مليون جنيه لدولتين . . والدولتان أصرتا على (الحجز) على الخديوى وعلى الدولة كلها ، وفاء لديون المستحقين !

وسذل حوردون كل ما يستطيع ولم يكن من امكس إيقاد لخديوى أو إقاذ مصر .

وبعد ذلك نشبت ثورة المهدي ورحاله فى السودان . .

وفى هذه الأثناء كان حوردون فى مكان آخر من العالم . كان فى الأراضي المقدسة فى فلسطين كارهاً أن يعود إلى مصر كارهاً أن يعود إلى السودان وقريباً إلى الله إلى الأمل الذى يحلم به منذ كان فى العشرين من عمره وهو أن يموت ، لأن هذه الحياة لاتساوى شيئاً . فهى قطرة إلى عالم آخر والدسا قطرة وعلى الإنسان أن يعبرها لا أن يعمرها !

وحاءت رسائل جوردون إلى أخته كلها غارقة فى الصلوات والانتهالات والتفسيرات لأحداث الكتاب المقدس . فهو مثلاً يقول لها : إن المسيح لابد أن يكون قد صلب أمام باب دمشق . فالباب يشبه الحميمة أى الحليحة باللة الأرامية القديمة .

وكان جوردون هارباً من شىء آخر لقد استدان الكثير من الأموال وهي خطباته إلى أصدقائه وإلى أخيه يؤكد أنه يعاني أزمة مالية فظيعة . وأنه لا يعرف كيف يخرج منها

ومن أغرب الحوادث التي يسجلها التاريخ بصدق ما فعله جوردون في القدس . فقد تسلل جوردون إلى مسحد الصحرة وتسلق سلماً خشبياً وراح ينزع الكثير من هذه القطع ويضعها في صندوق . ويعود بها إلى بيته . وفي اليوم التالي يذهب إلى نفس القبة ويواصل عمليات السرقة طول مدة إقامته التي استغرقت ١١ شهراً . وبعد ذلك باع هذه الآثار المقدسة ، لكي يسدد ديونه . .

وهذه أول سرقة صارخة يقوم بها المارشال تشارلز جوردون .

ويبدو أن الملك ليوبولد ملك بلجيكا بلغته أحبار جوردون فعرض عليه أن يذهب إلى الكونغو وأن يعمل لحسابه ، ووافق جوردون وذهب إلى وزارة الحربية يقدم استقالته ليلتحق بالعمل للحكومة البلجيكية . وأعلنت وزارة الحربية أنها تعارض في اشتغال جوردون في الكونغو . وترى أنه إن قبل فلا حق له في المعاش وأرسل جوردون استقالته بقول أن الملك وعدني بتعويض سحي عن كل ماسوف أخسره إذا تركت العمل في جيش صاحبة الجلالة !

وافتنعت الحكومة البريطانية بضرورة سفر جوردون إلى السودان لإنقاذ الحامية المصرية . ووعدته الحكومة البريطانية بمساعدته . فقد كتبت الحكومة البريطانية هي التي تحكم مصر في أيام الخديوي توفيق .

وذهب جوردون إلى السودان . وتكاثرت قوات أنصار المهدي وحاول جوردون كل ما يستطيع . وترددت الحكومة البريطانية في مساعدته وإنقاذه . وأخذت الأصوات ترتفع في البرلمان . ووافق البرلمان على مساعدته جوردون وكان رئيس الوزراء يعارض في إرسال أية مساعدات . وحاءت الرقيات من جوردون تؤكد أنه ليس في حاجة إلى مساعدة وأنه سوف يبقى وسوف يموت مع آخر جندي !

وتسللت من السودان ورفة صغيرة بالغة العربية في مساحة طابع البريد يقول فيها جوردون أن لديه سبعة آلاف عسكري وأنه ليس في حاجة إلى مساعدة . وعادت الوزارة البريطانية تعيد إليه إرسال الرقيات التي كانت قد بعثت بها من قبل تسأله إن كان في حاجة إلى مساعدة ولم يرد . واضطرت إلى أن تنعشه بالرجل والعتاد .

واشتبكت قوات المهدي مع قوات جوردون . وأرسل المهدي أحد رجاله يرندي
عداء ومعه خطاب والخطاب يطالب فيه إلى حوردون الإسلام أو الاستسلام
فشار حوردون وألقى بالعبء على الأرض . وأعلن أنه لا يقبل المساومة وأنه
سوف يحارب .

وحارب حتى قتله أحد جنود المهدي !

وشارت العاصمة البريطانية على رئيس الوزراء واتهمته بأنه سمح وأنه هو الذي
قتل البطل القديس تشارلز جوردون .

وكان يوم ١١ فبراير سنة ١٨٨٥ يوما أسود في لندن . فقد بكت العاصمة
البريطانية أحد أبطالها . وأقيمت الصلوات في كنيسة القديس بطرس وحصرها
الأمراء وكل رجال البرلمان وفي خطاب القديس الذي أقامه كبير الأساقفة افتطف
بعض ماجاء في مذكرات حوردون حيث قال : تنى بحياتي أصحى من أحل
الفقر في السودان . . وكيف لا أنكى عليهم إسي أطلب إلى الله أن يجعلني
أحمل عنهم خطاياهم . . إسي تمنى أن أموت فداء لهم . .

وهذه العبارة المتواضعة صاغت في زحام تنويح حوردون بطلاً قديساً من أبطال
العصر الفيكتوري . .

وأرسلت الملكة فيكتوريا إلى أخته أوحستا تعريها في التعرير العالي الذي مات
في نبل من أجل الإنسانية . .

وأرسل الحديوي نوفيقي برقية يقول فيها إن حوردون لم يحسر شيئاً بموته ، وإنما
اكتسب ذلك المجد الشامخ الذي كان يتطلع إليه طول عمره .

وبودر باشا أرسل برفقة تعري فيها ذلك الظل بالمعنى النبيل للكلمة !

وإمبراطور الصين بعث بتعرية مع أحد الوزراء ومع التعرية أرسل مائة وعشرين
جنيهاً ، هي المكافأة التقديرية التي تدفعها الدولة لكل حندي صيني . .

أما البرلمان الإنجليز فقد دفع مئتي ألف جنيه لأسرة حوردون ، وهو المبلغ
الذي كان سوف يتقاضاه حوردون من الحكومة البلجيكية لو أنه ذهب إلى الكونغو !

وأقيمت لحوردون التماثيل في لندن وفي ايرلند وفي الخرطوم .

وارتفع حوردون بطولته إلى مصاف القديسين أو ارتفع بقداسته إلى
درجة الأبطال !

إن أحد المؤرخين وهو ليمتون استراتشي قد ذكر في كتاب له بعنوان «عظماء العصر
الفيكتوري» أن جوردون كان سكيراً جباناً وأنه لا يستحق هالات المجد ولا تيجان العار !
ولكن استراتشي قد استمد معلوماته من ذلك الصديق الأمريكي الذي عساه
الخدو إسماعيل حاسوباً عليه ثم فصله جوردون بعد ذلك
والحن الذي يريد استراتشي أن يصفقه بحوردون سببه أن جوردون قد انسحب
من مواقع كثيرة في معاركه . ولكن الانسحاب من المعركة ليس عيباً وإنما هو في قوة
الهبوم أحياناً . ونحن نقرأ لأحد أبطال القرن التاسع عشر هو الدوق ولحتون يقول
الانسحاب ليس عيباً ولكنه ضرورة . والسرعة هي كيف انسحب ثم كيف نجو
على الانسحاب .

ولكن المؤلف باتح يكتشف لأول مرة - أن رغبة الموت عند جوردون سببها أنه
كان يعاني نوعاً من الشدود الجنسي . ولدى نعى كثيراً أن يموت . وأن يموت في
بطولة . فموت يرحمه من رعباته الجسمية الشائنة . والدين كان تزييراً قوياً لرهبه في
الجنس . فم تكن لجوردون أية علاقة بإنسان لا رجل ولا امرأة بل إنه كتب لأحد
القساوسة مرة يقول تميت وأنا في الرابعة عشرة أن أكون إنساناً بلا ذكره ولا أنوثة !
وهي الرابعة عشرة كان في الكلية الحربية . ولاند أنه عانى الكثير من انتشار
السدود احسى . ولاند أن محاولة وقعت له جعلته يشعر بالقرف والمرارة من هذه
العلاقات الشائنة . أما البطولة فهي شبه التابوت الذهبي لأحد الملوك
وليست محاولات حوردون المستمرة في أن يموت ، إلا رعبته الأكيدة في أن
يدفن شعوره بالعار في مقبرة العظماء .

وهو عندما قتل في الخرطوم كان يعلم أنه سوف يموت . ولذلك أوى إلى فراشه
مكراً . وأعد جنوده . وأعد سلاحه هو والدين فتسو خيمته لم يحدوا سلاحاً وإنما
وحدوا الفراش مطماً ووجدوا الصليب على السرير ووجدوا رسالة يقول اعتقد أنني
سأموت . وأني قد صفت حساسي مع كل الناس وأنا الآن مستعد تماماً

والرسائل التي نشرت بعد ذلك حوردون نجد فيها هذه العبارة . أعحتى السيدة
فلانه . إنها جميلة ورفيقة . ولكن لا أريد أن أشير إلى شيء . فأذ ميت واموتى
لا يتزوجون !

والميت فيه هو الرجل . . والذى ليس رجلاً لا يتزوج امرأة !
وكان يصح أصدقاءه جميعاً بالروح لأنه كان يتمنى أن يكون زوجاً لولا أنه
لا يستطيع !

والمؤلف ناتج هو الذى أصدر من قبل كتاباً عن «لورانس الصحراء» . وهو
الآخر من أشد شخصيات التاريخ لا يحصى شدواً وغرابة . ويقول ناتج أن هذا
البطل الشاذ قد صدم عندما علم أنه ابن غير شرعى لوالديه . ولذلك ذهب إلى
العالم العربى يعرض نفسه أن لكل متمرّد . واسأل كل شخصية !

ولورانس يروى قصة اعتداء الحاكم التركى عليه . الحاكم وحوده واحداً
واحداً . ويقول لورانس أنه لم يشعر إلا بالهوان والعذاب . والشعور بالهوان
والعذاب هو متعته الحقيقية .

ومن الغريب فى هذه المهانة للأديب ت . أ . لورانس مؤلف كتاب «أعمدة
الحكمة لسعة» إنه لا ينهى الواقعة وإنما ينهى الشعور بها !

وكانه بتجاهله لهذا الإحساس ينكر وقوعها !

إذن لقد كان حوردون يريد الموت . لأن الموت يشبه النار التى يشعها
المصوص بعد عمليات السطو . النار تسمح بصمات أصابعهم . وتخفى معالمهم .
وتفضل العدالة . .

فلم يكن حوردون بطلاً ولا شهيداً ، وإنما هو رجل شاذ جاء يحصى شدوذه
فى سود إفريقيا . جاء يطلب موت بدلاً من حياة المصحة فى بلاده
جاء ليكون بطلاً - هو ولورانس - على حساب الشعوب العربية وإفريقية .
ولابد أن كلا منهما قد استراح إلى أن سره مصوص . حتى جاء المؤرخون الإنجليز
فكشعوا السر وفصحوا أبطالهم . ونقلوهم من كشف لأبطال المقدسين ، إلى سجل
الشواذ الخنثين .



عدد هم ١٣ شراً

الشر

نسبي .. والجمال نسبي أيضاً!

فنعص رجال الدس في شمال اسكتلندا يرون أن شر العسل يوم الأحد حرام والكاثوليك يرون أن الطلاق حرام . واليهود والمسلمون يرون أن أكل الخنزير حرام .

ونكر لا خلاف على الجريمة . فالذي يقتل إنساناً بغير وجه حق : محرم .

والأديان اختلفت على أشياء كثيرة ، ولكنها اتفقت على قاعدة واحدة هي : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .

فأنت تريد أن تعيش ، إذن ، لا تقتل أحداً . فالقاتل شرير .

وكثير الناس شراً هم أقدرهم على شر الشر ، وأكثر اساس خيراً ، هم أقدرهم على شر الخير .

وقد احتذر الصحفي المؤرخ أسرو يوارت ثلاثة عشر من أسرار التاريخ وعرض لحبانهم بصورة حميلة مثيرة في كتاب بعنوان «أكثر الدس سوء في العالم»

وبدأ سلسلة لأشرار بالإمبراطور الروماني اعنون بيرون (٣٧ - ٦٨ م) وهو من أسرة كلها من الشواد مصاصي الدماء . كنت أمه روجة الإمبراطور . وكان هو ابنها من رجل آخر . وتساء زوجها وتأمرت الأم على الروح فقنته ثم جعلت من ابنها إمبراطوراً وهو ما برال طفلاً . وأمّرت أن يتروح . فتروح فتاة عمره ١٣ سنة أي تصغره ستين وتلعت الإمبراطور نصعير إلى حادمة زوجته وكانت حميلة من أصل

سورى فأحبها وترك الروجة وتآمرت الأم على 'صدقاء' بها فقتلتهم جميعاً .
وكان وراء الإمبراطور نيرون فيلسوف كبير هو سيكا . وهو الذى كتب له خطاب
العرش وهو الذى كان يفصل له فى القضايا .

وصاق الإمبراطور نيرون بأمه فقتل عشيقها واحداً واحداً . ولما علم أن أمه تتآمر
عليه هو . . أمر بقتلها . واستعطفه الأم . وعما عنها . وقررت الأم أن تستولى على
ابنها بأسلوب آخر . وأعنت استعدادها أن تكون عشيقة له ، وأن تأخذ بيده فى
عالم الجنس الذى لا يعرفه !

وطلت الأم عشيقة لابنها بعض الوقت ، وكانت تريد أن تقصى عليه وهو فى
أحضانها ! وهرب منها الاس . و بطن الاس فى عالم الشذوذ لجنسى هو
وأصدقؤه . وفى إحدى الليالى هجم عليه أحد أعضاء مجلس الشيوخ فضربه ولم
يكن يعرف أن الشاب اندى عاكس زوجته هو الإمبراطور . وفى اليوم التالى بحث
عند ربه . فصرح الإمبراطور : كيف يعيش رجل صرب الإمبراطور ؟ !

وانتحر عضو مجلس الشيوخ !

وأحب نيرون شاكاً . وقرر أن يتحده عشيقاً له . وم رفاف الشاب للإمبراطور وتمنى
له رجاء البلاط كل سعادة . وبعضهم قال له بالرفاء والسين !
وفى ذلك الوقت بدأت مذهب المسيحيين فى روما . فقتل الإمبراطور ألفوف
المسيحيين وقتل القديسين : بطرس وبولس !

وكان الإمبراطور نيرون يفرض على الناس أن يستمعوا له وهو يغنى . . وكان
يصر على أن صوته جميل . واشترك فى الألعاب الأولمبية فى أثينا . وراح يمثل
ويعنى ويقوم بقيادة العربات . . وأعطته لجنة التحكيم كل الخواثر وعدم عاد إلى
روما وحدها تحترق . وكان هو الذى أحرقها . فأمسك مزماراً وراح يردد أعيان
هوميروس عن سقوط طروادة !

وكان لابد . أن يتخلص منه الشعب . . فقد امتلأت الأرض بالنضحايا
واملأت البيوت بالدماء .

وقرر الحرس خلعه . وجاء فى قرار الخلع أنه أولاً . يعذب الناس . وثانياً . أنه
قيح الصوت - وقد ضايقته هذه التهمة الأخيرة .

وكان لابد أن ينتحر . فأعطوه خنجراً . فطلب إلى أصدقائه أن يعذّبوه على قتل نفسه وأن يبدأوا بقتل أنفسهم ليتعلم منهم . ورفضوا . ونقدم واحد منهم وهو في الثلاثين من عمره وقتله .

.. ومات إمبراطور مجنون شاذ وابن غير شرعى بعد أن فتك بربع مليون سمة بلا جريمة !

والشرير الثامى هو حنكبير حان (١١٦٠ - ١٢٢٧) . واسمه الرقيق جداً هو تيموحن أى الرجل الصلب . وقد قتل هذا الرجل نصف سكان العالم

أما حرمة هؤلاء الناس : فلا شيء . . إنه يقتل ويقتل . وقد استولى هذا القائد المعولى على آسيا ونصف أورب - أى من بلاد الصين حتى بولندا . أحرق السيوف والمعابد والرحال والنساء والأطفال والحيوان والسات . وأحس الناس أن هذا القائد هو أندس نفسه . وقد انطلق بقصى على الشرية التى لم تستسلم له فقد أمنت بأن هناك إنسانية وخيراً وسلاماً ومحبة بين الناس .

وحنكبير حان غريب الشكل فهو أحمر الشعر أحصر عييين طويل عريض . وقد حدث وهو طفل أن احتلف مع أحد أخوته . وكان السب سمكة . فقتل أحاه ! ومن هذه السمكة بدأت عقيرته الدامية تتجلى فى الأسرة وفى الدولة . ولم مات أبوه كان فى الثالثة عشرة من عمره .

وأول عمل قام به هو أنه حطف فتاة عمرها ٩ سنوات من بين قبائل المغول ولم يحب فى حياته غيرها . وربما كان هذا هو الوفاء الوحيد فى حياته . وبعدها عرف مئات العشيقات . ولكن بقيت روحته هذه الإمبراطورة الوحيدة على أكر دولة عرفها التاريخ

وقد حدث أن هاجمته إحدى قبائل المغول وحطموا روحته . وكاد يفقد عقله وجمع جيشاً وهاجم هذه القبائل وحرقت له روحته وقهرت على الحصان أمامه . فأصابه سهم فى عنقه . فسقط على الأرض . والتف حوله جنوده يتمصرون دمه . وبعد أن جف جرحه جمع سبعين من شيوخ القبائل المعتدية وشواهم فى النار !

وأصبح حنكير حان قائداً مشهوراً في آسيا الوسطى وشخصاً مرعباً . وكان لا يهدأ إلا وسط معسكرات الجُود . ولا يستريح إلا إذا رحف على دولة جديدة وشتت قواته في الشرق حتى الصين . وفي العرب حتى العالم الإسلامي . . وأعلن في كل مناسبة أن آسيا يحب أن يحكمها رجل واحد . وقال أنا ذلك الرجل !

وكانت سياسته الحربية تعتمد على أسلوب المباحأة والسرعة . أما المباحأة فهي أسلوب المغول في الحرب . أما السرعة فهي أسلوبه هو . وكان يردد دائماً أن السعادة هي رؤية الأسرى والدماء وصراخ النساء .

وفي طريقه إلى الصريم عادة بدور العبادة وهو يدوسها عن فيها من الدس فقد هدم المساحد على رؤوس المصلين وأرغم أئمة المساحد في البلاد الإسلامية على أن يدعوا له ولعرشه . وكان يحط في المساحد فيقول أنا عصب الله حيث أنقذكم من الملوك فلا تساعدوهم !

وأحرق مدن بحاري وسمرفند وشتقند وجعل الطريق إلى أوربا يمر بأهرامات من الجماجم . .

وعندما دخلت قواته مدينة كييف في روسيا أحرقها ثمناً كما فعل الألمان سنة ١٩٤٣ .

والتاريخ يؤكد لنا أنه قتل نصف سكان العالم وأنه قس في الصين وحدها عشرين مليون نسمة . وعندما مات هذا السفاح كان هادئ البال فقد طلب إلى حاشيته أن يلقوه في قماش وأن يضعوه أمام المدفأة .

ولما مات دفن سرّاً وعندما سار بعثته في الشوارع أعدمت قواته كل الذين شاهدوا العشر فقد أوصى هو بأن يدفن سرّاً حتى لا ينهار الإمبراطورية . وقد انهزت بعد ذلك . وكان من الممكن أن تحت قوا المعول أوربا كلها لولا أن الله الذي كان يهود القوات الراحفة على أورب قد مات من شدة السكر فتراجعت قواته عما بعد عام ، وإمبراطورا بعد إمبراطور ولكن حنكير حان ظل مثلاً مخيفاً للقائد السفاح !

وهذا الشرير الثالث لم تكن جرائمه كثيرة ولكن الانحليز لم يسوا له قط أنه قتل اثنين من الأمراء بلا جريمة . إنه الملك ريتشارد الثالث (١٤٥٢ - ١٤٨٥) وعلى الرغم من أن الكثير من المؤرخين قد برعوه من هذه التهمة ، فإن الأدلة ماتزال قوية صده . وقد اتخذ الشاعر شيكسبير من حياة هذا الملك موضوعاً لإحدى مسرحياته الدامية .

ولد هذا القاتل في ٢ أكتوبر وهو جئ به الناس مكتملاً حتى تحين معاصروه أنه بقى في بطن أمه سنتين . فلما ولد كان مكتمل الأسنان مسترسل الشعر وفي يده سيف !

وكان الابن رقم ١١ في أسرة عددها ١٢ مات منهم خمسة فقد كانوا ضعاف البنية . وهو نفسه كان هريلاً ضعيف اسنية وإن كان شجاعاً في المعارك .

وعندما قبل الملك هري الرابع ترك اثنين من أسائه . وأوصى بأن يسوى ريتشارد الوصاية . وعندما تحدد يوم تتويج أحد الأميرين قرر حبسهما في برج لندن وقتلهما خنفاً . وأخفى جثتي الاثنين !

وفي كل مرة يحقق عرضاً دسبناً يقوم ساء كيسة ، أو أنشاء معهد ديني . أو يبعث بالرسائل الرقيقة إلى بابا روما .

وقد جعل شكسبير هذا الملك يتحدث عن نفسه فيقول «صميرى له ألف لسان ، وكل لسان له قصة محتلفة وكل قصة تنتهى بأسى سافل . كذاب . مجرم . أخط أنواع المجرمين . لا أحد بحمبى . وذا مت ، فلن يترحم على أحد . وكل روح أزھقها سوف تهر مقبرتى وتطالب بالانتقام .

وفي إحدى المعارك سقط هذا الملك صريعاً . ولم يكذ براه حدود خصومه حتى ربطوه في أحد الخيول وحروه في الدم والوحل ليتفرج عليه الناس وانتهت حياة رجل قتل عدداً من النساء ومئات من الخيود وعشرات من الأمراء . وقتل أخوه بعد أن اتهماه بأنه طفل لقيط !

والشرير الرابع اس البابا وأبوه أيضاً سافل هذا السفاح الإيطالى هو شيراره بورجيا (١٤٧٤ - ١٥٠٤) وقد ولد في عصر الانحلال في إيطاليا ، عصر سمالة رجال الكيسة ، وانحلال الأمراء والأثرياء . وفي هذا العصر ظهرت قصة «الديكاميرون» للأديب بوكاتشيو يصف أنواع الفحور التى تعيش فيها كل القصور وفي هذا العصر

أقيمت جنازة لفتاة عمرها ٢٦ سنة كانت تدير بيتاً للدعارة . وكانت هذه الجسارة صخمة لدرجة أن بعض الناس تساءل : من هو البابا الذي مات ؟

وشيراره ينحدر من أسره بورحيا التي أخذها المؤرخون رمزاً للسفالة . وهذه الأسرة قدمت للكنيسة أحد البابوات . وهذا البابا قد ننى هذا الفتى شيراره . فأصبح أبوه هو البابا أمكندر السادس أسوأ من جلس على عرش القديس بطرس . وشيراره له ثلاثة أخوة وأخت واحدة هي لوكريتشيا . .

وأول جريمة ارتكبها شيراره هذا هي أنه قتل أحد أخوته فقد بعث بهما البابا للاستراكة في تنويج ملك نابلي . وقيل حفلة التتويج وجدوا أحياه جثة . وحاول ملك نابلي أن يعرف من الصاتن ولكنه لم يفلح طبعاً . أما أسباب الجريمة فهي أن شيراره كان يحقد على أخيه ويريد أن يسرد هو بالسفود . وسب آخر أن شيراره كان يحب أخته لوكريتشيا وأنهما اتفقا على أن يكونا عشيقين . ولكن أصدقاءه قد أخبروه أن أخته قد اتخذت أحياه عشيقاً لها !

وفي ذلك الوقت أعلن الفيلسوف لشيرير مكيافيدلي أن ما فعله شيراره هو أقصى درجات العقل .

وعندما تزوجت أخته فقد شيراره 'عصانه' وقتل زوجها على باب المايكان ولما انطلقت الشائعات بأنه هو القاتل أمسك واحداً من مروجي الشائعات وقطع لسانه وعلقه في كيسة القديس بطرس !

وفي سنة ١٥٠٢ جمع شيراره كل أمراء المدن لإيطالية وطلب مساعدتهم في صد أعداء إيطاليا . وبعد أن جمعهم قتلهم جميعاً !

ووصف مكيافيللي هذه المدحمة بأنها 'سياسة حميلة' ، لحاكم حكيم ! ولم يكتف شيراره أشهر قواد إيطاليا في ذلك الوقت بمداحه الشخصنة ، وإنما شجع جنوده على خطف النساء !

وعندما مات البابا . لم يحزن على وفاته . وعندما كانت الصلوات تتردد على روح البابا جاء الكهنة بالعيش وكان صغيراً . فحشروا البابا فيه . وراحوا يدقون رأسه ورجليه ثم عرضوه في الشوارع نموذجاً للهوان !

وبعد خمس سنوات جاء البابا بيوس الثالث وحكم الصاتيكان ٢٦ يوما ثم جاء البابا الجديد الذي أدرك خطورة آل بورجيا واستدعى شراره ثم أرسله في مهمة إلى أسبانيا وسجنه الأسبان وهرب من السجن وأطلق سبيلهم إلى درعه . وكانت الدرع مثقوبة . ونفذ إلى قلبه ومات في أغسطس سنة ١٥٠٤ وعروه ورصوه في أحد خيول وفي الطير ولدم مسحوا به شوارع روم . وبعد قرين من دفن جثته اعترض أحد رجال الدين على دفنها في إحدى الكنائس فأمر برفعها وهو يقول : لا راحة لك هنا . . . ابدأ عذابك من جديد !

وانشربير خامس رجل قس مثبات الألوف من الناس باسم الدين هو توركويمادا (١٤٢٠ - ١٤٩٨) . وهو الرجل الذي أشرف على محاكم التفتيش في أسبانيا في عصر ملوكين فرديناند وإيزابيلا . . . وكان من الممكن أن يصبح هذا الملك من أعظم الملوك في التاريخ ففي أيامهما اكتشف كولموس العالم الجديد . ولكن جاءت محاكم التفتيش وصمة عار في تاريخهما وتاريخ أسبانيا

وتولى الأخ الدومينيكي توركويمادا أمر محاكم التفتيش وقد ولد الأخ توركويمادا في مدينته بلد الوليد سنة ١٤٢٠ ، وكان صغيراً لدرجة أن أخته ذهبت إلى أحد الأديرة لتجد هناك طعامها وشرابها .

وتبدأ القصة الحقيقية لهذا الراهب السماح عندما نسلل إلى قصر الملكة إيزابيلا واعترفت له بعدائها ودنوها وقد أخذ عليها عهداً أن تعاونه في القضاء على الكفرة من المسيحيين الجدد أما المسيحيون الجدد فهم الذين اعتنقوا المسيحية من اليهود والمسلمون الجدد وهم الذين عسفوا الإسلام من المسيحيين .

واستصيرت الملكة قرراً بأن تستكمل محكمة السفنيتش في ٧ نوفمبر سنة ١٤٧٨ لإحراق الكفرة واتحدت المحكمة أول مركز لها في مدينة إشبيلية

وقدم الأخ توركويمادا لائحة من ٧٣ مادة لإحراق الكفرة ومن ضمن أسباب إحراق أي أسبان أنه إذا سافر وأقامت له روحته وأفاربه حفلة كان هذا يدل أنه ليس مسيحياً كاثوليكياً . ولذلك يجب إحرقه .

وقد كان رجال الدين يجلسون فوق أسطح المنازل ليُشاهدوا المذابح في أيام الجمعة أحارة المسلمين والسبت أحارة ليهود . فالس لا تشتعل مذابحهم في هذين اليومين ، هم من الكفرة .

وفي الجمعة شهر لأولى أحرقت المحكمة ألف شخص وبعضهم مات من الخوف . وكانت المحكمة تنعقد وتأمّر بإحراق الخث

وكان توركو عادا تنص في تعذيب الناس . وكان حريصاً على أن يكون القتل حنفاً أو حرقاً أو عرقاً . وكان الموت الذي يعينه هو الموت البطيء . فقد كان يحشر الكفرة في قنجات في الخدران ثم يشعل النار في حبات من الجسم ويترك الكافر حتى يتطهر ، أي حتى يحترق !

وأصبح الأخ توركو عادا يلقب بالمفتش الأعظم !

واعترض القاتيكاز على لتعذيب العيف للناس وطلب تشكيل محكمة مستيره وتشكلت المحكمة وجمعت أحكامها وأحسن الأخ توركو عادا أنه عمر مرعوب فيه فانسحب وترك ثروته لفقراء . فقد كان من حقه أن يستولي على أموال الكفرة ، لصالح الكنيسة .

ولما جاءت ساعة الموت كان مستريح الصمير كأنه لم يفتن ولم يحرق . وهو ككل المعصير ، يرى أنه قد أدى واجبه نحو دينه ، وأن أخته مثواه !

ومن العرب أن الب الذي اعرض على محاكم المفتش هو البانا اسكندر السادس أبو شيرره بورجيا . وهو أسوأ من جلس على عرش القاتيكاز !

وسادس الأشرار هو ايضاً الرهيب (١٥٣٠ - ١٥٨٤) وهو يستحق هذه التسمية عن حدارة وقد بشأ وهو بحر في كل لحظة أنه حاكم مطلق و سوف يكون حاكماً مطلقاً . وقد أكد له أصدقائه هذه الحقيقة

وفي إحدى لمرات أرد أن يعرف مدى سلطانه فطلب من أصدقائه اعتقال أحد لأشراف فاعقلوه وأمعناً منهم في تأكيد حبهم وطاعتهم له ، فنبوا هذا لشريف ! وعندما أصبح مبراطوراً جمع أصدقائه وفاء لهم أريد أن أتروح

وبعد ساعات كت الرسائل فد أرسلت إلى كل حكام المدن : أجمعوا أحمل القنيت !

وفى اليوم المحدد اتجهت ١٥٠٠ فناه جميلة إلى موسكو . وأبرت الفتيات فى بيوت خاصة . وذهب إيفان يتفرج على الفتيات بنفسه ووراءه من يحمل الماديل الحربية . وكان الإمبراطور يلقي بالمديل الحربي على الصدور المرتحفة التى تعلو وتهبط من شدة الخوف !

وعادت الفتيات محملات بالهدايا وبقيت واحدة هى استاسيا .

وفى يوم ٢٣ يونيو سنة ١٥٤٧ شت النيران فى موسكو وزحفت على الكرملين . وأصبح الإمبراطور بلا سقف فوق رأسه . وانسحب الإمبراطور خارج العاصمة يفكر هو وأصدقائه فى سبب هذا الحريق ، وأحيراً اهتدى إلى الحقيقة : إنه السحر ؟ وأمر بالبحث عن المشتعلين والمشتغلات بالسحر وقتلهم جميعاً وقتل عبرهم ممن تحوم حولهم الشبهات !

وهجم التتار على حدود روسيا فحاربهم وقتل منهم أربعين ألفاً ، وكان من الممكن أن يهلك الجيش الروسى فقد اشعل الإمبراطور بالصلوات وقراءة لزامير . فلما سهه أحد القادة إلى خطورة الموقف وإلى أن الجيود فى انتظار أوامره تار الإمبراطور قائلاً وهل هذا سبب يكفى لمقاطعتى وأنا أصلى ؟ !
وأعدم هذا القائد !

وماتت زوجته . وتقدم يطلب إحدى بنات ملك بولندا . وكلف بذلك أحد السفراء ورأى السفير إحدى بنات الملك وكانت جميلة وفوحى الإمبراطور بأن ملك بولندا قد وافق على زواجه من أميرة بولندا . وفى يوم الزفاف رحف إيمان بفوايه على بولندا ليؤدب ملك بولندا . وكان يحمل معه نعشاً . وأعلن أن هذا النعش لمن يقتل منهما الآخر . !

وطالب إيمان بانه ملك بولندا بأى ثمن ، ولم يجد ملك السويد وسيلة لانقاذ الموقف إلا أن يعتقل أخاه أمير فنلندا وعروسه . . ثم أصيب الملك بجنون لدرجة أنه كان يقول : أنا العريس . . أنا العريس .

وانتهر العرس الحقيقى هذه الفرصة ووضع أخاه فى السجن وأعلن نفسه ملكاً . وكان ملكاً ممتازاً !

ولما جاء السفراء يطلبون إلى العروس أن تحسم الموقف بأن تسم نفسها لإيفان
الرهبان كانت تشير إلى حاتم في أصبعها مكتوب عليه : الموت فقط .

وأثارت بذلك السلاطين الأتراك وانتثار بها حموا موسكو وأحرقوها وقتلوا منها
مليون نسمة وأحرقوا الكرملين أيضاً !

وأوقف إيفان هذه الهجمات ، ثم رح سحت عن نصر حديد . فهاجم ليتوانيا
وكانت مسعمرة ألمانية . وسحق هذه البلاد الصغيرة ، وألقى بالأهالي والأطفال
في الأنهار وأطلق وراءهم الجنود يتأكدون من أنهم قد أغرقوا تماماً .

ولما عاد إلى موسكو أعد لنفسه مهرجاناً ضخماً يتقدمه أر حور يتشقلب على
طهر ثور . وأصبح هذا تقليد بعد ذلك عند بطرس الأكبر !

وأحس إيفان الرهبان بأن هناك مؤامرة عليه ، ولكن المؤامرة صامتة . فجمع ثلاثة
آلاف من حصومه ووضعهم في الميدان الأحمر . ووضع كل آلات التعذيب وطب
إلى الشعب أن يحصر ليتفرح وكنت لفاحشة . لم يحضر أحداً

وأمر الجنود بالبحث عن الشعب ، فأكروها الناس على الخضور والفرجة !

وحكم على أحد الأمراء بالإعدام ، ولكن قبل أن يعدم فيه حكم بالإعدام أتى
بأمه وجعل الجنود يعتدون عليها ١٥ ساعة حتى ماتت أمام عينية !

ولما أحس بالوحدة والعزلة طسب إلى ملكة بريطانيا العدراء أن تزوجه واعتذرت
فطلب إليها أن تزوجه إحدى سات أحتها واعتذرت . وطسب إليها إن كانت تقبله
لاجئاً عندها ، لأنه لا يستعد أن تحيى هي لاجئة إلى الكرملين . فرحت به .

وقد تزوج إيفان الرهبان ثماني مرات وقد ماتت خمس من زوجاته بالسسم .
وأحرق بيوت أقاربهن وصودرت أملاكهن !

وسم تعينه لثلاث الساقيت فقد كن بحيفات . وكان من عاداته أن يتبادل
العشيقات مع أصدقائه ، وأن يقتل أصدقاءه بعد ذلك !

وقبل أن يموت لاحظ أن حاتم التركواز الذي في أصبعه قد تغير لونه فرح يصرح
ويقول : إننى مسموم . . . إننى مسموم !

وقبل أن يموت بساعات استدعى حودنوف أحد أبطال الشطرنج . . وعندما قال له حودنوف كش المثلث . . سقط إنفان حثة هامة وأصبح لاعب الشطرنج هذا إمبراطوراً بعده .

ورغم أنه سمح وقتل فإنه هو وبطرس الأكسر والملكة كانريا . من أهم ملوك روسيا قبل الثورة .

والشهير السابع هو الأديب الفيلسوف الفرنسي دي صاد (١٧٤٠ - ١٨١٤) وهو مؤلف روايات ومسرحيات وله دراسات عن أشدود الحسى قد سقى بها الكثيرين من علماء النفس ، ومنهم فرويد نفسه .

وهو أرسنقراضى من ناحية لأم والآب . وهو يصف نفسه بأنه لم يعرف المستحيل فى حياته فقد وجد على مائدته كل شيء !

وبدأ فصائح دي صاد عندما التقط من الشارع سيدة عمرها ٣٦ سنة سمها روركيدر . وراح يصربها بالكروح حتى سالت دماؤها ثم أعطاها راحة من الكويك لتعسل هذه الحروح ثم تركها وخرج وتسلت هذه السيدة إلى الشارع تروى قصتها للناس وللبوليس !

وبكرت فصائح دي صاد فى باريس وفى ضواحي باريس وهرب واصطُر أبوه إلى أن يزوجه . وهرب مع أخت زوجته إلى إيطاليا .

وفى إحدى لمرات التقط أربع فتيات . وراح يصرب الفتيات الأربع كل واحدة ٢٥٠ جلده . وطب إليهن أن يصربه أيضاً وكان قد قدم لهن حلوى بها حبوب مسهلة !

ثم دخل السجن وفى سجن الباستيل كانت أسرته تبحث له بالكتب . وكان يؤلف المسرحيات والنقص . واستطاع أن يكتب بخط صغير جداً على ورقه طولها ١٣ متراً كتاباً بعنوان «١٢٠ يوماً فى مدينة سونوم» وهى المدينة التى تحدث عنها الكتاب المقدس وعاش فيها لوط وقومه ثم أحرقها الله وقد سجن فى هذا الكتاب الأوصاع الحسية الشاذة وقد سبق بهذا التسجيل الدقيق العريب ما

كتبه الدكتور الأمريكي كنسى من أربعين عاماً عن السلوك الجسدى عند الرجل
وعند المرأة فى أمريكا !

ولما قامت الثورة الفرنسية كان يصرح من الواجد . وقد انتكر ميكروفوناً صنعه
من مواسير المو قد ونقلوه من البرانة إلى زبانة أخرى ونقلوا ٦٠٠ كتاب من بينها
خمسون من تأليفه !

وقد حاول كثيراً أن تظهر مسرحياته أمام الجمهور وظهرت بالفعل ولكن فى
مستشفى الأمراض العقلية حيث مات ! وهذه الحقيقة التاريخية استوحى منها
امؤلف المسرحى الألماني ستر فيس مادة مسرحيه المعروفة «مارا صا»

وأما تشخيص مرض هذه الشرير الفرنسي فهو . جنون التعذيب أولذة
التعذيب . أى أنه بحد لذة فى تعذيب غيره . ثم بحد لذة فى أن يعذب غيره .
فهو بحد لذة إذا صرب فتاة ، وإذا تألت ، وإذا صرته فتألم . وعلى الرغم من هذا
العمل الشاكر كان فانياً وكان فيلسوفاً ، إلا أن شدوده الجسدى قد محا أفكاره
الفلسفية ، وطمس العصر الذى عاش فيه !

أما الثامن فهو الكذاب لساحر ، المافق لحمير ، الدثب الوديع ، المفترس
لرفيق . إنه كارانوف (١٧٢٥ - ١٧٩٨) وهو بطالى ولد فى مدينة السدقية وبحر
لا يعرف شيئاً إلا من مذكراته الأدبية المثيرة التى كانت بعنوان «تاريخ حياتى» .
وقد كتبها فى السنوات الأخيرة من حياته وعلى الرغم من أنه بطالى ، فإنه كتب
مذكراته بالفرنسية .

وهو من سكرتير ملك أسابيا وحده كان لفيطاً وقد هرب مع إحدى الرهبات ،
وتوّه أيضاً أحب ممثلة وهرب بها أثناء التمثيل ثم تركها وتزوج امرأة حرمجى ومن
هذه العلاقة غير الشرعية ولد العاشق الكبير كارانوف !

ووصف كارانوف نفسه بأنه كان عيباً حتى الثامنة من عمره ولكن حدثه
أسلمته لسيده تعمل بالسحر وهذه السيدة عالجه من أمراضه ثم وعدته بأن فتاة
حمية سوف تزوره كل ليلة للعلاج بشرط أن يكنم السر . وحاءت الفتاة كل يوم
وكنتم السر واكتفى بنشره كاملاً فى مذكراته !

وقرر كارانوف أن يكون قسيساً ثم عدل عن ذلك !

وتنقل في عالم المغامرات بين زوجات الأصدقاء ومنهم إني الحارات . . وإلى زوجات الحكام . وانتقل من إيطاليا إلى فرنسا ومن فرنسا إلى إنجلترا إلى ألمانيا ثم إلى رومانيا . . وكان كارانوف يعتمد في كل علاقاته على دكااته وبراعته في الحديث والبحث عن نقطة الضعف عند المرأة وهو يقول : من كل تحاربي خرحت بحقيقة واحدة أن المرأة أضعف بكثير مما يتصور الرجل . وأنه ليس صحيحاً أن هناك امرأة أقوى من الرجل .

وهي باريس عرف سيدة عبه جداً وراح يوهمها بأنه قادر على أن يعيدها إلى الشباب . واسنولي على مليون فربك منها . ثم هرب إلى البندقية . وهناك أدحوه السجر . ولم يحدث في تاريخ هذا السجر أن دخله إنسان وجرح حياً . ولكنه استطاع أن يهرب .

واختفى طول الليل في بيت مدير السجر الذي طل يبحث عنه في كل مكان وقد اثبت البحث التاريخي أن هذه الواقعة صحيحة !

وطارده البوليس في كل مكان لأنه يستر أموال النساء والفيت . وأنه قدر على خداع الصغيرات والكبيرات .

وقد استطاع كرانوف أن يشيع الاحلال الاخلاقي عفده وبالشائعات الكثيرة التي تسقه ونجى بعده في كل مكان . واستطاع عفده أن يفسد الفارة الأوربية كلها . . وأحسن دعاية له وضده كانت : المرأة !

ولما مات كارانوف في مدينة البندقية كان شيخاً مع أن كل المغامرين يموتون شباناً .

وقد وصف نفسه على فراش الموت يوم ٤ يونيو سنة ١٧٩٨ بقوله : عشت فيلسوفاً ومتم مسيحياً !

ولم يبق من آثار كرانوف سوى مذكراته التي جاءت في ١٢ مجلداً وهي تعتبر من أحط ما صدر في القرب الثامن عشر من أعمال أدبية !

أما التاسع فهو هتلر . وهو معروف . فهو من أبناء السماء وهو ابن غير شرعى لوالده . وكانت له أخت غير شقيقة وكانت صديقتها الوحيدة . وكانت لها ابنة هى الوحيدة التى أحبها هتلر وكان يعار عليها ومن شدة غيرته عليها قتلها بالرصاص . وماتت أمة وهو فى التاسعة . وعرف الجوع وعرف القمل ملابسه . وعرفت الأرضة طوله وعرضه وضلوعه .

ولم يحدث فى التاريخ أن ارتفع رجل من الأرض إلى السماء كما حدث لهتلر . وحكم هتلر الماهر الحارق استغرق ١٢ عاما من ١٩٣٣ حتى مات متحرراً فى قصر المستشارية فى ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ عندما يلعه أن موسوليسى وعشيقته قد قتلا عند بحيرة كومو وأن الإيطاليين علقوهم فى أرجلهم وجروهم فى الشوارع !

وقد كان هتلر معروفاً بشاطه السياسى وقدرته غير الطبيعية على الخطابة والتأثير فى الجماهير لا حدود لها ومن لمؤكد أن هتلر قد استطاع أن يحرك فى الألمان نزعتهم القومية ، وإيمانهم بالطولة ، وكرهيتهم الشديدة لليهود واستطاع أن يقضى على خمسة ملايين يهودى وأن يحرك فيهم إيمانهم بسيادتهم العنصرية على كل الشعوب وكرهيتهم للسلام !

والذى قبل عن قسوة هتلر وطغيانه كثير . ويكفى أن تعلم أنه عندما يلعه أن هناك رائحة تمرد فى يوغوسلافيا وكرهية للنارية بعث بحيش لأدب يوغوسلافيا والاستيلاء عليها . كل هذا لمجرد أنه شم رائحة تمرد . وكانت عند هتلر حاسة قوية لشم رائحة الكراهية ، بين كل صباطه !

ولا يزل الإنسان مذهشاً كيف استطاع رجل جاهل أن (ينوم) تنعاً مستميراً قوياً كالثعبان الأمامى ويدفعه إلى حرب يموت فيها عشرون مليون نسمة فى كل الخبثات وبعدها الدمار والخراب !

ولم يشأ هتلر أن يموت شجاعاً ، فقد قرر الانتحار استدعى رجاله وأمرى وصيته العسكرية وعين حليفته . وطلب إرسال ٢٠٠ لتر من لسزير . وعندما سمع مصرع موسوليسى وعشيقته طلب أن يتم رواجه المدى على عشيقته الوحيدة رها براون فتروحا ثم أقفل الباب . . واطلقت رصاصة ودخل كبار الضباط ليحدوا ، هتلر قد أطلق على فمه الرصاص ووجدوا يفا براون حثة هامة مسمومة . وأحرقوا الاثنين وكان ذلك بعد عشرة أيام من الاحتمال بعيد ميلاد هتلر السادس والخمسين !

والشهير العاشر أحد رجال الدين . إنه راسبوتين (١٨٧٢ - ١٩١٦) إنه فلاح من سيبيريا فقير . نوه شبيل . وهو فى الثانية عشرة من عمره استمع إلى جماعة يتشاحرون على سرقة حمار . فبدأ به بهص من فرشه ويتحه إلى أحد البيوت ويهجم على صاحب البيت ويقول : أنت سارق الحمار !

وكان هذا الرجل هو النصر وعرفت القرية قصة الطفل راسبوتين وفى الصباح رسموا على بيته الصليب أى أنه شتعل بالسحر أو أنه مسحور وأثناء سيره فى إحدى القرى رأى العدراء مريم . وقال للناس : سوف يكون لى شأن ! وصدقت نبوءته .

وفى إحدى المرات كان يحمل أمتعة أحد رجال الدين وتناوشا فى الطريق واكتشف رجل الدين أن هذا الشاب موهوب وأنه مطلع تماماً على معالم الدين ونظر إليه طويلاً ، فوحده عملاقاً عريض الكتفين ووجد عيين رقيقين نهما لمعان ثابت عريض . ولهما قدرة على السوم المعنطيسى وهذه هى معجزة راسبوتين واستدرجه رجل الدين إلى بيته وفى هذا البيت كانت المادال الحسية على أشدها . وكان شعاره : الخلاص عن طريق الخطيئة !

أى إنه لا خلاص لمناعب الإنسان إلا بالدبلة وفى حملات رجال الدين كانت تختلط كل النساء بكل الرجال . وقد أمر راسبوتين بهذه الفسفة الحسية وجعل بها شعاراً آخر هو جرب خملك !

وعرف الناس بالراهب الساحر راسبوتين فقد انكشفت له قدرات حسية وروحية قدرة على الملدات وقدرة على شفاء المرضى من الأطفال والنساء وهاجمه رجال الدين وأمر به بعصهم وكثيرون اتحدوه حصيهم وسلاحهم فى الحملات السياسية واستغل صيحه إلى موسكو وإلى الإمبراطوره واستدعته لعلاج ابنها . واستمر يعالج وفى إحدى مرات عندما سافرت الإمبراطورة بعث بخطاب إلى راسبوتين تطلب إليه أن يصلى لاسها الذى يرف الدم لا توقف وأرسل لها حصان وطلب إليها أن تقرأ لخطاب على ابنها وسوف يتوقف الدم وتوقف الدم .

وأقام راسبوتين حملات مجانية في بيته للعلاج ، وفي هذه الحملات جاءت
ابنوف السيدات والفتيات ، وأحاط البوليس بيته ولكن أحداً لم يستطيع أن يقوم
راسبوتين الذي يثق به الإمبراطور والإمبراطورة وعلى الرغم من أن البوليس قد
رأى عشرات من الفتيات يخرجن صرخت باقيات ، فانه لم يتدخل !

واسنولى راسبوتين على القصر وعلى الورياء وعلى رجال الدين وكان هو الذي
يعين الورياء ويعرف مدى إحصائهم لعرض آل رومانوف وصاق به الورياء والساسة
والأشراف . ولكنهم لم يفلحوا في القضاء عليه

وأخيراً ، بعد أن أحدهم دعا إلى سبه لعلاج زوجته ، فحصلت حادثة . وخرج
راسبوتين . وذهب به الأمر إلى غرفة لروحة . ولم تكن هناك الروححة . وقدم له
الحلوى المسمومة فأكل منها عشرين قطعة . وقدم له اقداح السيد فشرب منها
عشرة مسمومة . وكان من المفروض أن يموت راسبوتين بعد دقائق . ولكنه لم يموت
وبدلاً من ذلك فذهب الأمير وأطلق عليه عشرين رصاصات وعندما تقدم رجال
البوليس سألون عن الرصاص ، والدماء الموحدة خارج البيت قال الأمر أنه أحد
ضيوفى قد لعبت الخمر برأسه فقتل أحد كلابى !

وفي الصباح وجد جنود راسبوتين في البئر وقد متلأ صدره بالدماء وكل شيء يدل
على أن جسده قد حمل كل هذه السموم والرصاص ، وأنه لم يبق روحاً عرقاً !

ومواطن آخر لراسبوتين كسر شرايمه ، بل انه مسئول عن احتفاء خمسة وعشرين
مليوناً من مواطنيه . به ستالين (١٨٧٩ - ١٩٥٣) ولم يكن أحد يعرف بالضبط أى
شخص هو الرجل الذى أن أعين حروبته في المؤتمر العشرين بالحزب الشيوعى ، كيف
أن ستالين كان حياً ومعامراً وحائماً وكيف انه كان مصاباً بعمدة لوبينا - أى حب
الفتيات الصغيرات . وأن الفتاة التى كانت تعرضه كانت تموت فوراً وكيف ان ستالين
عندما ادب روحه ملاحظة على فسوته ، وجدت ميتة في نفس اليوم !

وستالين بدأ حياته ثورياً ، وهو أحد ابناء الثورة الروسية . ولكنه استطاع بالحيلة
والخس أن يرحف على سكرتارية الحرب . وكان ليس يحاف على الحرب منه بل
بأن يبين نفسه قد حذر من ستالين قبل أن يموت !

وقد بطش ستالين بكل خصومه السياسيين . وعندما تظاهروا ضده في إحدى المرات
مرفقهم جميعاً وطرد منافسه تروسكى من احزاب ثم من روسيا ثم قتله بعد ذلك!
ولم يبق من اللوحة المركزية للحزب الشيوعى التى تأسست سنة ١٩١٧ أحد سواه .

ويروى خروتشيف أن الألمان عندما هاجموا روسيا لم يصدق ستالين ذلك . وقال
إنه يثق فى هتلر . وأمر جنوده بألا يردوا على العدوان النازى . وما زحف الألمان على
احبوب طلب خروتشيف أن يتحدث مع ستالين بالتليفون رد عليه مالبينكوف
قائلاً إنه ليس موجوداً وكان ستالين يحلّس إلى حوار التليفون وقد حثى ستالين
أن يقول إنه لا يستطيع أن يعرر القوات لروسية فى الحبوب بأى سلاح

ويروى خروتشوف أن ستالين كان رجلاً سكيراً عريداً وأنه طلب إليه فى إحدى
احفلات أن يرقص . وعندما سئل خروتشيف وماداً فعلت ؟ أحاب رقصت طبعاً !
وأحس ستالين أن الحرب والسكرتارية واللجنة المركزية قد صاقت به وحاول أن
يسرصى كل الدين أعصهم وكان من الصعب عليه ذلك . وفى أول مارس سنة
١٩٥٣ أصيب بزيغ حاد . وبعد أربعة أيام مات الرجل الذى صفى كل خصومه
وملايين الفلاحين وسبب فى إسالة دماء الملايين من جنوده بسبب إهماله وعزوره !

والشرير الذى عشر هو رجل العصابات الإيطالى الجنسية الأمريكى الإقامة
لوشيانو . . (١٨٩٧ - ١٩٦٢) وهو من مواليد صقلية ، ككل زعماء العصابات
الإيطاليين الذين يعملون فى أمريكا .

وقد هاجر مع والده إلى أمريكا وفى نيويورك تدرج فى أعمال العصابات حتى
أصبح رعيماً والعصابات فى أمريكا تدبّن له بكثير من التحسينات التى أدخلت
على السرقة والسلب وإداره بيوت الدعارة . . وأحظر من هذا كله تحاره المخدرات !

فقد رأى أن أفراد العصابات لا يطهرون بالمطهر اللائق بهم . لذلك قرر أن يكون
أفراد عصابته من أشيخ الناس وأعنانهم فأصدر أوامره بأن يرتدوا جميعاً أحسن
البدل والكرافتات والأحذية . فما هو شخصياً فقد اتحد مقرأ له حباح فى فداق
والدروف استوريا . وفى أول سنة لزعامته جمع ثلاثة ملايين دولار كان يأخذها من
١٥٠٠ امرأة وألف فتاة ومائتين من أصحاب مصنع والشركات .

وكان من الطبيعي أن تكشف الدولة أن هناك تجارة خطيرة للمخدرات من الشرق الأوسط إلى شمال أمريكا وأن هذه التجارة قد شملت الناس وحاولوا القصاص عليه . وألقى البوليس القصاص عليه بتهمة التحريض على الفسق . . وليس تهمة الاتجار في المخدرات وكانت مجموعة الأحكام التي صدرت ضده تتراوح بين ثلاثين وخمسين سنة ، ودخل السجن . .

وفي الحرب العالمية الثانية قرر تشرشل ورورفلت إسرائيل قوات في صقلية وتمهم محامو لوتشيانو يعلنون استعدادهم لمعاونتهم مع رجال العصابات في صقلية . وانتقل لوتشيانو إلى نيويورك . وأصدر تعليماته إلى رجال العصابات في صقلية وبمذت تعليماته . وبعد نهاية الحرب طلب المحامون العفو عنه ، لأنه ساعد في الحرب ولأنه ليس أمريكياً . وصدر قرار بترحيله إلى إيطاليا .

وفي إيطاليا استأنف تجارة المخدرات على نطاق واسع جداً وبيع في خمس سنوات ٢٠٠ مليون جنيه . وتعاونت معه أكثر شركات الدواء الإيطالية في تصنيع مخدرات كيميائية ، انتقلت جميعاً إلى أفواه وألوف الملايين في أمريكا فهي جميعاً من الأفيون والهاربين !

وحاول الأمريكان اعتقاله . وكسر البوليس الإيطالي المرتشى رفضه . وقبل وفاة لوتشيانو شهر واحد قدم الأمريكان دوسيهها صحفاً بكل حرائم لوتشيانو وكلها بديه مدى الحياة . ولكنه سبق البوليس الدولي ومات في سبلى تاركاً مئات الملايين من الحبيبات ومئات البديل الأبيقة والأحذية وألوف الكرافات . وراقصة باليه هي عشيقته التي أوصى لها بعشرين مليون دولار . وسى في آخر لحظة أن يخبرها برقم حسابه السرى في بنك سويسرا !

والثالث عشر وليس آخر الأشرار في العالم هو الساتور المحلول مكارثي (١٩٥٧ - ١٩٠٩) وهذا الرجل لم يقتل أحداً ولم تكن له أية معامرات جنسية شاذة ولا عادية . . . وإنما استطاع هذا المحامي الذي تحول بالحداع إلى قاص ، ثم إلى عضو مجلس شيوخ أن يربع الشعب الأمريكي كله من نرومان إلى أيرنهاور إلى أعضاء الكونغرس والجيش .

وقد جاءت إليه فكرة خبيثة وهو يستعد للمعركة الانتحارية . كان يجلس مع اثنين من أصدقائه هم كوهين وشي . وبصم إليهما أحد القساوسة الكاثوليك . وفكر مكارثي في حملة انتحارية يقوم بها مرة أخرى في انتخابات مجلس الشيوخ وعثر القس الكاثوليكي على الفكرة : هاجم الشيوعيه ١

وكانت الفكرة باحثة . وأعلن مكارثي أنه اكتشف الشيوعية في أمريكا . وأن وزارة الخارجية الأمريكية تعلم أن هناك ٢٠٥ شيوعيين على رأس أجهزة الدولة . وإنها عاجزة عن عمل شيء لهم ومعهم .

وأحد الرأى العام الأمريكي والصحف والكونغرس . وكل يوم تشير الأصابع إلى شيوعيين في الصحافة والمسرح والإذاعة والتليفزيون والسف و معمل البيرة وساتدة الجامعات وفي الكونغرس انعقدت اللحد ورأس هو اللحد وقسم كشوا أدان فيها مئات الألوف من الأمريكيان وبعث بمستشاريه كوهين وشي إلى أورب للبحث والتفتيش في السفارات عن الشيوعية وكانت فصيحة للبرلمان والدبلوماسية الأمريكية .

واساقت أمريكا وراء الإرهاب المكارثي واسلمت أعاقها وأفلامها لهد . محول ولم يحدث في التاريخ أن استطاع شخص بمفرده بلا جيش ولا حزب ولا أجهزة دعاية ولا صحف أن يرهب دولة من أولها لآخره كما فعل هذا الرجل ١ ولم يكتشف أمريكا عباوتها ، وجنود هذا الرجل إلا متأخر

وراد من الشعور بالعار أن هذا الرجل اعتنق أخيراً في أحد المستشفيات مصاباً بمرض الصعراء ولما مات كانت رائحة الخمر نزل من فمه ومن أنفه ولكن أثره الفاسح المحلل ، لم ي تلاش إلا ببطء في المجتمع الأمريكي .

هؤلاء ١٣ فقط من أشرار بشرية استطاعوا بقوتهم عبر العاديه إرهاب الناس وبعفاههم ، حتى عجزوا عن السيطرة على الناس ، وأن يعرقوا شعوبهم في الدم والعدو . . وأن يتركوا الدنيا أسوأ مما وحدوها !

الفهرس

مقدمة

٣	رحلة فى بحر المعرفة ..
٢١	هذه الواو التى بينى وبينك
٢٩	صرخات ينقصها الأدب
٣٦	قصة ٩٠ دقيقة
٤٢	مكافأة لمن يهمهم
٥٠	وأخيراً قبلته
٦٦	الذى احتفى ٢٠ عاماً
٧١	شيء من النار تحت الجليد ..
٧٦	حتى قتلت الصحك
٨٣	أسوار وراء الأسوار
٩٠	كنت ليلة
٩٨	معدون بالقلب
١٠٦	الوحه الثالث
١١١	من أحلها
١٢١	كلها فى الماضى
١٢٤	بابل هى التى هطت
١٣٤	رحل لكل المذاسات
١٣٩	شيء على صدرى

١٤٧	من الأرض إلى القمر
١٥٥	يدى على حدى
١٧٢	حوادث بين الناس
١٩٥	ليس وداعاً يا ملل
٢٠٧	توفيق الحكيم شاعراً
٢١٣	مسرحة لها طعم العسل
٢٢١	البار فى كل بيت
٢٢٨	تلميذة وحوذية
٢٣٧	ديبميت السلام
٢٤٩	فتاه تسرق عصا شكشير
٢٥٦	احلعه ووكل
٢٦٠	كان لمسلطان حريم
٢٦٨	شارلى شاس يحكى
٢٧٥	الحب . احب . الحب
٢٩٩	العريس سرق المسجد
٣١٠	عددهم ١٣ شريراً.....

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ

أنيس منصور

(١) ترجمة ذاتية:

- ١ - فى صالون العقاد كانت لنا أيام ✓
- ٢ - عاشوا فى حياتى
- ٣ - إلا قليلاً.
- ٤ - طلع البدر علينا.
- ٥ - البقية فى حياتى.
- ٦ - نحن أولاد الغجر
- ٧ - من نفسى.
- ٨ - حتى أنت يا أنا.
- ٩ - أضواء وضوءاء.
- ١٠ - كل شىء نسبى.
- ١١ - لأول مرة.
- ١٢ - شارع التنهدات

(ب) دراسات سياسية:

- ١٣ - الحائط والدموع
- ١٤ - وجع فى قلب إسرائيل.
- ١٥ - الصابرا (لجيل الجديد فى إسرائيل)
- ١٦ - عبد الناصر - المفترى عليه والمفترى علينا
- ١٧ - فى السياسة (٣ أجزاء).

١٨ - الدين والديناميت

١٩ - لا حرب فى أكتوبر ولا سلام.

٢٠ - السيدة الأولى.

٢١ - التاريخ أنياب وأظافر

٢٢ - الخالدون مائة - أعظمهم

محمد (ﷺ).

٢٣ - على رقاب العباد.

٢٤ - ديبات أخرى.

٢٥ - وكانت الصحة هى الثمن

٢٦ - الغرباء.

٢٧ - الخبز والقبلات.

(ج) قصص:

٢٨ - عزيزى فلان.

٢٩ - هى وغيرها.

٣٠ - بقايا كل شىء.

٣١ - يا من كنت حبيبى.

٣٢ - قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

• للأديب السويسرى فريد ريش

ديرنمات

٣٣ - رومولوس العظيم.

٣٤- زيارة السيدة العجوز.

٣٥- زواج السيد مسيسبى.

٣٦- الشهاب.

٣٧- هى وعشاقها.

•• للأديب السويسرى ماكس فريش:

٣٨- أمير الأراضى البور.

٣٩- مشعلو النيران.

•• للأديب الفرنسى جان جيرودو:

٤٠- من أجل سواد عينيها.

•• للأديب الأمريكى آرثر ميللر:

٤١- بعد السقوط.

•• للأديب الأمريكى تنسى وليامز:

٤٢- فوق الكهف.

•• للأديب الأمريكى يوجين أونيل:

٤٣- الإمبراطور جونز.

•• للأديب الفرنسى يوجين

ليونسكو:

٤٤- تعب كلها الحياة.

•• للأديب الفرنسى أداموف:

٤٥- الباب والشباك.

•• للأديب الإسباني أربال:

٤٦- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

٤٧- الحنان أقوى.

٤٨- من أول نظرة.

٤٩- طريق العذاب.

٥٠- ألوان من الحب.

٥١- شباب.. شباب.

٥٢- مذكرات شاب غاضب.

٥٣- مذكرات شابة غاضبة.

٥٤- جسمك لا يكذب.

٥٥- الذين هاجروا.

٥٦- غرباء فى كل عصر.

٥٧- أظافرها الطويلة.

٥٨- هموم هذا الزمان.

٥٩- زمن الهموم الكبيرة.

٦٠- الحب الذى بيننا.

٦١- عذاب كل يوم.

٦٢- كيمياء الفضيحة.

٦٣- كل معانى الحب.

(و) دراسات علمية:

٦٤- الذين هبطوا من السماء.

٦٥- الذين عادوا إلى السماء.

٦٦- القوى الخفية.

٦٧- أرواح وأشباح.

٦٨- لعنة الفراعنة.

٦٩- دقائق الصحة هى الثمن.

(ز) نقد أدبى:

٧٠- يسقط الحائط الرابع.

٧١- وداعاً أيها الملل.

٧٢- كرسي على الشمال.

٧٣- ساعات بلا عقارب.

٧٤- مع الآخرين.

٧٥- شيء من الفكر.

٧٦- لو كنت أيوب.

٧٧- يعيش.. يعيش.

٧٨- الوجودية.

٧٩- طريق العذاب.

٨٠- وحدي.. مع الآخرين.

٨١- ما لا تعلمون.

٨٢- لحظات مسروقة.

٨٣- كتاب عن كتب.

٨٤- أنتم الناس أيها الشعراء.

٨٥- أيها الموت.. لحظة من فضلك.

٨٦- أوراق على شجر.

٨٧- فى تلك السنة.

٨٨- دراسات فى الأدب الأمريكى.

٨٩- دراسات فى الأدب الألمانى.

٩٠- دراسات فى الأدب الإيطالى.

٩١- فلاسفة وجوديون.

٩٢- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات.

٩٣- حول العالم فى ٢٠٠ يوم.

٩٤- بلاد الله خلق الله.

٩٥- غريب فى بلاد غريبة.

٩٦- اليمن ذلك المجهول.

٩٧- أنت فى اليابان وبلاد أخرى.

٩٨- أطيب تحياتى من موسكو.

٩٩- أعجب الرحلات فى التاريخ.

١٠٠- ماذا يريد الشباب؟

١٠١- الرصاص لا يقتل العصافير.

١٠٢- من أول السطر.

(ط) مسرحيات كوميدية:

١٠٣- مدرسة الحب.

١٠٤- حلمك يا شيخ علام.

١٠٥- مين قتل مين؟

١٠٦- جمعية كل واشكر.

١٠٧- الأحياء المجاورة.

١٠٨- سلطان زمانه.

١٠٩- العبقري.

١١٠- كلام لك يا جارة.

١١١- فرق الركبة.

١١٢- هذه الصغيرة (وقصص

أخرى).

١١٣- يرم بيوم.

١١٤- إنها الأشياء الصغيرة.

١١٥- إلا فاطمة.

١١٦- القلب أبدًا بدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

١١٧- حقنة بينج.

١١٨- اتنين.. اتنين.

١١٩- عريس فاطمة.

١٢٠- من الذى لا يحب فاطمة؟

١٢١- غاضبون وغاضبات.

١٢٢- هي وغيرها.

١٢٣- هي وعشاقها.

١٢٤- العبقري.

١٢٥- القلب أبداً يدق.

١٢٦- يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

١٢٧- ثم ضاع الطريق.

١٢٨- النجوم تولد وتموت.

١٢٩- هناك أمل.

١٣٠- أحب وأكره.

١٣١- الحيوانات ألطف كثيراً.

١٣٢- مصباح لكل إنسان.

١٣٣- أتمنى لك.

١٣٤- لعل الموت ينسانا.

١٣٥- اقرأ أى شيء.

١٣٦- ولكنى أتأمل.

١٣٧- حتى تعرف نفسك.

١٣٨- الحب والفلس والموت.. وأنا.

١٣٩- نحن كذلك !!

١٤٠- اللهم إني سائح.

١٤١- كائنات فوق.

١٤٢- تعال نفكر معاً.

١٤٣- آه لو رأيت !

١٤٤- النار على الحدود: لعبة كل

العصور.

١٤٥- انتهى زمن الفرص الضائعة!

١٤٦- هناك فرق.

١٤٧- الرئيس قال لى.. وقلت أيضاً

- الجزءان الأول والثانى.

١٤٨- يا نور النبى.

١٤٩- وأنت ما رأيك.

١٥٠- حضارة الإوز والبقر.

١٥١- حلمنا الجميل.

١٥٢- ضاع الجيل ضاع.

١٥٣- قالوا (الجزءان الأول

والثانى).

١٥٤- وأخرتها.

١٥٥- من أول السطر.

(ل) الترجمات القصصية:

١٥٦- رواية (الجائزة) للكاتب

الأمريكى أرفنج والاس.

١٥٧- (المثقفون) للآديبة

الوجودية سيمون دىوفوار.

١٥٨- (لو كنت مكانى) للآديب

السويسرى ماكس فريش.

١٥٩- (قصص مورافيا) للآديب

الإيطالى ألبرتو مورافيا.

١٦٠- (الجلد) للآديب الإيطالى

كورتسيو ملبارته.

١٦١- (الجيل الصاخب) للآديب

الأمريكى جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

١٦٢- الفلسفة الوجودية الألمانية.

لإميل تسلر.

١٦٣- الفلسفة الوجودية الفرنسية

- لجان جاك رسو.

١٦٤- معنى العدم عند هيدجر

وسارتر - لجانيت أردمان.

١٦٥- مسرح العبث الفرنسي -

لإتيان ماريو.

١٦٦- الفيلسوف الروسي برديائف

- ليفكتور لوزتسيف.

١٦٧- من كيركجورد إلى مارسيل

- لأنطوان بابيف.

١٦٨- سيمون دوبوفوار تلميذة

رصينة - لفرنسواز روسلان.

١٦٩- رسائلها إليه - لفرنسواز

روسلان.

١٧٠- فاشلون لكن نبلاء - لجان

ماري روار.

١٧١- ما الميتافيزيقا؟ - لمارتن

هيدجر.

١٧٢- الوجودية فلسفة إنسانية -

لجان بول سارتر.

١٧٣- فلسفة حنا أرنت - تلميذة

للفيلسوف الألماني مارتن

هيدجر - لآدم برجشتاين.

١٧٤- كروتشه فيلسوف الحرية -

لايرابيللا دلورنتس.

جميع الكتب المرفوعة أما مكتبة

مكتبة مكتبة

سأتم الرد

أشكركم

الكتب

١٧/٥/٢٠١٠

١٧/٥/٢٠١٠

إلى